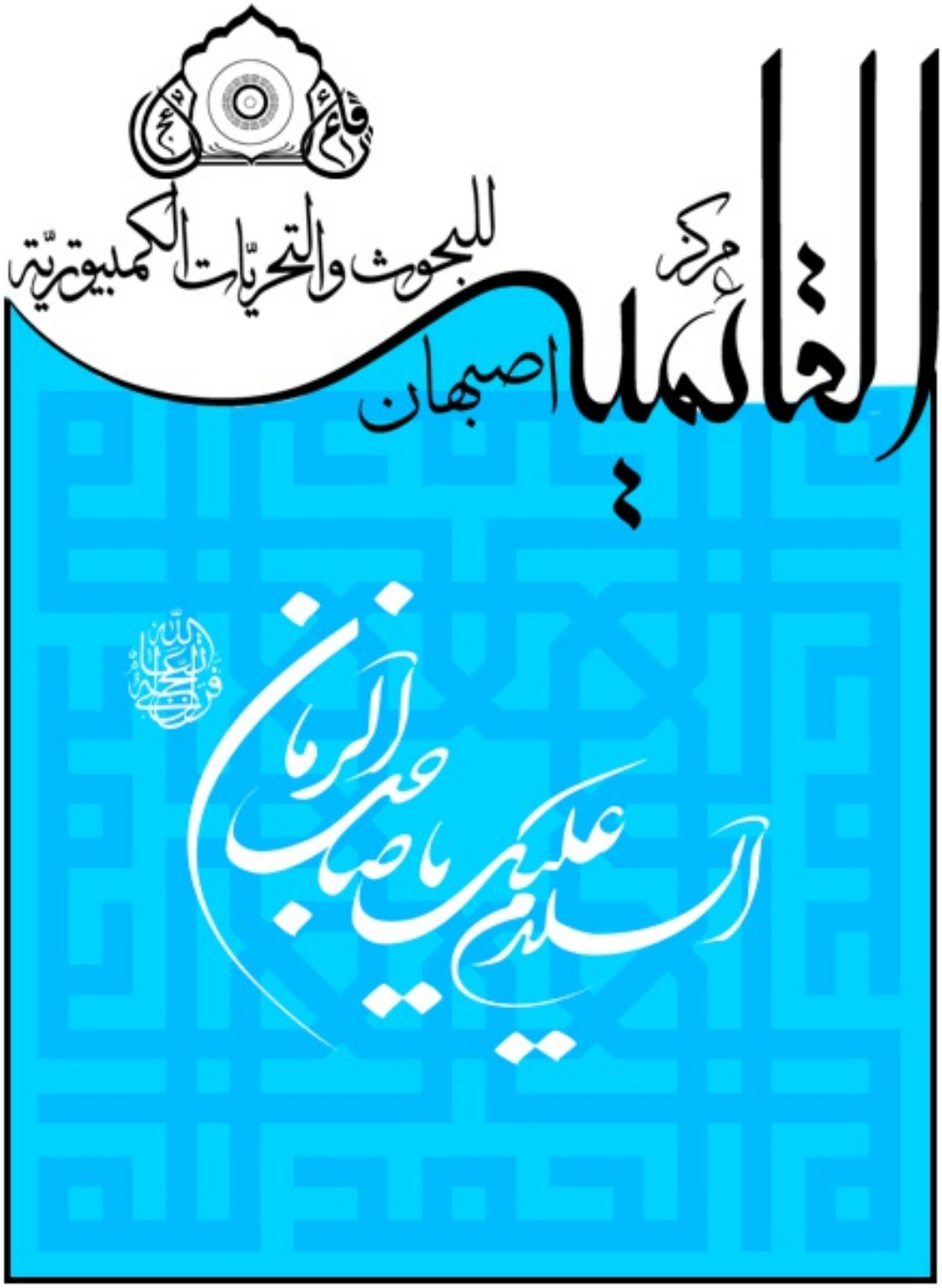

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

منهج الفرقان في علوم القرآن

الجزء الأول

تأليف / الشيخ محمد علي سلامة
تحقيق / د. محمد سيد أحمد المسير

مكتبة مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج الفرقان فی علوم القرآن

كاتب:

محمدعلی سلامه

نشرت فی الطباعة:

نهضه مصر

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
منهج الفرقان فی علوم القرآن المجلد ۱ ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
بین یدی الکتاب ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
تقدیم و تعریف ----- ۱۳
قصة الکتاب ----- ۱۵
موضوعات الکتاب ----- ۱۶
مقدمة المؤلف ----- ۱۸
المبحث الأول مصطلح علوم القرآن ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
المرکب الإضافی ----- ۱۹
أسماء القرآن ----- ۱۹
تعریف القرآن عند الأصولیین و الفقهاء و أهل العربیة ----- ۲۲
(تعریف القرآن عند علماء الکلام) ----- ۲۳
معنی علوم القرآن ----- ۲۳
تاریخ ظهور هذا الاصطلاح ----- ۲۳
منهج التألیف فی علوم القرآن ----- ۲۵
المبحث الثانی نزول القرآن ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
معنی نزول القرآن ----- ۲۶
کیفیة نزول القرآن ----- ۲۷
«المقام الأول» ----- ۲۷

(المقام الثانی) ----- ۲۸
حکمة إنزال القرآن مفرقا ----- ۲۹
أول ما نزل و آخر ما نزل ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
(أول ما نزل) ----- ۳۳
آخر ما نزل ----- ۳۴
المبحث الثالث أسباب النزول ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶
أسباب النزول ----- ۳۶
فائدة معرفة سبب النزول ----- ۳۶
طریق معرفة سبب النزول ----- ۳۸
عبارات الرواة فی سبب النزول علی ضربین ----- ۳۸
بیان تعدد الرویات فی سبب النزول ----- ۳۸
تعدد المنزل مع کون السبب واحدا ----- ۴۱
آراء العلماء فی عموم لفظ الآیة إذا کان سببها خاصا ----- ۴۱
أدلة الفریقین ----- ۴۲
اشارة ----- ۴۲
فائدتان: ----- ۴۴
المبحث الرابع الأحرف السبعة ----- ۴۵
اشارة ----- ۴۵
الروایات الواردة فی الأحرف السبعة ----- ۴۵
أقوال العلماء فی الأحرف السبعة و المراد بها ----- ۴۷
اشارة ----- ۴۷
«القول الأول» ----- ۴۸

اشارة ----- ۴۸
عرض هذا القول على الأصول السابقة ----- ۴۹
القول الثانی ----- ۵۱
القول الثالث ----- ۵۳
القول الرابع ----- ۵۵
خاتمة: ----- ۵۵
المبحث الخامس المکی و المدنی ----- ۵۶
اشارة ----- ۵۶
المکی و المدنی ----- ۵۶
الاصطلاحات فی بیان المکی و المدنی ----- ۵۶
اشارة ----- ۵۶
سورة مکیة فیها آیات مدنیة و بالعکس: ----- ۵۷
الطرق و الضوابط التی یعرف بها کل من المکی و المدنی ----- ۵۸
اشارة ----- ۵۸
ضوابط المکی ----- ۵۸
ضوابط المدنی ----- ۵۸
مميزات القسم المکی: ----- ۵۸
مميزات القسم المدنی ----- ۵۹
الشبه التی أثیرت حول المکی و المدنی وردها ----- ۵۹
اشارة ----- ۵۹
و للرد علی هذه الشبهة نقول: ----- ۶۰
و للرد علی هذه الشبهة الواهیة نقول: ----- ۶۰
«و للرد علی هذه الشبهة» نقول: ----- ۶۱
و للرد علی هذه الشبهة نقول: ----- ۶۳

«و للرد علی هذه الشبهة» نقول: ----- ۶۳
و للرد علی هذه الشبهة نقول: ----- ۶۴
المبحث السادس جمع القرآن و تاریخه ----- ۶۴
اشارة ----- ۶۴
معنی جمع القرآن ----- ۶۵
(أولا- جمع القرآن بمعنی کتابته فی عهد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم) ----- ۶۶
اشارة ----- ۶۶
و یتلخص من هذا «أمران»: ----- ۶۷
و السبب الباعث علی جمع القرآن أی کتابته بأمر الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم «أمور»: ----- ۶۷
(جمع القرآن فی عهد أبی بکر الصدیق رضی اللّه عنه) ----- ۶۷
اشارة ----- ۶۷
«و السبب الباعث علی الجمع فی عهد أبی بکر» ----- ۶۸
«و یمتاز الجمع فی عهد أبی بکر بأمور»: ----- ۶۹
«و یجاب عن ذلک»: ----- ۶۹
(جمع القرآن فی عهد عثمان رضی اللّه عنه) ----- ۶۹
اشارة ----- ۶۹
و السبب الباعث علی جمع القرآن فی عهد عثمان: ----- ۷۱
و أن الجمع فی عهد عثمان قد امتاز بالأمور الآتیة: ----- ۷۱
بیان المصاحف التی کتبت فی عهد عثمان (و عددها و السبب فی التعدد و ما یتعلق بذلک) ----- ۷۱
اشارة ----- ۷۱
(عدد المصاحف): ----- ۷۱
(فالسبب فی تعدد المصاحف) ----- ۷۲
و إنما جردت من ذلک لأمور: ----- ۷۳
(الشبه التی وردت علی جمع القرآن وردها) ----- ۷۳

اشارة ----- ۷۳
(و یجاب) ----- ۷۳
(و یجاب) ----- ۷۴
و یجاب عن ذلک بوجوه: ----- ۷۴
و یجاب عن ذلک بوجهین: ----- ۷۵
«و هاهنا قاعدتان» ----- ۷۵
و للرد علیه نقول: ----- ۷۶
(نرد علیها بإیجاز فنقول) ----- ۷۷
المبحث السابع ترتیب آیات القرآن و سوره ----- ۷۷
اشارة ----- ۷۷
بیان معنی الآیة و السورة و ما یتعلق بهما ----- ۷۸
۱- الآیة: ----- ۷۸
اشارة ----- ۷۸
«عدد آیات القرآن» ----- ۷۸
(فوائد معرفة الآیات) ----- ۷۹
ب- السورة: ----- ۷۹
اشارة ----- ۷۹
«و الحکمة» ----- ۷۹
«ترتیب آیات القرآن» ----- ۷۹
ترتیب السور ----- ۸۰
اشارة ----- ۸۰
«الأول» و هو قول الجمهور ----- ۸۱
«القول الثانی»: ----- ۸۱
اشارة ----- ۸۲

«و أجیب» عن هذا الدلیل ----- ۸۲
«القول الثالث»: ----- ۸۲
اشارة ----- ۸۲
«و أجیب» عن هذا الدلیل بوجهین: ----- ۸۳
المبحث الثامن رسم المصحف الشریف ----- ۸۴
اشارة ----- ۸۴
الکتابة فی قریش ----- ۸۴
کتابة القرآن الکریم ----- ۸۵
اشارة ----- ۸۵
رسم المصحف ----- ۸۶
آراء العلماء فی جواز مخالفة رسم المصحف و عدم جواز ذلک و فی کونه توقیفیا أو اصطلاحیا ----- ۸۷
اشارة ----- ۸۷
رسم المصحف توقیفی ----- ۸۸
«القول بأنه صلّی اللّه علیه و سلّم تعلم القراءة و الکتابة ----- ۸۸
القائلون بأن رسم القرآن اصطلاحی لا توقیفی ----- ۸۹
اشارة ----- ۸۹
و بالنظر فی کلام القاضی یظهر رده بما یأتی: ----- ۹۰
«أولا» ----- ۹۰
«ثانیا» ----- ۹۰
«ثالثا» ----- ۹۰
فوائد الرسم القرآنی المخصوص ----- ۹۲
«أولا» ----- ۹۲
«ثانیا» ----- ۹۳
«ثالثا» ----- ۹۳

«رابعا» ----- ۹۳
«خامسا» ----- ۹۳
المضار التی تنشأ بترک الرسم المخصوص: ----- ۹۳
نموذج من الروایات التی أوردت شبها علی کتابة القرآن ----- ۹۳
اشارة ----- ۹۳
أما عن الروایة الأولی فمن وجهین: ----- ۹۴
«و یجاب عن الروایة الثانیة» ----- ۹۴
اشارة ----- ۹۴
«و الجواب» ----- ۹۵
«و الجواب» عن جمیع الروایات الواردة عن ابن عباس من وجوه:- ----- ۹۵
«و الجواب عن ذلک»: ----- ۹۶
شکل القرآن ----- ۹۷
إعجام القرآن ----- ۹۷
فصل ----- ۹۸
المبحث التاسع القراءات و القراء ----- ۹۹
اشارة ----- ۹۹
الضابط فی قبول القراءات ----- ۹۹
أنواع القراءات ----- ۱۰۰
أنواع الاختلاف فی القراءة ----- ۱۰۱
السبب فی اختلاف القراءات ----- ۱۰۲
فوائد اختلاف القراءات ----- ۱۰۳
القراءات السبع ----- ۱۰۴
القراء السبعة ----- ۱۰۵
اشارة ----- ۱۰۵

الأول، أبو عمرو زبان بن العلاء البصری ----- ۱۰۵
الثانی ابن کثیر: ----- ۱۰۵
«الثالث» نافع بن عبد الرحمن ----- ۱۰۶
«الرابع ابن عامر» و هو عبد اللّه بن عامر الیحصبی ----- ۱۰۶
«الخامس عاصم» و هو أبو بکر عاصم بن أبی النجود ----- ۱۰۷
«السادس حمزة» و هو أبو عمارة حمزة بن حبیب الزیات التیمی ----- ۱۰۷
«السابع الکسائی» و هو أبو الحسن علی بن حمزة الکسائی ----- ۱۰۷
الکلام علی القراء الثلاثة الذین بهم تکمل العشرة ----- ۱۰۸
القول فی تواتر القرآن و القراءات ----- ۱۰۸
اشارة ----- ۱۰۸
(أما القراءات السبع) ----- ۱۰۹
شبه القائلین بعدم تواتر القراءات السبع ----- ۱۰۹
اشارة ----- ۱۰۹
و الجواب عن ذلک ----- ۱۱۰
«و الجواب عن ذلک» بأن إنکار ----- ۱۱۰
القول فی القراءات الثلاث المکملة للعشرة (و هی قراءات یعقوب و أبی جعفر و خلف) ----- ۱۱۰
(خاتمة) فی کیفیة تحمل القرآن ----- ۱۱۱
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۱۲

منهج الفرقان فی علوم القرآن المجلد ۱

اشارة

سرشناسه : سلامه، محمدعلی

عنوان و نام پدیدآور : منهج‌الفرقان فی علوم‌القرآن/ تالیف محمدعلی سلامه؛ تحقیق محمدسیداحمد المسیر؛ اشراف‌عام دالیامحمد ابراهیم.

مشخصات نشر : قاهره : نهضه مصر، ۱۴ق= .۲۰م= .۱۳ -

مشخصات ظاهری : ج.

شابک : ج.۱۹۹۶۱-۱۴-۹۷۷-X ؛ :ج.۸۲-۱۹۹۷-۱۴-۹۷۷ :

وضعیت فهرست نویسی : برون‌سپاری.

یادداشت : فهرست‌نویسی براساس جلد دوم، ۱۴۲۳ق.= ۲۰۰۲م.= ۱۳۸۱.

یادداشت : عربی.

یادداشت : ج.۱ (چاپ اول: ۲۰۰۲م. = ۱۳۸۱).

یادداشت : کتابنامه.

موضوع : قرآن -- علوم قرآنی

موضوع : تفسیر

شناسه افزوده : مسیر، محمد سید احمد

شناسه افزوده : ابراهیم، دالیامحمد

رده بندی کنگره : BP۶۹/۵/س۸م۸ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۵

شماره کتابشناسی ملی : ۲۸۴۴۸۱۸

بین یدی الکتاب

اشارة

* تقدیم و تعریف.

* قصة الکتاب.

* موضوعات الکتاب.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۴

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

تقدیم و تعریف

نحمد الله رب العالمین، و نصلی و نسلم علی خاتم الأنبیاء و المرسلین، سیدنا محمد و علی آله و صحبه و من دعا بدعوته إلی یوم

الدين ...

أما بعد ...

فالقرآن العظيم هو المعجزة الكبرى للرسول النبى الأمى محمد بن عبد الله العربى القرشى، و به وقع التحدى للثقلين من إنس و جن ... و أعلن القرآن ذلك مرات كثيرة فى عهديه المكى و المدنى.

ففى سورة الإسراء يقول الله تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «۱» ثم خفف القدر المتحدى به فقال فى سورة هود: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ۱۳ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «۲» ثم تنزل لهم فى التحدى فقال فى سورة يونس: وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ ۳۷ أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۳»

---

(۱) سورة الإسراء (الآية ۸۸).

(۲) سورة هود (الآية ۱۳، ۱۴).

(۳) سورة يونس (الآية ۳۷، ۳۸).

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۵

تلك الآيات مكية نزلت قبل الهجرة ثم ظل التحدى قائما فى المدينة بعد الهجرة فقال تعالى فى سورة البقرة: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ.

و لقد أكد القرآن أنهم عاجزون عن المعارضة فقال عقب الآية السابقة: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ «۱» فالتعبير بقوله: وَ لَنْ تَفْعَلُوا يفيد تأكيد نفى المستقبل، و هذا هو منتهى التحدى لهم و الإحباط من جانبهم ..

إن التحدى العام للناس جميعا طال على عمر الدعوة النبوية كلها و جعله الله حجة لصدق النبوة المحمدية ..

و قد يتوهم البعض أن التحدى القرآنى موجه إلى العرب فقط، فما بال الأمم غير الناطقة بالعربية؟! و هذا و هم كبير فإن التحدى لأهل الذكر و الاختصاص ينسحب على غيرهم من باب أولى، و من شهد له الأطباء أو علماء الفضاء باختراع معين فاق به أقرانه، لا يضيره أن يعترض عليه جاهل من عامة الناس .. إن التحدى القرآنى موجه إلى العالمين فى شخص الناطقين بالعربية فإذا عجز العرب و هم أهل اللغة و أرباب فصاحتها و العارفون بأسرارها فقد لزمت الجميع الحجة و قام عليهم الدليل ..

و من أبى فليعارض و ليقدم ما يثبت به معارضته، و سيعلم حينئذ أنه يعيش فى سراب فكرى و ظلام عقدى، و لا نجاة له إلا فى نور القرآن ..

و وجوه الإعجاز القرآنى متعددة منها الإعجاز البيانى و الإعجاز العقدى و الإعجاز التشريعى و الإعجاز العلمى .. إلخ ..

و لقد كان القرآن المجيد محور الدراسات الإسلامية و العربية، و به بدأت الأمة الإسلامية تاريخها، و عليه قامت حضارتها، و منه تستمد وجودها و حياتها ..

و علوم القرآن ميدان رحب لبحوث علمية جادة، و اجتهادات فكرية فذة، قام

---

(۱) سورة البقرة (الآية ۲۴).

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۶

بهـا علماء أجلاء لخدمـة العقيـدة الإسـلامية فى أكبر جوانبها، و أعز مبادئها، و أجل معانيها، و أعظم مقاصـدها، و أمجـد أهـدافها .. و قدموا للمكتبة الإسلامية على مر العصور و تعاقب الأزمان كتبا رائدة ..

لقـد كـان القرآن المجيـد محـورا لعلوم متعـددة مثـل التفسـير و الإعجـاز و أسـباب النزول و القراءات .. و لم يخـل عصـر فى التـاريخ الإسلامى ممن شرف بالكتابة فى جانب من هذه الجوانب إلى أن تبلورت مادة «علوم القرآن» فجمعت ما تفرق و استوعبت ما تعدد، و شيدت على ما تقدم، و أصبحنا أمام علم له أعلام، و منهج له رجال، و دعوة لها دعاة ..

و اليوم نقدم للمكتبة الإسـلامية الحديثة سفرا جليلا بعنوان «منهج الفرقان فى علوم القرآن» لعالم علامة أخلص فى طلب العلم و اجتهد فى تحصيله و أدى أمانة رسالته و جاهد فى سبيله حق الجهاد، إنه حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد على سلامة ..

لقد ولد- رحمه الله تعالى- عام ۱۳۰۷ ه- ۱۸۹۰ م فى قرية زرقان، مركز تلا محافظة المنوفية .. و تعلم فى الأزهر الشريف حتى حصل على شـهادة الأهلية سـنة ۱۳۲۹ ه، ثم حصل على شـهادة العالميـة سـنة ۱۳۳۱ ه، و اتجه إلى ممارسـة الوكالـة (المحامـاة) فأدرج اسـمه بجدول المحاكم الشـرعية سـنة ۱۳۳۱ ه، كمـا تحرر لفضـيلته فى نفس العـام شـهادة من مشـيخة الجـامع الأزهر الشـريف بالتصـريح له بالتدريس فى الجامع الأزهر و غيره من أماكن التدريس فى مصر ..

و صدر لفضيلته إذن من نظارة الأوقاف بأداء الخطب فى رمضان سنة ۱۳۳۳ ه و أخيرا عمل أستاذا بكلية أصول الدين منذ إنشائها حتى وفاته فى التاسع عشر من شهر رمضان لسنة ۱۳۶۱ ه الموافق للثلاثين من سبتمبر لسنة ۱۹۴۲ م ..

و لقد تزوج الشـيخ- رحمه الله تعالى- من كريمة فضـيلة الشيخ عبد الحكم عطا عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف و أنجب ذرية طيبة هم:

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج ۱، ص: ۷

۱- المرحوم الدكتور/ محمود محمد على سلامة.

الوكيل الأسبق لوزارة الصناعة ثم الأمين العام لمنظمة الدول العربية للمواصفات و المقاييس.

۲- المرحوم الدكتور/ محمد عزت محمد على سلامة.

الوزير الأسبق للكهرباء و الإسكان و التعليم العالى.

۳- الأستاذ الدكتور/ محمد رضا محمد على سلامة.

الأستاذ السابق بطب جامعة القاهرة و الأستاذ الحالى بجامعة الينوى بالولايات المتحدة الأمريكية.

۴- السيدة/ عزة محمد على سلامة.

و هى زوجة المرحوم الأستاذ محمد وجيه قطب رئيس مجلس إدارة شركة مصر للبترول سابقا ..

رحم الله شـيخنا الجليل فضـيلة الأسـتاذ محمـد على سـلامة، و أجزل له المثوبة، و جمعه بالنبيين و الصديقين و الشـهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا .. و نحن إذ نقدم كتابه اليوم علما ينتفع به و عملا صالحا متقبلا على درب المسيرة الإسلامية الممتدة إلى أن يرث الله الأرض و من عليها لندعو علماء الأمة و مفكريها إلى مواصلة العطاء العلمى خدمة للإسلام و المسلمين ..

وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ قالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (فصلت: ۳۳)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج ۱، ص: ۸

قصة الكتاب

قام المؤلف- رحمه الله تعالى- بطبع هذا الكتاب فى جزءين، سبق الجزء الثانى جزأه الأول. لأنه قام بتدريس مادة «علوم القرآن» للسنة الثانية من قسم تخصص الوعظ و الإرشاد بكلية أصول الدين، و كان ذلك سنة ۱۳۵۵ ه- ۱۹۳۶ م.

و فى عام تال أسند إليه تدريس مادة «علوم القرآن» للسنة الأولى فكتب الجزء الأول، و كان الفراغ منه يوم الخميس الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ۱۳۵۷ ه و ما هى إلا سنوات قلائل حتى توفى الشيخ الجليل فى التاسع عشر من شهر رمضان سنة ۱۳۶۱ ه (۳۰/ ۹/ ۱۹۴۲ م).

و طويت صفحات هذا السفر خمسين عاما إلى أن قامت كريمة الشيخ الجليل السيدة الفاضلة/ عزة فأرسلت إلىّ نسخة الكتاب بجزأيه كى أسعى فى نشره و نفع المسلمين به ..

و شجعنى على تحقيق الكتاب المرحوم الأستاذ/ عبد الحميد أحمد الحلو مدير الإدارة التعليمية بتلا محافظة المنوفية، و ابن أخت الشيخ الجليل، و زوج خالتى، وجد أولادى، و أمدنى بنبذة عن حياة الشيخ الجليل و مسيرة جهاده ..

و قمت باختيار بعض بحوث الكتاب للدورات التدريبية التى تقيمها وزارة الأوقاف للأئمة و الخطباء سنة ۱۹۹۲ م ضمن مادة «التفسير و علوم القرآن».

ثم سافرت إلى المملكة العربية السعودية معارا إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة و مضت مدة الإعارة و تلاها سنوات أخرى ثم شاء الله تعالى أن أعود إلى مراجعة الكتاب و تحقيقه تحقيقا يسيرا يبعد عن الترهل و التضخم، فقمت بمراجعة النص و تخريج الآيات و تنظيم الفقرات و تحديد البحوث و إبراز العناوين و وضع الهوامش.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۹

موضوعات الكتاب

و الكتاب يضم خمسة عشر مبحثا على النحو التالى:

المبحث الأول: مصطلح علوم القرآن يبدأ ببيان هذا المركب الإضافى «علوم القرآن» ثم عرض الأسماء التى أطلقت على القرآن و دلالتها على عظم قدره و جلال شأنه ثم ذكر تعريف القرآن عند الأصوليين و الفقهاء و علماء الكلام ثم تكلم عن تاريخ ظهور هذا المصطلح و أشهر علماء هذا الفن.

المبحث الثانى: نزول القرآن يتحدث عن معنى نزول القرآن و كيفية تلقى جبريل الأمين من الله عز و جل و كيفية تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم عن جبريل عليه السلام، و يشرح حكمة تنزيل القرآن مفرقا على مدى ثلاث و عشرين سنة، و يبين أول ما نزل و آخر ما نزل من الآيات و السور.

المبحث الثالث: أسباب النزول يحدد مفهوم أسباب النزول و فائدة معرفة هذه الأسباب و طريق هذه المعرفة، و يشرح تعدد الروايات فى سبب النزول، و تعدد المنزل مع كون السبب واحدا، و آراء العلماء فى عموم لفظ الآية إذا كان سببها خاصا ..

المبحث الرابع: الأحرف السبعة يذكر النصوص الدالة على نزول القرآن على سبعة أحرف، و حكمة هذا النزول، ثم يستعرض أقوال العلماء فى فهم هذه الأحرف و بيان المقصود منها، و يسوق دليل كل قول و يناقشه ..

المبحث الخامس: المكى و المدنى يبين الاصطلاحات فى بيان المكى و المدنى، و ضوابط معرفة كل منهما، و يرد على الشبه التى أثيرت حولهما.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۰

المبحث السادس: جمع القرآن يشرح الجمع بمعنى الحفظ، و الجمع بمعنى الكتابة، و يفصل القول فى كتابة القرآن على عهد النبى صلى اللّه عليه و سلم و عهد أبى بكر الصديق، و عهد عثمان ذى النورين.

و يذكر الباعث على الجمع فى كل عهد من هذه العهود الثلاثة، و ما امتاز به، و يحدد عدد المصاحف التى كتبت فى عهد عثمان- رضى الله عنه- و السبب فى تعدد المصاحف، و يرد على الشبه التى أثيرت حول هذا الجمع.

المبحث السابع: ترتیب آیات القرآن و سوره یبدأ ببیان معنی الآیة و السورة ثم یتکلم عن حکم ترتیب الآیات و السور، و یرد علی الشبه الواردة حول هذا الترتیب.

المبحث الثامن: رسم المصحف الشریف یقدم بین یدی البحث فکرة عن الکتابة فی قریش و المدینة المنورة ثم یشرح الفروق بین رسم المصحف و الکتابة العربیة، و یسوق آراء العلماء فی حکم الالتزام برسم المصحف الشریف و یناقش الأدلة و یرد علی الشبهات.

و یختم المبحث ببیان متی شکل القرآن و متی أعجم؟ أی متی وضعت الحرکات من الضم و الفتح و الکسر، و متی وضعت النقاط علی الحروف.

المبحث التاسع: القراءات و القراء یتکلم عن ضوابط قبول القراءات و أنواعها و السبب فی اختلافها، و یذکر فوائد هذا الاختلاف ثم یترجم للقراء السبعة: أبی عمرو، و الدوری، و نافع، و ابن عامر، و عاصم و حمزة و الکسائی، ثم یتبعهم بالکلام عن الثلاثة الذین بهم تکمل العشرة و هم أبو جعفر و یعقوب و خلف، و ناقش قضیة تواتر القراءات السبع.

المبحث العاشر: التفسیر و التأویل یذکر معنی التفسیر و التأویل لغة و اصطلاحا، و العلاقة بینهما، و یشرح أنواع التفسیر و یقسمها إلی:

۱- التفسیر بالمأثور.

۲- التفسیر بالرأی.

۳- التفسیر الإشاری.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۱

فیذکر المعنی المراد و نماذج منه و طبقات المفسرین و خصائص الکتب المؤلف فیه، و حکم کل نوع و ماله أو علیه ..

المبحث الحادی عشر: ترجمة القرآن الکریم یقسم الترجمة إلی قسمین:

۱- ترجمة حرفیة.

۲- ترجمة تفسیریة.

و یذکر الشروط التی تتوقف علیها الترجمة، و یفرق بین الترجمة الحرفیة و بین التفسیر، و یرفض الترجمة الحرفیة لاستحالة اجتماع الخواص العربیة البلاغیة فی لغة أخری و لإخلالها بحفظ القرآن الکریم فی نظمه و أسلوبه و تعریضه للتغییر و التبدیل.

و یقبل الترجمة المعنویة أو التفسیریة بشروط و ضوابط خاصة لما یترتب علیها من مصالح مهمة فی الدفاع عن القرآن و حمایة العقیدة و بیان منهج الله فی بناء الحیاة و الإنسان و لنشر دین الله فی الآفاق.

المبحث الثانی عشر: النسخ یبین معنی النسخ لغة و اصطلاحا، و طرق معرفة الناسخ و المنسوخ و شروط النسخ و أهمیة معرفة الناسخ و المنسوخ.

و یفرق بین النسخ و البداء، و بین النسخ و التخصیص ..

ثم یناقش قضیة النسخ جوازا و وقوعا، و یسوق الأدلة و یرد الشبهات ..

المبحث الثالث عشر: متشابه القرآن ذکر أقوال العلماء فی معنی المحکم و المتشابه، و أقسام المتشابه من جهة اللفظ أو المعنی أو هما معا، و بین مذاهب العلماء فی متشابه آیات الصفات.

المبحث الرابع عشر: إعجاز القرآن و أکد فی بدایته أن أسلوب القرآن الکریم مخالف فی جملته و تفصیله لأسالیب العرب فی کلامهم و لیس نوعا منها مع کونه منتظما من کلماتهم التی بها ینطقون.

ثم تکلم عن وجوه الإعجاز القرآنی و أبطل القول بالصرفة، و ذکر أقوال العلماء فی القدر المعجز من القرآن ..

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۲

المبحث الخامس عشر: قصص القرآن و أمثاله و تکلم عن المراد بالقصص القرآنی و فوائد ذکره و حکمة تکراره و أنواعه، ثم شرح

معنى الأمثال و فوائد ورودها فى القرآن الكريم و قسمها إلى ثلاثة أنواع هى:

۱- الأمثال الصريحة.

۲- الأمثال الكامنة.

۳- الأمثال المرسلة.

و هكذا يضم الكتاب أبحاثا قيمة و موضوعات مهمة و يعالج قضايا عميقة و يحقق فائدة كبرى لأهل العلم و الباحثين فى الدراسات الإسلامية ..

فجزى الله المؤلف خير الجزاء ..

۲۸ من ذى الحجة- ۱۴۲۲ ه ۱۲/ ۳/ ۲۰۰۲ م أبو حذيفة د. محمد سيد أحمد المسير أستاذ العقيدة و الفلسفة- بكلية أصول الدين جامعة الأزهر

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۳

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

مقدمة المؤلف

الحمد للّه الذى أنزل القرآن هدى للمتقين، و أودع فيه من الأحكام و الأخلاق ما فيه السعادة للناس أجمعين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد رسول الله الذى كان خلقه القرآن، و على آله و صحبه و من تبعهم بإحسان «أما بعد».

فإن المشيخة الجليلة لكلية أصول الدين قد عهدت إلىّ بتدريس علوم القرآن لطلبة التخصص بقسم إجازة الدعوة و الإرشاد. و قد سبق أن وضعت القسم الثانى من كتاب «منهج الفرقان فى علوم القرآن» و قد طلب منى الطلبة أن أضع لهم مؤلفا فى القسم الأول من علوم القرآن على نمط الكتابة فى القسم الثانى مع استيفاء المباحث التى اقتضاها المنهج، فشرعت ورائدى حسن التوكل على الله الذى عليه المعول.

و قد سميته «القسم الأول من كتاب منهج الفرقان فى علوم القرآن» و الله أسأله أن يجعله خالصا لوجهه و أن ينفع به كما نفع بأصوله، إنه سميع مجيب.

و جعلت مراجعى فى ذلك (۱) الإتقان فى علوم القرآن (۲) مذكرة الأستاذ الشيخ محمود أبى دقيقة (۳) البرهان للزركشى (۴) مقدمات تفاسير ابن جرير الطبرى و الألوسى و القرطبى (۵) رسائل لبعض حضرات المحققين (۶) كتب علم الأصول (۷) كتب علم الكلام و غير ذلك مما يرشدنى الله للاطلاع عليه من مؤلفات و يلهمنى إياه من حسن الفهم و التوفيق و قد رتبته على مقدمة و بحوث و خاتمة.

محمد على سلامة

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۵

المبحث الأول مصطلح علوم القرآن

اشارة

- المركب الإضافى- أسماء القرآن- تعريف القرآن* عند الأصوليين و الفقهاء* عند علماء الكلام- تاريخ ظهور هذا المصطلح- منهج التأليف فى علوم القرآن

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۶

المرکب الإضافی

«علوم القرآن» هذا مرکب إضافی ینبغی معرفة کل من جزءیه بحسب الأصل ثم المراد به بعد الترکیب، فنقول لفظ «القرآن» بحسب الأصل اختلف فیه من جهة الاشتقاق و عدمه و الهمز و التخفیف و المصدریة و الوصفیة علی أقوال، و بیانها ما یأتی:

«أولها» ما ذهب إلیه الشافعی أن لفظ القرآن المعرف بأل لیس مهموزا و لا مشتقا بل وضع علما علی الکلام المنزل علی النبی المرسل صلی اللّه علیه و سلم.

«ثانیا» ما نقل عن الأشعری و أقوام أنه مشتق من قرنت الشیء بالشیء إذا ضممته إلیه، ثم جعل علما علی اللفظ المنزل إلخ. و سمی بذلک لقرآن السور و الآیات و الحروف فیه بعضها ببعض.

«ثالثا» ذهب الفراء إلی أنه مشتق من القرائن لأن الآیات فیه یصدق بعضها بعضا و یشبه بعضها بعضا، و جعل علما علی اللفظ المنزل لذلک و هو علی هذین غیر مهموز أیضا کالذی قبلهما و نونه أصلیة.

«رابعا» قال الزجاج: هو وصف علی فعلان مهموز مشتق من القرء بمعنی الجمع و منه قرأت الماء فی الحوض إذا جمعته، و سمی الکلام المنزل علی النبی المرسل به لأنه جمع السور أو جمع ثمرات الکتب السابقة.

«خامسا» ما ذهب إلیه اللحیانی و جماعة من أنه مصدر مهموز بوزن الغفران سمی به المقروء تسمیة المفعول بالمصدر.

و الحق من هذه الأقوال ما ذهب إلیه الزجاج و اللحیانی من أنه مهموز وصف أو مصدر و أما ترک الهمز فیه فی بعض القراءات فهو من باب التخفیف و نقل حرکتها إلی ما قبلها و هو کثیر شائع ثم نقل من المصدریة أو الوصفیة و جعل علما شخصیا کما ذهب إلیه محققو الأصولیین و یطلق القرآن علی القراءة و منه قوله تعالی:

إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ ۱۷ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «۱»

---

(۱) سورة القیامة (الآیة ۱۷، ۱۸).

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۷

أسماء القرآن

اعلم أن اللّه تعالی کما جعل کتابه العزیز الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه مخالفا لکلام العرب فی أسلوبه و نظمه و کمال بلاغته و فصاحته جعل أشهر أسمائه مخالفا لما سمت العرب به کلامها، فقد سمت العرب جملة کلامها دیوانا و سمی اللّه جملة کلامه قرآنا، و سمت العرب بعض الدیوان قصیدة و سمی اللّه بعض القرآن سورة، و سمت العرب بعض القصیدة بیتا و سمی اللّه بعض السورة آیة، و سمت العرب آخر البیت قافیة و سمی اللّه آخر الآیة فاصلة.

و قد قال فی البرهان اعلم أن اللّه سمی القرآن بخمسة و خمسین اسما، سماه کتابا و مبینا فی قوله: حم ۱ وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ «۱» و قرآنا و کریما فی قوله:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ «۲» و کلاما حَتَّی یَسْمَعَ کَلامَ «۳» و نورا وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکُمْ نُوراً مُبِیناً «۴» و هدی و رحمة هُدیً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِینَ «۵» و فرقانا نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ «۶» و شفاء وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ «۷» و موعظة قَدْ جاءَتْکُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِی الصُّدُورِ «۸» و ذکرا و مبارکا وَ هذا ذِکْرٌ مُبارَکٌ أَنْزَلْناهُ «۹» و علیا وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَدَیْنا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ «۱۰» و حکمة حِکْمَةٌ بالِغَةٌ «۱۱» و حکیما تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ الْحَکِیمِ «۱۲» و مهیمنا مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ الْکِتابِ وَ مُهَیْمِناً عَلَیْهِ «۱۳» و حبلا وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ

اللَّهِ جَمِيعاً «۱۴» و صراطا

---

(۱) سورة الدخان (الآية ۱، ۲).

(۲) سورة الواقعة (الآية ۷۷).

(۳) سورة التوبة (الآية ۶).

(۴) سورة النساء (الآية ۱۷۴).

(۵) سورة يونس (الآية ۵۷).

(۶) سورة الفرقان (الآية ۱).

(۷) سورة الإسراء (الآية ۸۲).

(۸) سورة يونس (الآية ۵۷).

(۹) سورة الأنبياء (الآية ۵۰).

(۱۰) سورة الزخرف (الآية ۴).

(۱۱) سورة القمر (الآية ۵).

(۱۲) سورة لقمان (الآية ۲).

(۱۳) سورة المائدة (الآية ۴۸).

(۱۴) سورة آل عمران (الآية ۱۰۳).

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۸

مستقيما وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً «۱» و قيما قَيِّماً لِيُنْذِرَ «۲» و قولا- و فصلا إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ «۳» و نبأ عظيما عَمَّ يَتَساءَلُونَ ۱ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ «۴» و أحسن الحديث و مثانى و متشابها اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ «۵» و تنزيلا وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ «۶» و روحا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا «۷» و وحيا إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ «۸» و عربيا قُرْآناً عَرَبِيًّا «۹» و بصائر هذا بَصائِرُ «۱۰» و بيانا هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ «۱۱» و علما مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ «۱۲» و حقا إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ «۱۳» و هاديا إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي «۱۴» و عجبا قُرْآناً عَجَباً «۱۵» و تذكرة وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ «۱۶» و العروة الوثقى فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى «۱۷» و صدقا وَ الَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ «۱۸» و عدلا وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلًا «۱۹» و أمرا ذلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ «۲۰» و مناديا رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ «۲۱» و بشرى هُدىً وَ بُشْرى «۲۲» و مجيدا بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ «۲۳» و زبورا وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ «۲۴» و بشيرا و نذيرا كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۳ بَشِيراً وَ نَذِيراً «۲۵»

---

(۱) سورة الأنعام (الآية ۱۵۳).

(۲) سورة الكهف (الآية ۲).

(۳) سورة الطارق (الآية ۱۳).

(۴) سورة النبأ (الآية ۲).

(۵) سورة الزمر (الآية ۲۳).

(۶) سورة الشعراء (الآية ۱۹۲)

(۷) سورة الشورى (الآية ۵۲).

(۸) سورة الأنبياء (الآية ۴۵).

(۹) سورة الزخرف (الآية ۳).

(۱۰) سورة الأعراف (الآية ۲۰۳)

(۱۱) سورة آل عمران (الآية ۱۳۸)

(۱۲) سورة البقرة (الآية ۱۴۵)

(۱۳) سورة آل عمران (الآية ۶۲)

(۱۴) سورة الإسراء (الآية ۹)

(۱۵) سورة الجن (الآية ۱)

(۱۶) سورة الحاقة (الآية ۴۸)

(۱۷) سورة لقمان (الآية ۲۲)

(۱۸) سورة الزمر (الآية ۳۳)

(۱۹) سورة الأنعام (الآية ۱۱۵)

(۲۰) سورة الطلاق (الآية ۵)

(۲۱) سورة آل عمران (الآية ۱۹۳)

(۲۲) سورة النمل (الآية ۲)

(۲۳) سورة البروج (الآية ۲۱)

(۲۴) سورة الأنبياء (الآية ۱۰۵) و فی إطلاق الزبور علی القرآن نظر.

(۲۵) سورة فصلت (الآيتان ۳، ۴)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۹

و عزيزا وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ «۱» و بلاغا هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ «۲» و قصصا أَحْسَنَ الْقَصَصِ «۳» و سماه أربعة أسماء فی آية واحدة فِی صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۱۳ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ «۴» نقله فی الاتقان و بعد ذلك وجه تسميته ببعض هذه الأسماء مثل وجه تسميته «بالمتشابه» لأنه يشبه بعضه بعضا فی الحسن، «و بالعزيز» لأنه يعز علی من يروم معارضته «و بالفرقان» لأنه فرق بين الحق و الباطل، «و بالحكيم» لأنه أحكمت آياته بعجيب النظم و بديع المعانی و أحكمت عن تطرق التبديل و التغيير و التحريف و الاختلاف و التباين، «و بالنور» لأنه يدرك به غوامض الحلال و الحرام، «و بالشفاء» لأنه يشفی من الأمراض القلبية كالكفر و الجهل و الغل و الحقد و الحسد و من الأمراض البدنية أيضا، «و بالذكر» لما فيه من المواعظ و أخبار الأمم الماضية، و الذكر أيضا الشرف قال اللّه تعالی: «و إنه لذكر لك و لقومك» أی شرف لهم لأنه نزل بلغتهم، «و بالمهيمن» لأنه شاهد علی جميع الكتب و الأمم السابقة، «و بالروح» لأنه تحيا به القلوب و الأنفس، «و البلاغ» لأنه أبلغ الناس ما أمروا به و نهوا عنه أو لأن فيه بلاغة و كفاية عن غيره ا ه ملخصا.

و الذی اشتهر من هذه الأسماء كلها ثلاثة: القرآن و الفرقان و الكتاب، و أشهرها «القرآن» و قد علمت أنه نقل من المصدرية أو الوصفية علی ما تقدم إلی كونه علما شخصيا علی الكلام المنزل علی محمد صلّی اللّه عليه و سلّم المبدوء بسورة الحمد و آخره سورة الناس عند علماء الأصول و الفقه العربية المحتجين بأبعاضه و أجزائه «و علميته» إما باعتبار تشخصه بأول محل وجد فيه و لا عبرة بتعدده بتعدد المحال الطارئ بعد ذلك فهو واحد أينما حل.

و إما باعتبار وضعه للمؤلف المخصوص الذی لا يختلف باختلاف المتلفظين به للقطع بأن ما يقرأه كل واحد منا هو القرآن المنزل علی محمد صلّی اللّه عليه و سلّم بلسان جبريل عليه السلام.

«و قيل أنه علم جنس» نظرا لتعدده بتعدد المحال «و قيل هو موضوع للقدر المشترك» بين المجموع و بين أجزائه فمسماه كلى كالمشترك المعنوى «و قيل هو

---

(۱) سورة فصلت (الآية ۴۱).

(۲) سورة إبراهيم (الآية ۵۲).

(۳) سورة يوسف (الآية ۳)

(۴) سورة عبس (الآيتان ۱۳، ۱۴).

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۲۰

مشترك لفظى بين المجموع و بين أجزائه فيكون موضوعا لكل منهما بوضع.

و وجه هذين القولين أن القرآن عند من ذكرنا من العلماء يبحث فيه من حيث إنه دليل على الحكم و ذلك يكون بآياته لا بمجموع القرآن.

و الحق أنه علم شخصى و مشترك لفظى يطلق على المجموع و على الأجزاء و هذا هو الذى يفيده كلام الفقهاء فى قولهم: يحرم قراءة القرآن للجنب أو مس القرآن و نحو ذلك فإن غرضهم بذلك المجموع أو الابعاض.

تعريف القرآن عند الأصوليين و الفقهاء و أهل العربية

قد علمت أن لفظ القرآن علم شخصى على اللفظ المنزل المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس و على أبعاض ذلك، و العلم الشخصى لا يحد مسماه لأن تشخصه يغنى عن حده، إذ لا يقع معه فيه اشتباه و لكن الأصوليين و من معهم حدوه لضبط أجزائه و تميزه عما لا يسمى باسمه من الكلام كالتوراة و الإنجيل و الأحاديث القدسية و ما نسخت تلاوته مما هو كلام اللّه و ليس قرآنا.

و يمكن أن يقال إن الشخص يمكن أن يحد بما يفيد امتيازه من جميع ما عداه بحسب الوجود لا بما يفيد تعينه و تشخصه بحيث لا يمكن اشتراكه بين كثيرين بحسب العقل فإن ذلك إنما يحصل بالإشارة الحسية لا غير، و لما أرادوا تحديده نظروا فى الصفات المشتركة بين الكل و الأجزاء المختصة بهما ككونه معجزا منزلا- على الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم منقولا- بالتواتر مكتوبا فى المصاحف فاعتبر بعضهم فى تفسيره جميع الصفات لزيادة الإيضاح و اعتبر بعضهم الإنزال و الإعجاز لأن الكتابة و النقل ليسا من اللوازم لتحقيق القرآن بدونهما فى زمن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و اعتبر بعضهم الإنزال و الكتابة و النقل لأن المقصود تعريف القرآن لمن لم يشاهد الوحى و لم يدرك زمن النبوة و هم إنما يعرفونه بالنقل تواترا و الكتابة فى المصاحف، و هما من أبين اللوازم و أوضحها دلالة على المقصود بخلاف الإعجاز فإنه ليس من اللوازم البينة لأنه لا يعرفه إلا الخواص، و لا الشاملة لكل جزء إذ المعجز هو أقصر سورة أو مقدارها، و بعضهم اعتبر الإعجاز وحده نظرا إلى أنه الآية المصدقة للرسول المثبتة لرسالته صلّى اللّه عليه و سلّم و إلى أنه الوصف الذاتى للقرآن و ان كان لا يقع بجميع أبعاضه بل بأقصر سورة منه أو بمقدارها.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۲۱

و الذى يناسب غرض الأصوليين و الفقهاء من ذلك هو اللفظ المنزل على محمد صلّى اللّه عليه و سلّم المنقول عنه تواترا المتعبد بتلاوته لأن غرضهم الاستدلال على الأحكام و هو يكون باللفظ مركبا أو مفردا. فخرج بالمنزل على محمد صلّى اللّه عليه و سلّم المنزل على غيره كالانجيل و التوراة، و خرج بالمنقول إلينا تواترا غير المتواتر سواء كان مشهورا، مثل: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» أو لم ينقل أصلا مثل المنسوخ تلاوته فإن هذا لا يسمى قرآنا، و خرج بالمتعبد بتلاوته الأحاديث القدسية فإنها لا يتعبد بتلاوتها فلا

تسمی قرآنا و إن کانت متواترة و أما الأحادیث النبویة فهی خارجة عن التعریف لأن ألفاظها لیست منزلة و إن کان معناها منزلا و علماء العربیة یزیدون الإعجاز أو التحدی لأنهم یبحثون عن بلاغته و فصاحته و مثلهم علماء الکلام فی أحد إطلاقیه عندهم.

(تعریف القرآن عند علماء الکلام)

علماء الکلام تارة یبحثون عن القرآن من حیث إنه کلام اللّه و هو صفة من صفاته. و تارة یبحثون عنه من حیث إثبات نبوة سیدنا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم. فعرفوه من الجهة الأولی بأنه الصفة القدیمة القائمة بذاته تعالی المتعلقة بالکلمات الغیبیة الأزلیة من أول سورة الفاتحة إلی آخر سورة الناس. و الکلمات الغیبیة هی ألفاظ حکمیة مجردة عن المواد مطلقا حسیة کانت أو خیالیة أو روحانیة و تلک الکلمات أزلیة مترتبة من غیر تعاقب فی الوضع العلمی الغیبی.

و کونها مترتبة غیر متعاقبة ظاهر فإن ذلک کما یقع البصر علی صفحة مکتوبة دفعة واحدة فإنه لا تعاقب فی رؤیتها و إن کانت مترتبة فی ذاتها و کما یقع انطباع صورة فی المرآة فإنها و إن کانت مترتبة الأجزاء إلا أنه لا تعاقب بین أجزائها فی الانطباع. و لله المثل الأعلی فجمیع معلومات اللّه مکشوفة له أزلا کما هی مکشوفة له فیما لا یزال، و هذه الکلمات الغیبیة التی لا تعاقب بینها أزلا یقدر بینها التعاقب فیما لا یزال أی عند إظهار صورها فی المواد الروحانیة و الخیالیة و الحسیة من الألفاظ المسموعة و الذهنیة و المکتوبة و عرفوه أیضا بالکلمات الغیبیة المذکورة فی متعلق الصفة القدیمة، و أما من الجهة الثانیة فقد عرفوه کما عرفه أهل العربیة بأنه اللفظ المنزل علی سیدنا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم للإعجاز إلخ.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۲۲

فالقرآن عندهم یطلق بالاشتراک اللفظی علی الصفة القدیمة و متعلقها و علی اللفظ المذکور.

فهو مشترک بین الکلام النفسی و الکلام اللفظی و یطلق علی کل منهما حقیقة عرفیة.

هذا ما یتعلق بلفظ القرآن لغة و اصطلاحا.

و أما لفظ علوم فهو جمع علم و المراد به المسائل أو إدراکها، و إذ قد عرفت هذا المرکب الاضافی بحسب الأصل قبل الترکیب فلنبین معناه بعد الترکیب و جعله علما علی الأبحاث المخصوصة.

معنی علوم القرآن

أنواع من المسائل یبحث فیها عن أحوال القرآن الکریم من حیث نزوله و کیفیة النطق به و أدائه و کتابته و جمعه و ترتیبه فی المصاحف و بیان ألفاظه و ما یتعلق بکل من معانیه و ألفاظه من الأحکام و قد شمل ذلک علوم التفسیر و القراءات و الرسم و أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و المتشابه و الإعجاز و المجاز و غیر ذلک مما له تعلق بالقرآن الکریم من المسائل و المباحث.

تاریخ ظهور هذا الاصطلاح

نزل القرآن الکریم بلغة العرب و علی أسالیبهم و کلهم کانوا یفهمون و یعلمون معانیه إفرادا و ترکیبا و ناسخا و منسوخا و أسباب نزول الآیات کما عرفوا ألفاظه و کیفیة النطق به و جمعه و ترتیبه و کتابته و نقلت هذه الأبحاث بطریق الروایة عن الصحابة رضوان اللّه علیهم أجمعین و تداول ذلک التابعون و من بعدهم و لم تزل روایة السلف عن الخلف هی المحور الذی تدور علیه الأبحاث المتعلقة بالقرآن حتی صارت المعارف علوما و دونت الکتب فی أنواع علوم القرآن.

و قد کان کل نوع من هذه الأنواع علما مستقلا یکتب فیه العلماء کتبا فمن ذلک أسباب النزول لعلی بن المدنی، و الناسخ و المنسوخ لأحد علماء القرن الثالث الإمام أبی عبید القاسم بن سلام، و مجاز القرآن لابن عبد السلام، و إعجاز القرآن للخطابی، و الرمانی و

الباقلانی و غیرهم، و الناسخ و المنسوخ لأبی جعفر النحاس، و أمثال القرآن للماوردی و أقسام القرآن لابن القیم، و فی الرسم المقنع

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۲۳

للدانی، و البرهان فی متشابه القرآن للکرمانی و غیر ذلک مما یطول حصره من الکتب و الأنواع التی ألفت فیها.

و قد کان بحثهم یدور حول استقصاء أجزاء القرآن التی اشترکت فی جهة واحدة، فمن یکتب فی الناسخ و المنسوخ یستقصی آیات القرآن و سوره مبینا الناسخ و المنسوخ، و من یکتب فی مجاز القرآن یتحری ألفاظه المجازیة مع بیان أنواع المجازات، و من یکتب فی أقسام القرآن یتعرض لذکر أنواع القسم فی القرآن و ذکر جزئیاتها، و من یکتب فی أسباب النزول یذکر الروایات فی أسباب نزول الآیات التی نزلت علی أسباب خاصة، و هکذا کان الباحثون یکتبون فی نوع أو أکثر مع استیعاب الجزئیات التی فی القرآن المشترکة فی جهة واحدة من البحث کجهة النسخ أو أسباب النزول أو المجازیة أو غیر ذلک، کما انفردت کتب التفسیر و المفردات بنواح أخر.

و لم تجمع الأنواع المتعلقة بالقرآن فی مؤلف خاص إلی أن جاء القرن السابع و فیه وضع ابن الجزری کتابا سماه الافنان فی علوم القرآن، و فیه أیضا وضع أبو شامة کتابا سماه الوجیز فی علوم تتعلق بالقرآن العزیز، و کل من هذین الکتابین اشتمل علی طائفة یسیرة و نبذة قصیرة بالنسبة لما وجد بعد ذلک من المؤلفات فی علوم القرآن و إن کان لهما الفضل فی وضع الأساس و ابتداء الاصطلاح لعلوم القرآن علی مثال ما ألف فی علوم الحدیث.

و قد کان القرن الثامن الهجری هو الذی ازدهر فیه التألیف فی علوم القرآن من جماعة من فحول العلماء و إن اختلفوا فی التألیف قلة و کثرة فی ذکر الأنواع و ممن ألف فی هذا القرن:

۱- الإمام أبو عبد اللّه محیی الدین الکافیجی فقد ألف کتابا فی علوم القرآن اشتمل علی بابین أحدهما فی معنی التفسیر و التأویل و السورة و الآیة، و الثانی فی شروط القول بالرأی و أتمه بخاتمة اشتملت علی آداب المعلم و المتعلم.

۲- قاضی القضاة جلال الدین البلقینی ألف کتابه مواقع العلوم من مواقع النجوم قال فی خطبته: قد اشتهرت عن الإمام الشافعی رضی اللّه عنه مخاطبة لبعض خلفاء بنی العباس فیها ذکر بعض أنواع القرآن یحصل منها لمقصدنا

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۲۴

الاقتباس، و قد صنف فی علوم الحدیث جماعة فی القدیم و الحدیث و تلک الأنواع فی سنده دون متنه أو فی مسندیه و أهل فنه، و أنواع القرآن شاملة و علومه کاملة فأردت أن أذکر فی هذا التصنیف ما وصل إلی علمی مما حواه القرآن الشریف من أنواع علمه المنیف، و ینحصر فی أمور:

«الأول»، مواطن النزول و أوقاته و وقائعه و فی ذلک اثنا عشر نوعا: المکی، المدنی، السفری، الحضری، اللیلی، النهاری، الصیفی، الشتائی، الفراشی، أسباب النزول، أول ما نزل، آخر ما نزل.

«الأمر الثانی»: السند و هو ستة أنواع: المتواتر، الآحاد، الشاذ، قراءات النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، الرواة، الحفاظ.

«الأمر الثالث»: الأداء و هو ستة أنواع: الوقف، الابتداء، الإمالة، المد، تخفیف الهمزة، الإدغام.

«الأمر الرابع»: الألفاظ و هو سبعة أنواع: الغریب، المعرب، المجاز، المشترک، المترادف، الاستعارة، التشبیه.

«الأمر الخامس»: المعانی المتعلقة بالأحکام و هو أربعة عشر نوعا: العام، الباقی علی عمومه، العام المخصوص، العام الذی أرید به الخصوص، ما خص فیه الکتاب السنة، ما خصت فیه السنة الکتاب، المجمل، المبین، المؤول، المفهوم، المطلق، المقید، الناسخ، المنسوخ، نوع من الناسخ و المنسوخ و هو ما عمل به من الأحکام مدة معینة و العامل به واحد من المکلفین.

«الأمر السادس»: المعانی المتعلقة بالألفاظ و هو خمسة أنواع: الفصل، الوصل، الایجاز، الإطناب، القصر و بذلک تکملت الأنواع خمسین و من الأنواع ما لا یدخل تحت الحصر: الأسماء، الکنی، الألقاب، المبهمات ا ه من الإتقان للسیوطی.

۳- بدر الدین محمد بن عبد اللّه الزرکشی الشافعی ألف کتابا سماه البرهان فی علوم القرآن قال فی خطبته: لما کانت علوم القرآن لا تحصی و معانیه لا- تستقصی وجبت العنایة بالقدر الممکن، و مما فات المتقدمین وضع یشتمل علی أنواع علومه کما وضع الناس ذلک بالنسبة إلی علم

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۲۵

الحدیث فاستخرت اللّه تعالی و له الحمد، إلی آخر ما قال.

ثم ذکر أنواعه التی بلغت سبعة و أربعین و قد أبدع فیه و أغرب و أتی بالعجب.

و فی القرن التاسع الهجری تحرکت من الامام جلال الدین السیوطی همته العالیة و قویت عزیمته الماضیة علی إبراز مؤلف فی علوم القرآن لیحاکی بذلک من ألفوا فی علوم الحدیث و کان لم یطلع علی ما تقدم من المؤلفات الجامعة و إن کان قد اطلع علی مؤلفات کثیرة فی أنواع مفردة و فی أثناء ابتدائه التألیف اطلع علیها، فقال فی خطبة الإتقان بعد أن نقل خطبة البرهان للزرکشی: و لما وقفت علی هذا الکتاب ازددت به سرورا و حمدت اللّه کثیرا و قوی العزم علی إبراز ما اضمرته و شددت الحزم فی إنشاء التصنیف الذی قصدته فوضعت هذا الکتاب العلی الشأن الجلی البرهان، إلی أن قال «و سمیته الإتقان فی علوم القرآن» ثم، ذکر ما حواه من الأنواع فبلغت ثمانین نوعا.

فقد تدرج التألیف فی علوم القرآن من تألیف مفردات إلی مجموعات إلی أن استوعبه الإمام السیوطی و لو أعدنا النظر فی المنهج المقرر الآن لوجدنا أنواعا کثیرة قد ضمت إلی علوم القرآن لم تکن من قبل کأبحاث ترجمة القرآن و ذکر الشبه الواردة علی القرآن وردها و غیر ذلک، سنة اللّه التی جرت فی نشأة العلوم فإنها تنشأ ضیقة الدائرة ثم تأخذ فی الاتساع شیئا فشیئا و بخاصة العلوم الخاصة بالقرآن الکریم فإنها لا تقف عند حد و لا تصل العقول فیها إلی غایة.

نسأل اللّه تعالی أن یعلمنا من علوم کتابه ما یقربنا إلیه زلفی و ننال به السعادة و کمال الهدایة.

هذا و إن المواضع المختارة للدراسة من المواضیع المهمة التی تدور علیها أبحاث المفسرین و الأصولیین و علماء الکلام و البلاغة استمدوها من القرآن الکریم و لنتکلم علیها مرتبة طبق المنهج المرسوم.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۲۶

منهج التألیف فی علوم القرآن

قد علمت من ثنایا ما تقدم أن التألیف فی أنواع القرآن کان الغرض منه استیعاب الجزئیات المتناسبة فی موضوع واحد، مثال ذلک من یتکلم فی أسباب النزول کان تألیفه یدور علی ذکر أسباب الآیات التی وردت علی سبب و یتکلم علی روایتها، و من یؤلف فی المکی و المدنی یذکر الآیات و السور المکیة و المدنیة و من یتکلم فی النسخ یستوعب القرآن کله لبیان ما فیه نسخ و ما لیس فیه نسخ و کذا فی مجاز القرآن، و هکذا و لذلک کانت الأبحاث مطولة.

أما منهجنا فی هذا المؤلف فهو ذکر أحکام کلیة للجزئیات المتناسبة و لیس غرضنا استیعاب الجزئیات و إن اقتضی الحال ذکرها ذکرت بقدر الإیضاح مثال ذلک أننا نتکلم فی بیان المکی و المدنی علی بیان المزایا التی اختص بها کل و ذکر الشبه علیه وردها، و فی أسباب النزول نتکلم علی الأحکام التی تخص السبب و ما نزل علی سبب خاص أو عام و هکذا و اللّه المستعان.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۲۷

المبحث الثانی نزول القرآن

اشارة

- معنی نزول القرآن.
- کیفیة نزول القرآن.
- حکمة إنزال القرآن مفرقا.
- أول ما نزل من القرآن و آخر ما نزل.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۲۸

معنی نزول القرآن

النزول مصدر نزل و معناه لغة الإیواء، و منه نزل الأمیر المدینة أی آوی إلیها، و قوله تعالی وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِی مُنْزَلًا مُبارَکاً «۱» و یطلق لغة أیضا علی تحریک الشیء من علو إلی سفل و منه أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً «۲» و کلا- المعنیین اللغویین لا- یتحقق فی إنزال القرآن لاستدعائهما المکانیة و الجسمیة فیکون معنی مجازیا.

فأنزل القرآن بمعنی الکلام القائم بذات اللّه تعالی معناه إثبات الألفاظ الدالة علیه فی اللوح المحفوظ، و بمعنی اللفظ إثباته فی اللوح المحفوظ أو فی سماء الدنیا بعد إثباته فیه و هو معنی نزوله فی لیلة القدر، و معنی نزول القرآن علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم نزول حامله و هو الملک و هو حامل حروفه الملفوظة أو صورها المحفوظة أو المکتوبة من باب إطلاق اسم الحال علی المحل و هو مجاز متعارف مثل قولک أرسلت هذا الکلام إلی فلان بمعنی أرسلت من یحمله.

و علی هذا فالملک کان یتلقف القرآن من اللّه تعالی تلقفا روحانیا أو یحفظه من اللوح المحفوظ ثم ینزل به فیلقیه علی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم و کیفیة تلقیه صلّی اللّه علیه و سلّم، عن جبریل بأحد طریقین (أحدهما) أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم انخلع من الصورة البشریة إلی الصورة الملکیة و أخذه عن جبریل (الثانی) أن الملک انخلع من الصورة الملکیة إلی الصورة البشریة فأخذه الرسول عنه و الأول أشد.

و الذی نزل به جبریل و ألقاه علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم هو اللفظ و المعنی معا و لا عبرة بزعم بعضهم أنه نزل بالمعنی ثم عبر عنه صلّی اللّه علیه و سلّم بلغة العرب مستندا إلی قوله تعالی نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ «۳» فإنه لا یشهد له لأن القلب کما ینزل علیه المعنی ینزل علیه اللفظ و منه إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ «۴» أی جمعه فی قلبک

---

(۱) سورة المؤمنون (الآیة ۲۹).

(۲) سورة الرعد (الآیة ۱۷).

(۳) سورة الشعراء (الآیة ۱۹۳).

(۴) سورة القیامة (الآیة ۱۷).

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۲۹

و قراءته علی لسانک، و فضلا عن ذلک فإن القائل یلزمه أمور مخالفة لصریح القرآن و السنة و الإجماع، منها أنه لا یکون لفظه معجزا و منها أنه لا یکون متعبدا بتلاوته و غیر ذلک، لذا کان هذا الزعم ساقطا عن الاعتبار.

قال الجوینی کلام اللّه المنزل قسمان، قسم: قال اللّه لجبریل قل للنبی الذی أنت مرسل إلیه إن اللّه یقول افعل کذا و کذا و أمر بکذا و کذا ففهم جبریل ما قاله ربه ثم نزل علی ذلک النبی و قال له ما قاله ربه و لم تکن العبارة تلک العبارة کما یقول الملک لمن یثق به قل لفلان یقول لک الملک اجتهد فی الخدمة و اجمع جندک للقتال فإن قال الرسول یقول لک الملک لا تتهاون فی خدمتی و لا تترک الجند یتفرق و حثهم علی المقاتلة لا ینسب إلی کذب و لا تقصیر فی أداء الرسالة.

(و قسم آخر) قال اللّه لجبريل اقرأ على النبى هذا الكتاب، فنزل جبريل به من اللّه من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا و يسلمه إلى أمين و يقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة و لا حرفا ا ه.

(فالقسم الثانى هو القرآن و القسم الأول هو السنة و قد ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن و قد تبين بما ذكر حكمة جواز رواية السنة بالمعنى للعارف الضابط و عدم جواز راوية القرآن بالمعنى و ذلك لأن السنة أداها جبريل بالمعنى، و أما القرآن فإنه أداه باللفظ و قد كان ذلك من تيسير اللّه على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين: قسم يروونه بلفظه الموحى به، و قسم يروونه بالمعنى و لو جعل كله مما يروى باللفظ لشق ذلك عليهم و لو جعل كله مما يروى بالمعنى لم يؤمن فيه التبديل و التحريف.

و يؤيد ذلك (أولا) أن نزول القرآن إذا ذكر فى القرآن مقيدا لم يقيد إلا بأنه من عند اللّه، قال تعالى حم ۱ تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ «۱» و قال تعالى وَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِ «۲» فهذا يدل على أن القرآن منزل من عند اللّه و هو كلامه كما قال تعالى حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ «۳» و ليس كلام غيره و لا يجوز أن يقال إن القرآن عبارة عن كلام

---

(۱) سورة الجاثية (الآيتان ۱، ۲).

(۲) سورة الأنعام (الآية ۱۱۴)

(۳) سورة التوبة (الآية ۶)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۳۰

اللّه لأن الكلام يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا أو متعبدا تاليا (ثانيا) ما أخرجه الطبرانى مرفوعا من حديث النواس بن سمعان مرفوعا (إذا تكلم اللّه بالوحى أخذت السماء رجفة شديدة من خوف اللّه، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا و خروا سجدا فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه اللّه بوحيه بما أراد فينتهى به على الملائكة فكلما مر بسماء سأله اهلها:

ما ذا قال ربنا؟ قال: الحق. فينتهى به حيث أمر) فهذا الحديث أيضا يدل على أن جبريل كان يسمع القرآن و يكلمه اللّه به و هو يؤديه كما سمع، كيف و قد وصفه اللّه بأنه أمين.

كيفية نزول القرآن

«المقام الأول»

فى كيفية نزوله من اللوح المحفوظ الذى هو الذكر و أم الكتاب، قال اللّه تعالى بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۲۱ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «۱» دل ذلك على أن القرآن مثبت فى اللوح المحفوظ و لم يذكر كيفية ذلك و حقيقته فوجب الايمان به مع تفويض علم حقيقته و كيفيته إلى اللّه تعالى.

و قال اللّه تعالى شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ «۲» و قال تعالى إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۳» و قال تعالى إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۴» و قد ثبت فى الروايات الصحيحة أن أول ما نزل من القرآن «اقرأ» و لم ينزل معها غيرها ثم فتر الوحى بعد ذلك، و المشهور أن ذلك كان فى رمضان كما أنه من الثابت الواقع أن القرآن نزل فى غير رمضان من أشهر السنة.

فكيف يكون التوفيق بين ما ذكر من الآيات مع بعضها و بينها و بين الواقع الثابت.

و بيان ذلك أن الآيات الثلاث أفادت إنزاله جملة واحدة و أن ذلك كان فى شهر رمضان فى ليلة القدر و هى الليلة المباركة و أن هذا الإنزال كان من اللوح المحفوظ

---

(۱) سورة البروج (الآیتان ۲۱، ۲۲).

(۲) سورة البقرة (الآیة ۱۸۵).

(۳) سورة الدخان (الآیة ۳).

(۴) سورة القدر (الآیة ۱).

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۳۱

إلی سماء الدنیا، یدل علی ذلک ما أخرجه الحاکم و البیهقی و غیرهما من طریق منصور عن ابن عباس (قال أنزل القرآن جملة واحدة إلی سماء الدنیا و کان بمواقع النجوم و کان اللّه ینزله علی رسوله صلّی اللّه علیه و سلّم بعضه فی أثر بعض).

و قد ذکر فی الإتقان روایات أخری عن ابن عباس بهذا المعنی، و قال أسانیدها کلها صحیحة و هذا لا یقوله ابن عباس بمحض الرأی و الاجتهاد بل له حکم المرفوع و إذا کانت هذه الآیات لا تنافی بینها فهی لا تنافی الواقع الثابت من أنه نزل علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی غیر شهر رمضان و لیلة القدر، لأن ذلک فی نزوله إلی سماء الدنیا کما علمت، و هذا فی نزوله علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم منجما بحسب الوقائع و الأحوال و جواب الأسئلة و الأمثال فی عشرین سنة، أو ثلاث و عشرین سنة، أو خمس و عشرین سنة علی الخلاف فی مدة إقامته فی مکة بعد البعثة هل هی عشر سنین أو ثلاث عشرة سنة، أو خمس عشرة سنة و أما إقامته بالمدینة فهی عشر سنین اتفاقا.

و هذا البیان الذی ذکرناه فی المراد من الآیات المذکورة و طریق الجمع بینها هو الصحیح المعتمد، حتی حکی بعضهم الاجماع علیه «۱» و (الحکمة) فی إنزاله جملة واحدة إلی سماء الدنیا تفخیم أمره و أمر من نزل علیه بإعلام سکان السموات السبع بأن هذا آخر الکتب المنزلة علی خاتم الرسل لأشرف الأمم و فی ذلک تکریم لبنی آدم و إظهار شأنهم عند الملائکة و لهذا المعنی قد أمر اللّه سبعین ألف ملک أن یشیعوا سورة الأنعام وقت نزولها کما دلت علی ذلک الروایات الصحیحة.

(المقام الثانی)

فی کیفیة إنزاله علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم.

اختص القرآن الکریم من بین الکتب السماویة بأنه نزل علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم منجما مفرقا حسب الوقائع و الحوادث و إجابات السائلین و قد دل علی ذلک

---

(۱)- إنزال القرآن إلی اللوح المحفوظ لیس خاصا به فاللوح المحفوظ یشمل کل ما علمه اللّه تعالی، و إنزال القرآن إلی السماء الدنیا لیس فیه یقین، و ما سیق من أدلة لا ترقی به إلی مستوی الاعتقاد الواجب، فلا یبقی إلا النزول علی قلب سیدنا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم علی مدی سنوات الدعوة، و یکون معنی قوله تعالی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ و قوله تعالی إِنَّا أَنْزَلْناهُ أی بدأنا إنزال القرآن فی لیلة مبارکة هی لیلة القدر من شهر رمضان .. و اللّه أعلم.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۳۲

القرآن الکریم و السنة الصحیحة قال تعالی وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۱» کما ورد فی نزول القرآن فی السنة الصحیحة أن أول ما نزل (اقرأ) ثم (المدثر) و أن الآیات المفتتحة بقوله تعالی (یسألونک) مثل وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ «۲» یَسْئَلُونَکَ عَنِ السَّاعَةِ «۳» یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ «۴» و هکذا کانت تنزل جوابا للأسئلة التی توجه إلی صلّی اللّه علیه و سلّم إما لبیان حکم أو للتثبت من نبوته و غیر ذلک مما یدل علی أن القرآن نزل مفرقا.

«أما الکتب السماویة السابقة» فالمشهور بین العلماء أنها نزلت جملة واحدة حتی کاد ذلک الرأی یکون إجماعا و هو الصواب، و

الدليل عليه قوله تعالى حكاية عن اليهود أو المشركين وردا عليهم وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۵» و وجه دلالة هذه الآية على أن الكتب السابقة نزلت جملة واحدة أنها لو كانت قد نزلت مفرقة لكان رد اللّه عليهم بأن ذلك سنة اللّه فى الكتب التى أنزلها على أنبيائه السابقة، كما رد عليهم فى قولهم وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ «۶» بقوله وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ «۷» و كما رد على قولهم أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا «۸» بقوله وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ «۹» و هنا لم يرد اللّه عليهم بأن ذلك سنته فى إنزال الكتب بل أجابهم ببيان الحكمة فى إنزاله مفرقا بقوله كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ أى لنقوى به قلبك فإن الوحى إذا كان يتجدد فى كل حادثة كان ذاك أقوى بالقلب و أشد عناية بالمرسل إليه، و يستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه و تجدد العهد به و بما معه من الرسالة

---

(۱)- سورة الإسراء (الآية ۱۰۶)

(۲)- سورة الإسراء (الآية ۸۵)

(۳)- سورة النازعات (الآية ۴۲)

(۴) سورة البقرة (الآية ۲۱۹)

(۵) سورة الفرقان (الآية ۳۲)

(۶) سورة الفرقان (الآية ۷)

(۷) سورة الفرقان (الآية ۲۰)

(۸)- سورة الإسراء (الآية ۹۴)

(۹)- سورة الأنبياء (الآية ۷)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۳۳

الواردة من جناب الحق فيحصل له من السرور ما تقصر عنه العبارة فكان ذلك دليلا على أن تفريق نزول القرآن مختص به صلّى اللّه عليه و سلّم.

و مما يدل أيضا على أن التوراة نزلت جملة واحدة قوله تعالى فَخُذْها بِقُوَّةٍ «۱» و قوله خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ «۲» و قد علمت مما تقدم أن اللّه تعالى قد جمع فى القرآن الأمرين: إنزاله جملة إلى سماء الدنيا للحكمة التى تقدمت، و إنزاله مفرقا على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لما سنذكره من حكم ذلك.

حكمة إنزال القرآن مفرقا

۱- تثبيت فؤاد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بسبب توالى نزول الوحى عليه و ذلك من كمال عناية اللّه تعالى به و قد ذكر اللّه هذه الحكمة بقوله كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ «۳» و قد ثبت اللّه تعالى فؤاده فى أشد المواقف و أحرجها، انظر إلى قوله لأبى بكر فيما حكاه عنه اللّه تعالى لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا «۴» و ما ذلك إلا من قوة يقينه و وثوقه بنصر اللّه مع ما يحيط به من الأعداء.

و انظر إلى حالته صلّى اللّه عليه و سلّم فى غزوتى أحد و حنين و قد انهزم عنه أصحابه و هو صلّى اللّه عليه و سلّم لم يزدد إلا قوة و تثبيتا و ذلك كله بما كان يواليه اللّه به من تتابع الوحى و ذكر قصص الأنبياء و أممهم، و كيف كانت عاقبة الصبر يضاف إلى ذلك تتابع الوحى بالوعد و الوعيد و البشارة و النذارة مما كان له أكبر الأثر فى تثبيت فؤاده صلّى اللّه عليه و سلّم.

و لا غرو فقد كانت هذه الحكمة من أعظم الحكم التى من أجلها نزل القرآن منجما لذا جعلها اللّه خير رد على من اعترض بعدم نزول

القرآن على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم جملة واحدة و أنه خالف بذلك سنن الكتب السابقة.

۲- قال اللّه تعالى وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۵» أى لتقرأه على تؤدة و تمهل. و هذه الحكمة التى ذكرها اللّه تعالى

---

(۱)- سورة الاعراف (الآية ۱۴۵)

(۲)- سورة الأعراف (الآية ۱۷۱)

(۳)- سورة الفرقان (الآية ۳۲)

(۴) سورة التوبة (الآية ۴۰)

(۵)- سورة الاسراء (الآية ۱۰۶)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۳۴

لإنزال القرآن مفرقا و هى قراءة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم له على الناس على مكث و قد اشتملت هذه الحكمة العظيمة على مصالح عظيمة للعباد و هى:

(أولا) انتزاع العقائد الفاسدة و العادات الضارة من نفوسهم شيئا فشيئا لما كان متأصلا فى نفوسهم من عبادة الأوثان و الاستقسام بالأنصاب و الأزلام و وأد البنات و نكاح نساء الآباء و إكراه الفتيات على البغاء و قتل الأولاد خشية الإملاق و شن الحروب و الغارات لأوهى الأسباب و التعامل بالربا و فشو الزنا و شرب الخمور و غير ذلك من الأخلاق السيئة.

فنزل القرآن على التدريج ليكون ذلك ملائما للطبائع البشرية التى يشق عليها ترك ما تعودته دفعة واحدة لذلك خاطبهم أولا بإصلاح العقيدة و بتوحيد اللّه حتى إذا أقروا بوجود اللّه و وحدوه خاطبهم بما ينهى عنه الإله و بما يأمر به.

(ثانيا) التدرج فى نشر العقائد الصحيحة و الأخلاق الفاضلة و الأحكام التى بها تصح العبادة و المعاملة.

(ثالثا) تفهم القرآن و تدبر معانيه و الوقوف على أسراره و دقائقه حتى يتمكنوا من العمل به على الوجه الأتم الأكمل فتتربى فى الأمة القوتان النظرية و العملية و لذا ورد عن ابن مسعود أنه قال «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن و العمل بهن».

(رابعا) تيسير حفظه على المسلمين فإنهم قد ابتلوا فى حياة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم بالاضطهاد و الأذى من كفار قريش قبل الهجرة حتى اضطر كثير منهم إلى ترك أهله و ماله و وطنه فرارا بدينه، و بعد الهجرة ابتلوا كثيرا بمعاداة اليهود و المنافقين و بالحروب التى قامت بينهم و بين قريش و كانت سببا فى تمكين الإسلام و نشره.

فلو أن القرآن نزل جملة واحدة لما وسعهم حفظه مع هذه الأحوال التى يعتبر حفظهم للقرآن مع نزوله مفرقا و قيامها من أعظم الأدلة على تصديق وعد اللّه فى قوله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۱» فانظر إلى هذه الحكمة التى ذكرها اللّه تعالى بقوله لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ قد انتظمت أربع حكم

---

(۱)- سورة الحجر (الآية ۹)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۳۵

و هى التدرج فى تطهير الأمة من العقائد الفاسدة و العادات السيئة و التدرج فى تعليمها الأخلاق الفاضلة و العبادات النافعة و التمكين لها فى فهم القرآن و معرفة أسراره و التيسير عليها فى حفظه و استظهاره حتى صارت الأمة حاملة لواء الدين حامية لذماره، و بهذا كله أمكن لهؤلاء السلف أن يبلغوا القرآن للأمم التى لم تكن عربية و لمن بعدهم مع تمام العناية فى حفظه و ضبطه و فهم معانيه و تدبر

أحكامه و ذلك بفضل وعد اللّه بأن يتم نوره و لو كره الكافرون.

۳- مجاراة الحوادث فى تجددها فقد شاءت إرادة اللّه تعالى أنه كلما وقعت حادثة لم يكن حكمها معروفا عند المسلمين أن تنزل آية مبينة لحكمها عقب وقوعها و من البدهى أن هذه الحوادث لم تقع جملة واحدة حتى تنزل آيات بأحكامها دفعة واحدة فكانت الحكمة و المصلحة فى تفريق الآيات الخاصة بأحكام الحوادث التى تقع، و من تلك الحوادث:

حادثة هلال بن أمية مع زوجته التى نزلت فيها آية اللعان و حكمه.

حادثة خولة بنت ثعلبة التى ظاهر منها زوجها و نزلت فيها آية الظهار و حكمه.

حادثة الإفك التى نزلت فيها آيات ببراءة السيدة عائشة و حكم الإفك و أهله.

حادثة زيد مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم التى أنزل فيها حكم التبنى فى الاسلام و أثره و غير ذلك من الجزئيات التى لو تتبعناها لطال بنا المقال.

۴- إجابات السائلين الذين كانوا يوجهون إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أسئلة إما بقصد معرفة الحكم أو بقصد التثبت من رسالته صلّى اللّه عليه و سلّم و من النوع الأول يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ «۱» يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ «۲» وَ يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ «۳» و من النوع الثانى وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى «۴» وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ «۵» الخ و من المعلوم أن هذه الأسئلة لم تقع جملة فى وقت واحد، بل وقعت متفرقة فى أوقات مختلفة لأغراض متنوعة فكان نزول

---

(۱)- سورة البقرة (الآية ۱۸۹)

(۲)- سورة البقرة (الآية ۲۱۹)

(۳)- سورة البقرة (الآية ۲۱۹)

(۴) سورة الإسراء (الآية ۸۵)

(۵) سورة الكهف (الآية ۸۳)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۳۶

القرآن مفرقا بإجاباتها طبق وقوعها و فى ذلك الدليل الواضح على أنه صلّى اللّه عليه و سلّم ما كان يشرع الأحكام من تلقاء نفسه و ما كان يخبر عما غاب عنه و لم يكن حاضرا له بمقتضى علم عنده، و إنما ذلك كله من لدن الحكيم الخبير الذى أرسله رحمة للعالمين و لكون ذلك من علامات صدقه صلّى اللّه عليه و سلّم فقد حملت الكثيرين من أهل الكتاب و المعاندين على تصديقه و الاستجابة لدعوته.

۵- كشف حال المنافقين و إبراز مكنون أسرارهم فيما كانوا يخفونه على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و من آمن معه و ما كانوا يظاهرون به الكفار و أهل الكتاب ليأمن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم شرهم و يقف المؤمنون على أحوالهم فلا يغتروا بأقوالهم و أفعالهم سيما و قد كان المنافقون متظاهرين بالإسلام و هم مختلطون بالمسلمين واقفون على أسرارهم و أحوالهم فكانوا كلما عزموا أمرا نقضه اللّه أو بيتوا كيدا أظهره اللّه فأظهر فضائحهم و جعل مكنون أسرارهم معلوما لرسوله و لمن آمن معه من المؤمنين و ذلك بإنزال القرآن فى شأنهم كلما فعلوا ذلك حتى بطل كيدهم و مكن اللّه بنصره للنبى و المؤمنين.

و إن شئت أن تقف على نموذج مما ورد فى شأنهم فاقرأ قوله تعالى:

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ- الآيات حتى قوله- إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ «۱» فى سورة البقرة، و قوله تعالى فى سورة النساء:

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَ إِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ قالُوا أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَ نَمْنَعْكُمْ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ- الآيات حتى قوله- وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا «۲» و قوله تعالى فى سورة الحشر أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ «۳»- إلى آخر الآيات- و قوله تعالى فى سورة المنافقين

---

(۱)- سورة البقرة (الآيات ۸: ۲۰)

(۲)- سورة النساء (الآيات ۱۴۱: ۱۴۳)

(۳)- سورة الحشر (الآية ۱۱)

إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ- الآيات حتى قوله- وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ «۱» و غير ذلك من الآيات التى كانت تنزل تنبيها للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و تحذيرا للمؤمنين حتى يكونوا دائما بمأمن من كيدهم فإن العدو الخفى المخالط أضر و أنكى من العدو الظاهر المباين فللّه الحمد لا نحصى ثناء عليه.

۶- تنبيه المؤمنين من وقت لآخر على ما كان يحصل منهم من خطأ فى غزواتهم مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و تحذيرهم من عواقب المخالفة و بيان الامتنان عليهم بالنصر مع القلة و فى ذلك من كمال التأديب و التهذيب ما بلغوا بسببه أسباب النصر. انظر إلى ما قصه اللّه فى سورة آل عمران بشأن غزوتى بدر و أحد من الامتنان و التنبيه و التحذير، و ما قصه اللّه بشأن غزوات حنين و الأحزاب و غير ذلك.

و بدهى أن تلك الغزوات و ما وقع فيها لم تكن جملة واحدة فكان ما يقصه اللّه تعالى بشأنها مفرقا بمنزلة تعهد السيد الرحيم بعبيده من وقت لآخر كلما حدثت منهم مخالفة ذكرهم بالنعمة حتى يكونوا دائما قائمين عند أمره و نهيه و للّه المثل الأعلى فهو أبر بالمؤمنين من السيد بعبيده بل أرحم بهم من أنفسهم.

۷- تثبيت المؤمنين بما كان يقصه القرآن من وقت لآخر من أحوال الأمم الماضية و كيف كانت عاقبة من آمن و اتبع رسوله و أن النصر مع الصبر و أن الفوز باتباع أوامر اللّه و اجتناب نواهيه و أن عاقبة المكذبين الهلاك و الدمار و قد تكرر ذلك فى القرآن فى غير ما آية مما لو تتبعناه لخرجنا عن حد الاختصار و قد كان لذلك أعظم الأثر فى ثبات المسلمين و تثبيتهم و فى هذا الذى ذكرناه كفاية لمن أراد تعرف حكمة نزول القرآن مفرقا و فيه أبلغ رد على من حاول الاعتراض على نزول القرآن مفرقا و هناك حكم كثيرة يطول المقام بذكرها و قد اقتصرنا على الأهم منها.

---

(۱)- سورة المنافقون (الآية ۱: ۸)

أول ما نزل و آخر ما نزل

اشارة

هذا البحث من المباحث العظيمة يتعلق به فوائد مهمة:

«منها» معرفة الناسخ من المنسوخ عند التعارض «و منها» معرفة التدرج فى التشريع كمعرفة الآيات التى وردت فى شأن الخمر «و منها» معرفة تاريخ التشريع الاسلامى إذا علم أن الآيات الدالة على وجوب شهر رمضان نزلت فى مكان كذا فى سنة كذا مثلا.

و هـذا البحث عمـدته النقل و لا طريق فيه للعقل، ثم أولية النزول و آخريته تارة تكون على الإطلاق يعنى أولية النزول على الإطلاق و آخريته على الإطلاق و تارة تكون بالنسبة إلى موضوع معين و تسمى أوليـة مقيـدة و آخريـة مقيدة كأول ما نزل فى الخمر و آخر ما نزل فيه، و أول مـا نزل فى القتـال و آخر مـا نزل فيه، و أول مـا نزل فى الربا و آخر ما نزل فيه، و أول ما نزل فى الميراث و آخر ما نزل فيه و هكذا.

و كلامنـا الآـن فى أول مـا نزل على الإطلاـق و آخره على الإطلاق و أما الأوائل و الأواخر المقيـدة بموضوع معين فهى كثيرة يستلزم ذكرها استقراء تاما مع ذكر جميع الروايات الصحيحة فى ذلك، و ذلك مما يحتاج إلى مؤلف مطول خاص لذا اقتصرنا على بيان أول ما نزل على الإطلاق و آخره و ذكر الروايات فى ذلك و طرق الجمع بينها فنقول:

(أول ما نزل)

و فيه أربعـة أقوال: «أولهـا» أن أول مـا نزل «اقرأ» و هو مروى عن عائشـة رضـى اللّه عنهـا و به قـال قتـادة و أبو صالـح و يؤيـده ما رواه الشـيخان و غيرهما عن عائشـة قالت «أول ما بدئ به رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءته مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج ۱، ص: ۳۹

يأتى حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد و يتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضى اللّه عنها فتزوده لمثلها حتى جاءه الحق و هو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم: فقلت: ما أنا بقارئ، فأخـذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهـد ثم أرسـلنى فقـال، اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ حتى بلغ مـا لَمْ يَعْلَمْ فرجع بها رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم ترجف بوادره» إلى آخر الحديث.

و أخرج الحـاكم فى المسـتدرك و البيهقى فى الـدلائل و صـححاه عن عائشـة «قـالت أول سورة نزلت من القرآن اقرأ بـاسم ربك» و أخرج الطبرانى فى الكبير بسـند على شـرط الصـحيح عن أبى رجـاء العطـاردى قـال: كـان أبو موسـى يقرئنا فيجلسـنا حلقا، عليه ثوبان أبيضـان فـإذا تلاـ هـذه السورة اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ قال هـذه أول سورة نزلت على محمـد صـلّى اللّه عليه و سـلّم» و قـد وردت روايات كثيرة أخرى تؤيد هذا القول و هو الصحيح المشهور عند الرواة.

(القول الثانى أن أول ما نزل (يا أيها المدثر) و روى هذا القول عن جابر، روى الشيخان عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال سألت جابر بن عبـد اللّه أى القرآن أنزل قبل قال يا أيها المدثر قلت أو اقرأ باسم ربك قال أحدثكم ما حدثنا به رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم قـال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم إنى جـاورت بحراء فلمـا قضـيت جوارى نزلت فاسـتبطنت الوادى فنظرت أمـامى و خلفى و عن يمينى و شمالى ثم نظرت إلى السماء فاذا هو- يعنى جبريل- فأخذتنى رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثرونى فأنزل اللّه «يا أيها المدثر قم فأنذر».

و قد علمت أن القول الأول هو الصحيح و يجاب عن حديث جابر بأمور:

«أولهـا» أن كلاـم جابر فى أول سورة نزلت بكمالها و سورة المـدثر نزلت بكمالها قبل تمام سورة اقرأ، و يؤيـد ذلك ما رواه الشـيخان عن جابر نفسه قال سـمعت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم و هو يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه «بينا أنا أمشى سمعت صوتا من السـماء فرفعت رأسـى فـإذا الملـك الـذى جـاءنى بحراء جـالس على كرسـى بين السـماء و الأرض فرجعت فقلت زملونى زملونى فدثرونى

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج ۱، ص: ۴۰

فأنزل اللّه يأيها المدثر» و لا شک أن قوله فی هذه الروايۀ فإذا الملک الذی جاءنی بحراء يدل علی أن هذه القصۀ متأخرۀ عن قصۀ حراء التی نزل فيها اقرأ:

و يدل بالأولی علی تأخير نزول المدثر عن نزول اقرأ إلا أن تحمل روايۀ جابر الأولی علی ما قدمنا فتکون أوليۀ المدثر مقيدۀ بالسورۀ الکاملۀ و ليس المراد بها الأوليۀ المطلقۀ.

(ثانيهما) أن مراد جابر بأوليۀ المدثر أوليۀ مقيدۀ أيضا بما بعد فترۀ الوحی لا الأوليۀ المطلقۀ.

(ثالثهما) أن المراد بها أوليۀ مقيدۀ بالإنذار لا أوليۀ مطلقۀ، و علی کل فما قاله علی أحد هذه الأجوبۀ لا يعارض الصحيح الذی روی عن عائشۀ.

(القول الثالث) أن أول ما نزل سورۀ فاتحۀ الکتاب و قد استند صاحب هذا القول إلی ما أخرجه البيهقی فی الدلائل و الواحدی من طريق يونس بن بکير عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبی ميسرۀ عمر بن شرحبيل أن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم قال لخديجۀ و إنی إذا خلوت وحدی سمعت نداء فقد و اللّه خشيت علی نفسی أن يکون هذا أمرا فقالت معاذ اللّه ما کان اللّه ليفعل بک فو اللّه إنک لتؤدی الأمانۀ و تصل الرحم و تصدق الحديث، فلما دخل أبو بکر ذکرت خديجۀ حديثه له و قالت اذهب مع محمد إلی ورقۀ فانطلقا فقصا عليه فقال إذا خلوت وحدی سمعت نداء خلفی يا محمد يا محمد فانطلق هاربا فی الأفق فقال لا تفعل إذا أتاک فاثبت حتی تسمع ما يقول ثم ائتنی فأخبرنی فلما خلا ناداه يا محمد قل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ «حتی بلغ» وَ لَا الضَّالِّينَ و هذا الحديث مرسل و إن کان رجاله ثقات فلا يعارض حديث عائشۀ المرفوع.

(القول الرابع) أن أول ما نزل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ حکاه ابن النقيب فی مقدمۀ تفسيره، أخرج الواحدی بإسناده عن عکرمۀ و الحسن قالا: أول ما نزل من القرآن بسم اللّه الرحمن الرحيم و أول سورۀ «اقرأ»، و هذا لا ينبغی أن يعد قولا برأسه فإنه من ضرورۀ نزول السورۀ نزول البسملۀ معها و علی ذلک فتکون البسملۀ أول آيۀ علی الإطلاق و قد نزلت مع اقرأ و بهذا قد تبين أن القول الأول هو الحق و اللّه أعلم.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۴۱

آخر ما نزل

قد اختلف فی بيان آخر ما نزل من القرآن علی أقوال کثيرۀ کلها مستندۀ إلی آثار ليس فيها شیء مرفوع و إليک الأقوال مع ذکر ما استند إليه کل قول من الروايات:

«أولها» أن آخر ما نزل قوله تعالی يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِیَ مِنَ الرِّبا «۱» أخرجه البخاری عن ابن عباس أن آخر آيۀ نزلت آيۀ الربا و روی البيهقی عن عمر مثله.

(ثانيها) أن آخر ما نزل وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَی اللَّهِ «۲» الآيۀ، أخرجه النسائی من طريق عکرمۀ عن ابن عباس و روی عن سعيد بن جبير أنه قال آخر ما نزل من القرآن کله وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَی اللَّهِ الآيۀ و عاش النبی صلّی اللّه عليه و سلّم بعد نزول هذه الآيۀ تسع ليالی ثم مات ليلۀ الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول.

(ثالثها) أن آخر القرآن نزولا آيۀ الدين «۳». أخرج أبو عبيد فی الفضائل عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهدا بالعرش آيۀ الربا و آيۀ الدين.

و أخرج ابن جرير من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آيۀ الدين» مرسل صحيح الإسناد و بالنظر فی هذه الأقوال الثلاثۀ يظهر أنه لا تنافی بينها لأن الظاهر أنها نزلت دفعۀ واحدۀ طبق ترتيبها فی المصحف و لأنها فی قصۀ واحدۀ فأخبر کل عن بعض ما نزل بأنّه آخر ما نزل و علی ذلک فهذه الأقوال الثلاثۀ تعتبر قولا واحدا و هو الصواب.

(القول الرابع) أن آخر آية نزلت يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ «۴» و آخر سورة نزلت براءة روى ذلك البخارى و مسلم عن البراء بن عازب.

---

(۱)- سورة البقرة (الآية ۲۷۸)

(۲)- سورة البقرة (الآية ۲۸۱)

(۳)- سورة البقرة (الآية ۲۸۲)

(۴) سورة النساء (الآية ۱۷۶)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۴۲

(القول الخامس) آخر سورة نزلت (إذا جاء نصر اللّه و الفتح) أخرجه مسلم عن ابن عباس.

(القول السادس) آخر ما نزل سورة المائدة أخرجه الترمذى و الحاكم عن عائشة.

(القول السابع) آخر آية وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ «۱» أخرجه البخارى عن ابن عباس.

(القول الثامن) آخر ما نزل آية فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ «۲»- إلى آخر الآية- و هو مروى عن أم سلمة.

(القول التاسع) آخر آية نزلت لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ «۳» إلى آخر السورة- و هو مروى عن أبى بن كعب.

هذه هى الأقوال و الآثار التى وردت مؤيدة لها، و هى بحسب الظاهر متعارضة، و لبيان الجمع بينها نقول: قد علمت مما سبق أن ما ورد فى آية الربا و الدين لا تنافى فيه، لأنها نزلت دفعة واحدة طبق ترتيبها فى المصحف، و الظاهر أنها آخر ما نزل على الاطلاق، لكثرة الآثار الواردة فيها و قوتها، و أما الأقوال الأخرى فيحمل كل قول منها على آخرية مخصوصة مقيدة.

فيقال: إن آية وَ يَسْتَفْتُونَكَ آخر ما نزل فى شأن المواريث، و آية وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً آخر ما نزل فى شأن القتل، و آية فَاسْتَجابَ لَهُمْ آخر ما نزل فيه تصريح بذكر النساء، و سورة إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ آخر ما نزل مشيرا إلى وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و آية لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ آخر ما نزل من سورة براءة «و سورة براءة» آخر ما نزل فى شأن القتال و لم يطرأ عليه نسخ، و سورة المائدة آخر ما نزل من الحلال و الحرام و لم يطرأ عليه نسخ، بدليل قول السيدة عائشة فما وجدتم فيها من حلال فأحلوه، هذه طريقة الجمع و التوفيق بين ما رجحناه من أن آخر ما نزل آية الربا و الدين و بين ما ورد من الآثار الأخرى.

---

(۱)- سورة النساء (الآية ۹۳)

(۲)- سورة آل عمران (الآية ۱۹۵)

(۳)- سورة التوبة (الآية ۱۲۸: ۱۲۹)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۴۳

و قال القاضى أبو بكر فى الانتصار: هذه الأقوال ليس فيها شىء مرفوع إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و كل قاله بضرب من الاجتهاد و غلبة الظن و يحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى اليوم الذى مات فيه، أو قبل مرضه بقليل و غيره سمع منه بعد ذلك، و إن لم يسمعه هو ... و يحتمل أيضا أن تنزل هذه الآية التى هى آخر آية تلاها الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها فيظن أنه آخر ما نزل فى الترتيب. ا ه نقله فى الاتقان.

و قد استشكل على جميع الأقوال السابقة بأن قوله تعالى الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً «۱» نزل بعرفة عام حجة الوداع، و ظاهره إتمام جميع الفرائض و الأحكام و الحلال و الحرام قبلها فيكون ذلك آخر ما نزل مع أن أكثر الأقوال السابقة يقتضى نزول أحكام و حلال و حرام بعدها مثل ما ورد فى آية الربا و الدين و آية الكلالة، و آية القتل و سورة المائدة

و سورة براءة و قد أجاب عن هذا الإشكال ابن جرير و قال: الأولى أن يتأول- يعنى قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ- على أنه أكمل لهم دينهم بإقرارهم فى البلد الحرام و إجلاء المشركين عنه حتى حجه المسلمون لا يخالطهم المشركون.

ثم أيده بما أخرجه من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال: كان المشركون و المسلمون يحجون جميعا فلما نزلت براءة نفى المشركون عن البيت و حج المسلمون لا يشاركهم فى البيت الحرام أحد من المشركين فكان ذلك من تمام النعمة وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، ا ه و على هذا فلا تكون هذه الآية منافية لما قيل إنه آخر ما نزل.

---

(۱)- سورة المائدة (الآية ۳)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۴۵

المبحث الثالث أسباب النزول

اشارة

- فائدة معرفة أسباب النزول- طريق معرفة سبب النزول- تعدد الروايات فى سبب النزول- تعدد المنزل مع كون السبب واحدا- عموم اللفظ و خصوص السبب

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۴۶

أسباب النزول

«سبب النزول» معناه هو ما نزلت الآية أيام وقوعه متضمنة له أو مبينة لحكمه.

قولنا «ما نزلت الآية» أى حادثة أو واقعة، أو سؤال، مثل:

آيات الظهار و اللعان و الخمر، و آيات الروح، و الساعة و ذى القرنين و غيرها، فإن آياتها نزلت «متضمنة» أى مشتملة» عليها أيام وقوعه، أى فى إبان حدوثها.

فخرج بذلك ما تضمنته الآية بعد أيام وقوعه، كالآيات المشتملة على قصص الأنبياء السابقين و أممهم فإن هذه القصص لا تعتبر أسباب نزول و إنما هى أخبار عن حوادث سابقة، دعا إلى ذكرها مقامات و كذا الآيات المتضمنة لأمور مستقبلية كالآيات المتضمنة لاحوال اليوم الآخر و ما فيه فإن ما تضمنته لا يعتبر سبب نزول، و كذلك الآيات الإخبارية، أو المتضمنة لأحكام إنشائية فليس لها أيضا سبب نزول، و على هذا فالقرآن الكريم من حيث نزوله على قسمين:

(أولهما) ما نزل ابتداء غير مبنى على سبب من سؤال أو حادثة (ثانيهما) ما نزل مبنيا على سبب من سؤال أو حادثة، و السؤال أو الحادثة التى نزلت الآية متضمنة له أيام وقوعه، هو المعبر عنه بسبب النزول و قد عرفت معناه.

فائدة معرفة سبب النزول

الفائدة الأولى: الوقوف على معنى الآية و إزالة الإشكال و قد قال الواحدى لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها، و قال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القرآن، و قال ابن تيمية معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب و لنذكر أمثلة كان معرفة السبب فيها عونا على فهم المراد من القرآن و زوال الإشكال.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۴۷

منها- أن مروان ابن الحكم قد أشكل عليه معنى قوله تعالى لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا «۱» الآية و قال لئن كان كل امرئ فرح بما أوتى و أحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا، لنعذبن أجمعين، حتى بين له ابن عباس أن الآية نزلت فى أهل الكتاب، حين سألهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عن شيء فكتموه إياه و أخبروه بغيره، و أروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه، و استحمدوا بذلك إليه أخرجه الشيخان.

«و منها» أنه أشكل على بعض الأئمة معنى الشرط فى قوله تعالى وَ اللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ «۲» و توهم أن اليائسة لا عدة عليها فلما عرف السبب و هو أنه لما نزلت الآية التى فى سورة البقرة فى عدد النساء قالوا قد بقى عدد من عدد النساء لم يذكرن، الصغار و الكبار، فنزلت أخرجه الحاكم عن أبى فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم حكم عدة اليائسات من النساء و ارتاب هل عليهن عدة أولا، و هل عدتهن كما ذكر فى سورة البقرة أولا، فمعنى الشرط «و هو إن ارتبتم» إن أشكل عليكم حكمهن و جهلتم كيف يعتدون فهذا حكمهن.

(و منها) أن عروة بن الزبير فهم عدم فرضية السعى بين الصفا و المروة فهما من ظاهر قوله تعالى إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما «۳» فإن الآية نفت الجناح (الإثم) و هذا لا يقتضى الفرضية بظاهره حتى ردت عليه السيدة عائشة رضى اللّه عنها و بينت له سبب نزولها و هو أن الصحابة تأثموا من السعى بينهما لأنه من عمل الجاهلية ا ه.

أى فقد نزلت الآية لنفى ما توهموا و هو الإثم على من سعى بينهما.

فهذه الأمثلة و كثير غيرها تدل على أن لمعرفة سبب النزول أثرا كبيرا فى معرفة المعنى و بذلك ترتفع إشكالات كثيرة و تزول أوهام باطلة و لو لا معرفة السبب لظلت راسخة و من هنا كانت عناية السلف بمعرفة أسباب النزول عظيمة.

---

(۱) سورة آل عمران (الآية ۱۸۸)

(۲) سورة الطلاق (الآية ۴)

(۳) سورة البقرة (الآية ۱۵۸)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۴۸

(الفائدة الثانية) معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم فإن ذلك قد يعرف من سبب النزول و ذلك مثل سبب نزول قوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ «۱» و سبب نزول قوله تعالى فى سورة الأحزاب وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا «۲» فإن الحكمة فى الأولى دفع التخليط فى الصلاة قراءة و أفعالا، و الحكمة فى الثانية ذكرها اللّه بقوله لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ إلخ.

(الفائدة الثالثة) تخصيص الحكم بصورة السبب عند من لا يلتفت إلى عموم اللفظ، فهذا لا بد له من معرفة السبب، حتى يجعل الحكم مقصورا عليه، أى المستفاد من الآية و أما حكم غيره فهو ثابت بالقياس عنده، فلو لم يعرف السبب لا يخص به الحكم و لا يمكنه أن يقيس عليه مثل آية الظهار و غيرها.

(الفائدة الرابعة) معرفة بقاء صورة السبب قطعا و عدم إخراجها من العام بالتخصيص فى حالة ما إذا قام الدليل على تخصيص العام فإنه متى عرف السبب علم أن حكمه باق قطعا، و أن التخصيص لم يتناوله، و أن الذى خرج من العام هو ما عداه و لو لم يعرف سبب النزول لتوهم أنه ضمن ما خرج بالتخصيص مع أن ذلك مخالف للاجماع.

(الفائدة الخامسة) معرفة من نزلت فيه الآية و تعيين المبهم فيها و لذلك أمثلة فى القرآن كثيرة.

(۱) سورة النساء (الآية ۴۳)

(۲) سورة الأحزاب (الآية ۳۷)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۴۹

طريق معرفة سبب النزول

طريق العلم بسبب النزول الرواية الصحيحة، قال الواحدى فى كتابه أسباب النزول: و لا يحل القول فى أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية و السماع ممن شاهدوا التنزيل و وقفوا على الأسباب و بحثوا عن عللها وجدوا فى الطلب. ا ه و معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا و ربما لم يجزم بعضهم فقال أحسب هذه الآية نزلت فى كذا.

و قد قرر ابن الصلاح و الحاكم و غيرهما فى علوم الحديث أن الصحابى الذى شهد الوحى و التنزيل إذا أخبر عن آية أنها نزلت فى كذا فإنه حديث مسند أى لأن قول الصحابى فيما لا مجال للرأى و الاجتهاد فيه، بل عمدته النقل و السماع محمول على سماعه من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لأنه يبعد جدا أن يقول ذلك من تلقاء نفسه لذا قرروا: إن رواية الصحابى فيما كان من هذا النوع كأسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و تعيين بعض مبهمات القرآن، لها حكم المرفوع.

و أما قول التابعى فى ذلك فهو مرسل، فإذا اعتضد بمرسل آخر، و كان الراوى له من أئمة التفسير قبل، و قد ذكرنا مثل ذلك فى بحث التفسير بالمأثور، و لا يجوز القول فى سبب النزول بغير علم، روى الواحدى بسنده عن ابن عباس قال .. قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم «اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار و من كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار» ثم قال: و السلف الماضون رحمهم اللّه كانوا من أبعد الغاية احترازا عن القول فى نزول الآية و روى أيضا عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال اتق اللّه و قل سدادا، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن.

فهذا كله وعيد لمن يقول فى أسباب النزول و هو غير واثق مما يقول.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۵۰

عبارات الرواة فى سبب النزول على ضربين

(أحدهما) قولهم «سبب نزول هذه الآية كذا» و هذه العبارة نص فى بيان السبب.

(الثانية) قولهم «نزلت هذه الآية فى كذا» و هذه ليست نصا فى بيان السبب بل هى محتملة لأن يكون المراد بها بيان ما تضمنته الآية من الحكم و لأن يكون المراد بها بيان سبب النزول

بيان تعدد الرويات فى سبب النزول

لتعدد الروايات فى أسباب النزول أحوال:

(أحدها) أن يقول راويان أو أكثر نزلت هذه الآية فى كذا، و كل يقول غير ما يقوله الآخر، و قد تقدم أن هذه العبارة ليست نصا فى بيان السبب فيراد بها التفسير و بيان الحكم فإذا كان اللفظ يحتمل قول كل حمل على الجميع و لا منافاة و إلا تعين ما يقتضيه اللفظ أو تؤيده الأدلة.

(ثانيها) أن يقول أحدهما نزلت فى كذا، و يقول الآخر سبب نزول هذه الآية كذا، فالعبارة الثانية نص فى بيان السبب عليها المعتمد فى ذلك، و أما الأولى فلا يعول عليها حينئذ فى بيان السبب، و مثال ذلك ما رواه البخارى عن ابن عمر قال: أنزلت نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ

«۱» فى اتيان النساء فى أدبارهن» أى فى تحريم ذلك و لا شك أن هذا من ابن عمر استنباط لبيان الحكم و أما ما رواه مسلم عن جابر قال (كانت اليهود تقول من أتى امرأة من دبرها فى قبلها جاء الولد أحول) فأنزل اللّه نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ الآية فإنه صريح فى ذكر السبب فكان هو المعتمد فى ذلك و هاتان الحالتان لم يصرح فيهما كل منهما أو أحدهما بالسببية.

---

(۱) سورة البقرة (الآية ۲۲۳)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۵۱

أما أن يذكر كل من الراويين أو أكثر سببا غير الذى يذكره الآخر و يصرح بذكر السببية ففى هذه الحالة إما أن يستوى الإسنادان فى الصحة أو لا، و فى حالة الاستواء إما أن يمكن الترجيح بينهما أو لا، و فى حالة عدم إمكان الترجيح إما أن يمكن نزول الآية عقب السببين أو لا. فههنا أربعة أحوال:

۱- عدم استواء الإسنادين فى الصحة.

۲- استواؤهما مع إمكان الترجيح بينهما.

۳- استواؤهما مع عدم إمكان الترجيح بينهما و مع إمكان نزول الآية عقب كل منهما ۴- استواؤهما مع عدم إمكان الترجيح و عدم إمكان نزول الآية عقب كل منهما فهذه أربع حالات نبين حكم كل منها مع التمثيل لها:

الأولى أن يذكر راو سببا و يذكر الآخر سببا غيره و إسناد أحدهما صحيح و الآخر ليس صحيحا فالصحيح هو المعتمد فى بيان السبب «مثاله» ما أخرجه الشيخان و غيرهما عن جندب «اشتكى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل اللّه وَ الضُّحى وَ اللَّيْلِ إِذا سَجى ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلى و ما أخرجه الطبرانى و ابن أبى شيبة عن حفص بن ميسرة عن أمه عن أمها و كانت خادمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم «أن جروا دخل بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فدخل تحت السرير فمات فمكث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أربعة أيام لا ينزل عليه الوحى فقال يا خولة ما حدث فى بيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم .. جبريل لا- يأتينى .. فقلت فى نفسى لو هيأت البيت و كنسته .. فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو.

فجاء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ترعد لحيته و كان إذا نزل عليه الوحى أخذته، الرعدة فأنزل اللّه وَ الضُّحى إلى قوله فَتَرْضى فهذان إسنادان كل منهما ذكر سببا للنزول غير ما ذكره الآخر و الإسناد الأول هو الصحيح لذا كان هو المعتمد، و قد قال ابن حجر فى شرح البخارى قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب و فى إسناده من لا- يعرف فالمعتمد ما فى الصحيح.

(الحالة الثانية) أن يستوى الإسنادان فى الصحة مع تعدد السبب و يمكن ترجيح أحدهما على الآخر بوجه من وجوه الترجيح فالراجح هو السبب «مثاله»

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۵۲

ما أخرجه البخارى عن ابن مسعود قال «كنت أمشى مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لو سألتموه فقالوا: حدثنا عن الروح فقام ساعة و رفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحى ثم قال قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا «۱» و ما أخرجه الترمذى و صححه عن ابن عباس قال: قالت: قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل.

فقالوا اسألوه عن الروح فسألوه فأنزل اللّه وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ الآية، فالإسناد الأول أن السؤال كان فى غير مكة و أن السائل اليهود. و الإسناد الثانى يقتضى أن السؤال كان فى مكة و أن السائل قريش بعد الاستفهام من اليهود. و الإسنادان صحيحان و يرجح الأول

بوجهين «أحدهما» أنه رواية البخارى و هى أرجح من رواية الترمذى و «ثانيهما» أن الراوى فى الإسناد الأول و هو ابن مسعود كان حاضر القصة لأنه يقول «كنت أمشى مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلخ» بخلاف الراوى فى الإسناد الثانى و هو ابن عباس فإنه لم يكن حاضرا للقصة و حضور الراوى للقصة مرجح لروايته على غيره.

(الحالة الثالثة) أن يستوى الإسنادان فى الصحة و لا مرجح لأحدهما و يمكن الجمع بينهما و الأخذ بهما بأن لا يكون بينهما تباعد فيحمل ذلك على تعدد الأسباب لآية واحدة و لا مانع متى كانت الآية مفيدة لحكم السببين «و مثاله» ما أخرجه البخارى من طريق عكرمة عن ابن عباس «أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بشريك بن سمحاء فقال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم البينة أو حد فى ظهرك فقال يا رسول اللّه إذا وجد أحدنا مع امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فأنزل عليه وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ «۲» حتى بلغ إِنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ، و ما أخرجه الشيخان عن سهل بن سعد قال جاء عويمر إلى عاصم بن عدى فقال اسأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أ رأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا يقتله أ يقتل به، أم كيف يصنع؟

فسأل عاصم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فعاب السائل فأخبر عاصم عويمرا فقال: و اللّه لآتين رسول اللّه عليه و سلّم فلأسألنه، فأتاه فقال: إنه نزل فيك و فى صاحبتك قرآن ...»

---

(۱) سورة الإسراء (الآية ۸۵)

(۲) سورة النور (الآية ۶)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۵۳

فهذان الإسنادان صحيحان و لا مرجح لأحدهما عن الآخر و يمكن الأخذ بهما معا و يحمل ذلكم على أن أول من سأل هلال بن أمية و صادف مجىء عويمر قبل إجابته، فنزلت الآية فى شأنهما معا مبينة لحكم الحادثة التى وقعت لكل منهما و هى من نوع واحد و لا مانع من ذلك.

(الحالة الرابعة) أن يستوى الإسنادان فى الصحة و لا مرجح لأحدهما و لا يمكن الجمع بينهما و الأخذ بهما معا، فيحمل ذلك على تكرر نزول الآية الواحدة عقب كل من السببين أو الأكثر، و لا مانع من تكرر النزول تعظيما لشأن المنزل و تذكيرا به عند حدوث سببه حتى لا ينسى «و مثاله» ما أخرجه البيهقى و البزار عن أبى هريرة أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم وقف على حمزة حين استشهد و قد مثل به فقال لأمثلن بسبعين منهم مكانك فنزل جبريل و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم واقف بخواتيم سورة النحل وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ إلى آخر السورة.

و ما أخرجه الترمذى و الحاكم عن أبى بن كعب «قال لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة و ستون و من المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل اللّه وَ إِنْ عاقَبْتُمْ الآية.

فالرواية الأولى تقتضى أن هذه الآية نزلت يوم أحد و الثانية تقتضى أنها نزلت يوم الفتح و قد ثبت أن سورة النحل كلها مكية بما فيها هذه الآية فيحمل على أن هذه الآية نزلت ثلاث مرات أولا بمكة قبل الهجرة ثم ثانيا يوم أحد ثم ثالثا يوم الفتح تذكيرا من اللّه لعباده و تعظيما لشأن ما تضمنته و تمكينا لروح العدل من نفوسهم حتى فى حالة ظفرهم بعدوهم و ظهورهم و ذلك من كمال عناية اللّه بعباده المؤمنين و حسن تأديبهم و تهذيبهم.

فحاصل ما تقدم فى تعدد السبب ستة أحوال أربعة منها مصرح فيها بذكر السبب فى كل من الإسنادين و هى الأربعة الأخيرة و واحدة لم يكن فى إسناديها تصريح بذكر السبب و هى الأولى قبل الأربعة و واحدة صرح فيها بذكر السبب فى أحد الإسنادين دون الآخر و هى الحالة الثانية قبل الأربعة و قد علمتم حكم كل بالتفصيل.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۵۴

تعدد المنزل مع كون السبب واحدا

قد تنزل آيات متعددة متفرقة و يكون السبب لها جميعها واحدا و لا مانع من ذلك لأن الواقعة الواحدة قد ينزل فيها آيات عديدة فى سور شتى «مثال ذلك» ما أخرجه الترمذى و الحاكم عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول لا أسمع اللّه ذكر النساء فى الهجرة بشيء فانزل اللّه فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ «۱» و ما أخرجه الحاكم عنها أيضا: قالت: قلت: يا رسول اللّه تذكر الرجال و لا تذكر النساء فأنزلت:
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ «۲» و أنزلت أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى فهاتان آيتان متفرقتان نزلتا لسبب واحد، و هو كلام السيدة أم سلمة رضى اللّه عنها و لا مانع من ذلك كما تقدم ملخصا من الإتقان و غيره مع بعض إيضاح.

---

(۱) سورة آل عمران (الآية ۱۹۵)

(۲) سورة الأحزاب (الآية ۳۵)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۵۵

آراء العلماء فى عموم لفظ الآية إذا كان سببها خاصا

هذا البحث قد عنى به علماء الأصول عناية تامة لأنهم ينظرون فى حالة الدليل من عموم و خصوص و إطلاق و تقييد و غير ذلك و منشأ خلافهم فى اعتبار عموم لفظ الآية مع خصوص السبب، أن بعضهم نظر إلى عموم اللفظ من حيث هو بقطع النظر عن السبب الخاص فأجرى له حكم العام و بعضهم نظر إلى أن السبب مخصص للفظ الآية العام، و قبل تفصيل الخلاف و الأدلة نذكر أحوال كل من السبب و اللفظ النازل عليه من عموم و خصوص، فنقول:
القسمة العقلية تقتضى أربع صور و هى:
۱- أن يكون كل من السبب و اللفظ عاما.
۲- أن يكون كل منهما خاصا و هذا القسمان ليس محل خلاف بين العلماء لأن المطابقة حاصلة بين السبب الذى هو بمنزلة السؤال و بين اللفظ المنزل عليه الذى هو بمنزلة الجواب له.
۳- أن يكون السبب عاما و اللفظ خاصا، و هذا القسم و إن صح عقلا لكنه لا يصح بلاغة لعدم وجود التطابق بين السؤال و الجواب لأن الجواب حينئذ يكون غير شامل لأفراد السبب فيكون بمنزلة من يقول: هل للمسلمين أن يفعلوا كذا فيجاب بأن لفلان أن يفعل كذا و يترك حال الباقين.
۴- أن يكون اللفظ عاما و السبب خاصا و قد اختلف العلماء فى هذا القسم فذهب «الجمهور» إلى أن العبرة بعموم اللفظ و لا نظر إلى خصوص السبب بمعنى أنه متى كان لفظ الآية عاما و كان سبب نزولها خاصا كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب «مثل» حادثة هلال ابن أمية التى نزل عليها
منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۵۶
قوله تعالى وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْواجَهُمْ ... إلخ «۱» و مثل حادثة الإفك التى نزل عليها قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ ... إلخ «۲» فإن كلا من الحادثين خاص و لفظ الآية الذى نزل على كل منهما عام لأنه اسم موصول و هو من ألفاظ العام و على هذا فيكون حكم الأفراد التى تناولها اللفظ جميعا مستفادا من لفظ الآية سواء فى ذلك الفرد الخاص الذى فى صورة السبب و غيره، فحكم اللعان الثابت

لهلال بن أمیة الذی هو سبب النزول، ثابت لغیر هلال من کل ما ینطبق علیه لفظ الآیة فحکم الجمیع ثابت بالنص و لا یحتاج إلی اجتهاد.

و ذهب غیر الجمهور إلی أن العبرة بخصوص السبب بمعنی أن الحکم خاص بصورة السبب و هو هلال بن أمیة فهو المستفاد من الآیة و أما حکم غیره فلیس مستفادا من النص بل هو ثابت بالقیاس و الاجتهاد.

و محل هذا الخلاف ما لم تقم قرینة أو دلیل علی أن الحکم المستفاد من الآیة قاصر علی السبب الذی نزل علیه الآیة فإذا قامت قرینة أو دلیل علی ذلک فإن الحکم یکون قاصرا علی السبب.

---

(۱) سورة النور (الآیة ۶)

(۲) سورة النور (الآیة ۱۱)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۵۷

أدلة الفریقین

اشارة

استدل الجمهور علی ما ذهبوا إلیه بما یأتی:

«أولا» احتجاج الصحابة و غیرهم فی وقائع بعموم آیات نزلت علی أسباب خاصة و هذا شائع ذائع بینهم و من ذلک اتفاقهم علی تعدیة آیة الظهار و آیة اللعان و آیات القذف و آیة السرقة إلی غیر أسبابها الخاصة و لم یحتاجوا إلی اجتهاد أو قیاس، فدل ذلک علی أن العبرة عندهم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

«ثانیا» لو لم تکن العبرة بعموم اللفظ، للزم استعمال اللفظ العام فی الخاص و صرفه عن ما وضع له بغیر قرینة مانعة من العموم لکن اللازم باطل لأنه خلاف الأصل.

و لقائل أن یقول: إن خصوص السبب مانع من حمل اللفظ علی العموم فهو قرینة صادقة و لکن یدفع هذا القول بأن مجرد خصوص السبب لا یستلزم إخراج غیر السبب من متناول اللفظ العام فلا یصلح أن یکون صارفا عن استعمال اللفظ العام فی معناه الموضوع له و هو جمیع أفراده التی منها صورة السبب و غیره لأن القرینة الصارفة سواء کانت معنویة أو لفظیة لا بد أن تکون مع اللفظ المصروف عن معناه.

و حاصل هذا الدلیل أنه لو کانت العبرة بخصوص السبب لکان اللفظ العام مستعملا علی خلاف الأصل و هو باطل و یکون لا فائدة من إیراده عاما حینئذ بل یکون إیراده عاما موهما، و هذا کله باطل، و بهذا ثبت أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

استدل غیر الجمهور علی ما ذهبوا إلیه بما یأتی:

«الدلیل الأول»: لو کانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لجاز إخراج صورة السبب بالتخصیص لکن التالی باطل وجه الملازمة: إن اللفظ العام یجوز إخراج أی صورة منه بالتخصیص لا فرق بین صورة و أخری و حینئذ فتکون صورة السبب کغیرها فی جواز إخراجها من لفظ العام.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۵۸

و أما وجه بطلان التالی فلأن الإجماع منعقد علی عدم جواز إخراج صورة السبب من العام و حینئذ فلیست العبرة بعموم اللفظ بل بخصوص السبب.

«و یجاب عن هذا الدلیل» بأن عدم جواز إخراج صورة السبب إنما جاء من دلیل آخر و هو الإجماع لا من جهة کونه غیر عام و الدلیل إنما یتم لو أن عدم جواز إخراج صورة السبب جاء من جهة کونه غیر عام و ما هنا لیس کذلک بل جاء من جهة دلیل آخر لا من جهة خصوص اللفظ و علی هذا فالملازمة باطلة فبطل هذا الدلیل و لم یثبت به أن العبرة بخصوص السبب.

«الدلیل الثانی» من أدلة غیر الجمهور لو کانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لما کان لذکر السبب فائدة مع أنهم بالغوا فی بیانه و تدوینه و حفظه لکن التالی و هو عدم الفائدة فی ذکره باطل.

و یدفع هذا الدلیل بمنع انتفاء الفائدة مطلقا لأنه لا یلزم من نفی الفائدة المعینة و هی تخصیص السبب بالحکم نفی الفائدة المطلقة بل لذکر السبب فوائد أخری قد أشرنا إلیها فی أول بحث الأسباب «منها» منع تخصیصه بالاجتهاد «و منها» الاستعانة علی تفسیر معنی الآیة و غیر ذلک فلیست فائدة ذکر السبب محصورة فی تخصیص الحکم به.

«الدلیل الثالث» لو لم تکن العبرة بخصوص السبب لحنث من قال و اللّه لا تغدیت، جوابا لمن قال له: تغد عندی إذا تغدی عند غیره لکنه لا یحنث.

بیان الملازمة أنه لو لم تکن العبرة بخصوص السبب لشمل قوله و اللّه لا تغدیت التغدی عند المخاطب و عند غیره فیحنث إذا تغدی عند غیره و قد قالوا إنه لا یحنث فدل ذلک علی أنهم اعتبروا خصوص السبب.

و الجواب عن هذا الدلیل أنه یتم لو کان عدم الحنث ناشئا من اعتبار خصوص السبب و لیس کذلک بل عدم الحنث بسبب ملاحظة العرف الخاص الذی یقضی بأن الحالف فی مثل ذلکم إنما أراد عدم التغدی عند مخاطبه لا عند کل أحد فیکون العرف قرینة علی إرادة خصوص السبب و کلامنا فیما لم تقم فیه قرینة، فلیست هذه الصورة من محل النزاع فلم یصح هذا الدلیل و لم یثبت به المدعی.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۵۹

«الدلیل الرابع» لو لم تکن العبرة بخصوص السبب بل بعموم اللفظ لکان اللفظ الذی هو بمنزلة الجواب غیر مطابق للسبب الذی هو بمنزلة السؤال لأن السؤال حینئذ یکون خاصا و الجواب یکون عاما و عدم المطابقة باطل لأنه ینافی مقاصد بلاغة القرآن.

و یجاب عن هذا الدلیل أیضا بأننا نمنع الملازمة إذ المطابقة حاصلة لزیادة الجواب عن السؤال و الزیادة لا تخرجه عن المطابقة لأنها عبارة عن تناول الجواب لما تناوله السؤال و لو زاد الجواب، نعم لو کان الجواب خاصا و السؤال عاما لما کانت بینهما مطابقة فهذا الدلیل أیضا لم یتم فلم یثبت به المدعی.

و إذ قد بطلت أدلة غیر الجمهور و ثبتت أدلة الجمهور و کان رأیهم و هو أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هو المعتمد ثم إننا قد أشرنا فی أول هذا البحث إلی أن الکل قائل بعموم الحکم لغیر صورة السبب و أنه متعد إلیه غیر أن الجمهور یقولون بأن العموم مستفاد من النص و أما غیر الجمهور فیقول إن حکم غیر صورة السبب ثابت بالقیاس علی صورة السبب فلیس هناک من یقول إن حکم اللعان مثلا- أو الظهار قاصر علی صورة سببه و هو من نزل فیه لا یتعداه إلی غیره بل الجمیع یقول بأن الحکم شامل و متعد علی الوجه الذی ذکرناه.

و یظهر أن فائدة الخلاف حینئذ هی أن حکم غیر صورة السبب یکون ثابتا بالنص الذی هو قطعی الثبوت و عند غیره یکون ثابتا بالقیاس و هو ظنی لکن إن تأید بإجماع فیکون قطعیا به فتنبه لذلک.

و لهذا قال ابن تیمیة ما نصه: قد یجیء کثیرا من هذا الباب قولهم هذه الآیة نزلت فی کذا لا سیما إن کان المذکور شخصا کقولهم إن آیة الظهار نزلت فی امرأة ثابت بن قیس، و إن آیة الکلالة نزلت فی جابر بن عبد اللّه و إن آیة وَ أَنِ احْکُمْ بَیْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ نزلت فی بنی قریظة و النضیر و نظائر ذلک مما یذکرون أنه نزل فی قوم من المشرکین بمکة أو فی قوم من الیهود و النصاری أو فی قوم من المؤمنین.

فالذین قالوا ذلک لم یقصدوا أن حکم الآیة یختص بأولئک الأعیان دون غیرهم

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۶۰

فإن هذا لا يقوله مسلم و لا عاقل على الإطلاق و الناس و إن تنازعوا فی اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه فلم يقل أحد إن عمومات الكتاب و السنة تختص بالشخص المعين و إنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص فتعم ما يشبهه و لا يكون العموم فيها بحسب اللفظ.

و الآية التی لها سبب معين إن كانت أمرا أو نهيا فهی متناولة لذلك الشخص و لغيره ممن كان بمنزلته. ا ه.

فائدتان:

الأولى: قد تقدم أنه متى كان كل من السبب و اللفظ خاصا كان الحكم قاصرا على ذلك الخاص «مثال ذلك» قوله تعالى وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۱۷ الَّذِی يُؤْتِی مالَهُ يَتَزَكَّی «۱» فإنها نزلت فی أبی بكر رضی اللّه عنه و اللفظ فيها و هو «الأتقى» خاص لأنه أفعل تفضيل مقرون بأل العهدية فيختص بمن نزل فيه و قد استدل الإمام فخر الدين الرازی بهذه الآية مع قوله تعالى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ على أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و بيان الدليل هكذا: أكرم الناس عند اللّه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الأتقى و الأتقى أبو بكر فالأكرم عند اللّه بعد الرسول أبو بكر.

الثانية: قد تنزل الآيات على أسباب خاصة فتوضع مع ما يناسبها من الآيات العامة رعاية لنظم القرآن و حسن السياق فيكون ذلك الخاص قريبا من صورة السبب فی كونه قطعی الدخول «و مثال ذلك» قوله تعالى أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ «۲» فإنها نزلت فی كعب بن الأشرف و نحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على قتال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فنزل كعب على أبی سفيان فأحسن مثواه و نزلت اليهود فی دور قريش فتعاقدوا و تعاهدوا ليجتمعن على قتال محمد، فقال أبو سفيان: إنك تقرأ الكتاب و تعلم و نحن أميون لا نعلم فأينا أهدى سبيلا،

---

(۱) سورة الليل (الآية ۱۷، ۱۸)

(۲) سورة النساء (الآية ۵۱)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۶۱

و أقرب إلى الحق نحن أم محمد؟ فقال كعب: أنتم و اللّه أهدى سبيلا مما عليه محمد، و ذلك مع علمه بنعت النبی صلّى اللّه عليه و سلّم المنطبق عليه فی كتابهم و أخذ المواثيق عليه و على اليهود ألا يكتموا فكان ذلك أمانة فی أعناقهم لم يؤدوها.

و كان قول كعب و من معه إن المشركين أهدى سبيلا من محمد خيانة منهم للأمانة التی ائتمنوا عليها فانجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات بقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها «۱» فالآية الأولى خاصة بأمانة مخصوصة و هی صفة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و نعته و الآية التی بعدها عامة فی كل أمانة و العام تال للخاص فی الرسم متراخ عنه فی النزول.

و لا يرد تأخر نزول آية الأمانات عن التی قبلها بنحو ست سنين لأن الزمان إنما يشترط فی سبب النزول لا فی المناسبة لأن المقصود منها وضع آية فی موضع يناسبها و الآيات كانت تتنزل على أسبابها و يأمر النبی صلّى اللّه عليه و سلّم بوضعها فی المواضع التی علم من اللّه أنها مواضعها «و هذا النوع» و هو الذی ينزل على أسباب خاصة ثم يوضع مع ما يناسبه مثل ما ذكرنا قد اختار فيه ابن السبكی أنه رتبة متوسطة دون السبب و فوق التجرد، أی أنه أخذ طرفا من النازل على سبب خاص و هو ظاهر، و طرفا مما نزل على غير سبب من حيث اندراجه تحت العام، و هذا القدر كاف فی بحث الأسباب و اللّه أعلم.

---

(۱) سورة النساء (الآية ۵۸)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۶۳

المبحث الرابع الأحرف السبعة

اشارة

- الروايات الواردة- أقوال العلماء

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۶۴

الروايات الواردة فی الأحرف السبعة

هذا البحث من الأبحاث التی كثرت فيها أقوال العلماء و آراؤهم بسبب تفسير معنی الأحرف و المراد بها، و حقيقة العدد و بقاء الأحرف للآن أولا، و قد ورد النقل الصحيح عن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم بنزول القرآن علی سبعة أحرف و تضافرت روايات كثيرة علی ذلك و حكم علماء الحديث بصحة هذه الروايات بل قال بعضهم بتواتر الحديث الوارد بنزول القرآن علی سبعة أحرف فقد ورد عن جمع كثير من الصحابة منهم أبی بن كعب، و أنس و حذيفة بن اليمان، و زيد بن أرقم، و سمرة بن جندب، و سلمان بن صرد، و ابن عباس و ابن مسعود، و عبد الرحمن بن عوف، و عثمان بن عفان، و عمر بن الخطاب، و عمرو بن أبی سلمة، و عمرو بن العاص، و معاذ بن جبل، و هشام بن حكيم، و أبو بكرة، و أبو جهم، و أبو سعيد الخدری، و أبو طلحة الأنصاری، و أبو هريرة، فهؤلاء واحد و عشرون صحابيا و قد نص أبو عبيد علی تواتره و أخرج أبو يعلی فی مسنده أن عثمان قال علی المنبر: أذكر اللّه رجلا سمع النبی صلّی اللّه عليه و سلّم قال: «إن القرآن أنزل علی سبعة أحرف كلها شاف كاف» لما قام قال: فقاموا حتی لم يحصوا فشهدوا بذلك فقال: و أنا أشهد معهم.

و سنذكر من الروايات ما ينير لنا الطريق فی معرفة سبب النزول علی سبعة أحرف و حكمته و به يتضح المعنی و يزول الإشكال ثم نتبع ذلك بذكر الأقوال مع بيان الراجح منها و التنبيه علی تزييف ما عداه إن شاء اللّه و اللّه المستعان.

طرف من الروايات علی نزول القرآن علی سبعة أحرف ۱- روی مسلم عن أبی بن كعب: «أن النبی صلّی اللّه عليه و سلّم كان عند «أضاة غدير» بنی غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال إن اللّه يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن علی حرف: فقال أسأل اللّه معافاته و مغفرته و إن أمتی لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال إن اللّه يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن علی حرفين فقال أسأل اللّه معافاته

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۶۵

و مغفرته و إن أمتی لا- تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال: إن اللّه يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن علی ثلاثة أحرف، فقال: أسأل اللّه معافاته و مغفرته و إن أمتی لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن اللّه يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن علی سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا».

۲- روی الترمذی عن أبی بن كعب قال: «لقی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم جبريل: فقال يا جبريل إنی بعثت إلی أمة أمية منهم العجوز و الشيخ الكبير و الغلام و الجارية و الرجل الذی لا يقرأ كتابا قط فقال يا محمد إن القرآن أنزل علی سبعة أحرف» قال هذا حديث حسن صحيح.

۳- روی البخاری و مسلم و غيرهما عن عمر بن الخطاب قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان علی غير ما أقرؤها و كان رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم أقرأنيها فكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتی انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم فقلت يا رسول اللّه: إنی سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان علی غير ما أقرأتنيها فقال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم: أرسله،

اقرأ، فقرأ القراءة التی سمعته یقرأ فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم هکذا أنزلت ثم قال لی اقرأ فقرأت فقال هکذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل علی سبعة أحرف».

۴- روی مسلم عن أبی بن کعب «قال کنت فی المسجد فدخل رجل یصلی فقرأ قراءة أنکرتها علیه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوی قراءة صاحبه فلما قضینا الصلاة دخلنا جمیعا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: فقلت إن هذا قرأ قراءة أنکرتها علیه. و دخل آخر فقرأ سوی قراءة صاحبه فأمرهما النبی صلی اللّه علیه و سلّم فقرأ فحسن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم شأنهما فسقط فی نفسی من التکذیب و لا إذ کنت فی الجاهلیة.

فلما رأی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ما قد غشینی ضرب فی صدری ففضضت عرقا و کأنی أنظر إلی اللّه تعالی فرقا: فقال یا أبی: أرسل إلیّ أن اقرأ القرآن علی حرف فرددت إلیه أن هون علی أمتی فرد إلیّ الثانیة أن أقرأه علی حرفین فرددت إلیه أن هون علی أمتی فرد إلی الثالثة أن أقرأه علی سبعة أحرف و لک بکل ردة رددتکها مسألة تسألنیها «فقلت اللهم اغفر لأمتی و أخرت الثالثة لیوم یرغب إلیّ فیه الخلق کلهم حتی إبراهیم علیه السلام».

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۶۶

و قول أبی رضی و اللّه عنه: فسقط فی نفسی معناه اعترتنی حیرة و دهشة أی أصابته نزغة من الشیطان لیشوش علیه حاله و یکدر علیه وقته فإنه عظم علیه من اختلاف القراءات ما لیس عظیما فی نفسه و إلا فأی شیء یلزم من المحال و التکذیب من اختلاف القراءات و لم یلزم ذلک و الحمد للّه فی النسخ الذی هو أعظم فکیف بالقراءة.

و لما رأی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ما أصابه من ذلک الخاطر نبهه بأن ضربه فی صدره فأعقب ذلک بأن انشرح صدره و تنور باطنه حتی آل به الکشف و الشرح إلی حالة المعاینة، و لما ظهر له قبح ذلک الخاطر خاف من اللّه تعالی، و فاض بالعرق استحیاء من اللّه تعالی.

۵- أخرج أحمد عن أبی قیس مولی عمرو بن العاص عن عمرو «أن رجلا قرأ آیة من القرآن فقال له عمرو: إنما هی کذا و کذا، فذکر ذلک للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم فقال: إن هذا القرآن أنزل علی سبعة أحرف فأی ذلک قرأتم أصبتم فلا تماروا» إسناده حسن.

۶- روی الطبری و الطبرانی عن زید بن أرقم «قال: جاء رجل إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقال: أقرأنی ابن مسعود سورة أقرأنیها زید بن ثابت و أقرأنیها أبی بن کعب فاختلفت قراءاتهم فبقراءة أیهم آخذ؟ فسکت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و علی إلی جنبه فقال علی: لیقرأ کل إنسان منکم کما علم فإنه حسن جمیل».

۷- روی ابن حبان و الحاکم عن ابن مسعود أنه قال «أقرأنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم سورة من آل حم فرحت إلی المسجد فقلت لرجل اقرأها: فاذا هو یقرأ حروفا ما أقرأها: فقال أقرأنیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: فانطلقنا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فأخبرناه فتغیر وجهه و قال: إنما أهلک من قبلکم الاختلاف، ثم أسر إلی علیّ شیئا» فقال علی: إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یأمرکم أن یقرأ کل رجل منکم کما علم، قال: فانطلقنا و کل رجل یقرأ حروفا لا یقرؤها صاحبه».

و لنقتصر علی ما قدمنا من الروایات و قد ورد غیرها فی هذا المعنی کثیر.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۶۷

و بالنظر فی مجموعها یظهر منها الأصول الآتیة و هی:

(أولا) إن الاقتصار علی حرف واحد فی أول الأمر فیه حرج علی الأمة و مشقة عظیمة فی تلاوة القرآن و تدبر معانیه یدل علی ذلک قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی الحدیث الأول عن أبی بن کعب ثلاث مرات «أسأل اللّه معافاته و مغفرته، و إن أمتی لا تطیق ذلک» و فی الحدیث الثانی عنه أیضا «یا جبریل إنی بعثت إلی أمة أمیة منهم العجوز و الشیخ الکبیر و الغلام و الجاریة و الرجل الذی لا یقرأ کتابا قط».

(ثانیا) تسهیل قراءة القرآن و تدبره بسبب الزیادة إلی سبعة أحرف کما یدل علیه مراجعة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و استزادته من حرف إلی سبعة أحرف.

(ثالثا) تخییر الأمة فی القراءة بأی حرف من غیر أن یوجب علیهم القراءة بحرف خاص بل کل یقرأ بما یعلمه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، یدل علی ذلک قوله فی الحدیث الأول المذکور «فأیما حرف قرءوا علیه فقد أصابوا» و قوله فی الحدیث الثالث عن عمر «فاقرءوا ما تیسر منه» و قوله فی الحدیث الخامس المذکور «فأی ذلک قرأتم أصبتم».

(رابعا) اختلاف قراءة بعض الصحابة رضی اللّه عنهم یدل علی ذلک حدیث عمر بن الخطاب مع هشام بن حکیم، و حدیث أبی بن کعب مع رجل کان یصلی فی المسجد و رجل آخر، و قد اختلفت قراءاتهم کما فی الحدیث الرابع و حدیث مولی عمرو بن العاص عن عمرو مع رجل آخر کما فی الحدیث الخامس، و ما وقع لعبد اللّه بن مسعود مع آخرین کما فی الحدیث السادس، و مع رجل آخر کما فی الحدیث السابع.

(خامسا) تصویب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لقراءة کل و تقریره و أمره لکل أن یقرأ کما علم کما یدل علیه قوله صلّی اللّه علیه و سلّم فی بعض الروایات بالنسبة لقراءة کل من المختلفین:

«هکذا أنزلت» و بالضرورة کان اختلافهم الذی أقره النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی الألفاظ، لا فی المعانی و الأحکام و إلا کان تناقضا لا یصح إقرار کل علیه و ذلک کما لو کانت قراءة أحدهما تفید حلا و قراءة الآخر تفید حرمة لشیء واحد و هکذا فلا یتصور

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۶۸

الإقرار علیه. هذه هی الأصول التی نأخذها من الروایات السابقة و علی نهجها نعرض الأقوال التی وردت فی معنی الأحرف السبعة فما کان منها موافقا لهذه الأصول قبل و إلا رددناه و اللّه الموفق للصواب.

أقوال العلماء فی الأحرف السبعة و المراد بها

اشارة

قد ذکر العلماء فی ذلک أقوالا کثیرة حتی عدها السیوطی أربعین قولا، و قد اختلف نظر المؤلفین فمن مکثر فی سرد الأقوال و من مقل و قد اقتصر منها القرطبی علی خمسة أقوال وافق الطبری علی ما اختاره منها و سنذکر أشهر الأقوال فی ذلک بعد ضم المتشابهات منها إلی بعض فنقول:

(أولا) ذهب بعض العلماء إلی أن حدیث إنزال القرآن علی سبعة أحرف مع کثرة رواته مشکل لا یعرف معناه و سبب ذلک أن الحرف یصدق لغة علی أربعة معان «۱»: حرف الهجاء و الکلمة و المعنی و الجهة أی فیکون مشترکا لفظیا لا یدری أی معانیه هو المقصود و یرد هذا القول بأن مجرد الاشتراک اللفظی لا یلزمه الإشکال لأن ذلک یلزم لو لم تقم قرینة تعین بعض المعانی و هنا قامت قرینة تعین بعض المعانی بل قامت قرائن تمنع ما عدا ذلک البعض من المعانی الأخری و ذلک لأنه لا یصح إرادة حرف الهجاء للقرینة الحالیة و هی کونه مرکبا من جمیع حروف الهجاء لا مجرد سبعة و لا یصح إرادة الکلمة أیضا لأن کلماته تعد بالآلاف و لا یصح إرادة المعنی لأن معانیه أکثر من سبعة بالضرورة فلم یبق إلا الجهة و إذن قد بطل القول بالإشکال.

(ثانیا) ذهب بعضهم إلی أنه لیس المراد بالسبعة حقیقة العدد بل المراد التیسیر و التسهیل و السعة علی الأمة و لفظ السبعة یطلق و یراد به الکثرة فی الآحاد کما یطلق السبعون فی العشرات و السبعمائة فی المئات و لا یراد العدد المعین.

«ورد هذا» بأن کثیرا من الروایات یدل علی أن المراد حقیقة العدد و انحصاره فی السبعة من ذلک ما رواه النسائی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أنه قال:

(۱) و تطلق أیضا علی الطرف و حد السیف و ذروة الجبل و الناقة الضعیفة و علی الآیة و السورة و کلها لا یتوهم إرادتها هنا لذا لم نذکرها.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۶۹

«إن جبریل و میکائیل أتیانی فقعد جبریل عن یمینی و میکائیل عن یساری فقال جبریل اقرأ القرآن علی حرف فقال میکائیل استزد حتی بلغ سبعة أحرف» و فی حدیث أبی بکرة «فنظرت إلی میکائیل فسکت فعلمت أنه قد انتهت العدة» فلا وجه بعد هاتین الروایتین و غیرهما لعدم اعتبار حقیقة العدد و إذا کان الحدیث غیر مشکل، و حقیقة العدد مقصودة فلنذکر أشهر الأقوال وفق منهج الأصول التی قدمناها بادئین بالقول المختار الذی یوافق ما دلت علیه الروایات السابقة من الأصول و یطابق المعقول و المنقول.

«القول الأول»

اشارة

و هو ما اختاره القرطبی و الطبری و النیسابوری و غیرهم أن المراد بالأحرف السبعة هی سبع لغات فی کلمة واحدة تختلف فیها الألفاظ مع اتفاق المعانی و تقاربها و عدم اختلافها و تناقضها مثل هلم و أقبل و تعالی، و إلی، و قصدی، و نحوی، و قربی، فإن هذه ألفاظ سبعة مختلفة یعبر بها عن معنی واحد هو طلب الإقبال.

و لیس معنی هذا القول أن کل معنی فی القرآن عبر عنه بسبعة ألفاظ من سبع لغات: بل المراد أن المعنی الذی تتفق لغات العرب فی التعبیر عنه بلفظ واحد یعبر عنه بذلک اللفظ فقط، و أن ما یختلف التعبیر عنه بلفظین یعبر عنه بلفظین و هکذا إلی سبعة ألفاظ فقط، من مشهور لغات العرب وقت نزول القرآن مثل ما تقدم و مثل لِلَّذِینَ آمَنُوا انْظُرُونا «۱» للذین آمنوا أمهلونا، للذین آمنوا أخرونا، للذین آمنوا ارقبونا، فهذه أربعة ألفاظ عبر بها عن معنی واحد، و مثل کُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِیهِ «۲» مروا فیه، سعوا فیه فهذه ثلاثة ألفاظ عبر بها عن معنی واحد، و مثل إِنْ کانَتْ إِلَّا صَیْحَةً واحِدَةً «۳» إلا زقیة واحدة «۴» فهذان لفظان عبر بهما عن معنی واحد.

«و هذا القول» یؤیده الروایات فإن فی حمل جمیع قبائل العرب علی أخذ

(۱) سورة الحدید (الآیة ۱۳)

(۲) سورة البقرة (الآیة ۲۰)

(۳)- سورة یس (الآیة ۲۹)

(۴)- زقا الطائر و الدیک زقوا و زقاء- صاح، و زقا الصبی- اشتد بکاؤه.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۷۰

القرآن علی غیر لغاتهم دفعة واحدة و حملهم علی النطق بما لم یعتادوا النطق به مشقة عظیمة و حرج کبیر کما یدل علیه قوله صلّی اللّه علیه و سلّم: (و إن أمتی لا تطیق ذلک) و قوله: (یا جبریل إنی بعثت إلی أمة أمیة منهم العجوز و الشیخ الکبیر و الغلام و الجاریة و الرجل الذی لا یقرأ کتابا قط) فوسع اللّه للناس فی الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن علی غیر لغاتهم لما ذکر فی الحدیث.

نعم وسع لهم فی اختلاف الألفاظ إذا کان المعنی متفقا لا اختلاف فیه و لا تناقض، فکانوا کذلک حتی کثر منهم من یکتب و عادت لغاتهم إلی لسان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و هو لسان قریش بعد أن صارت لقریش السیادة الدینیة و الدنیویة معا، و قدروا بعد ذلک علی حفظ الألفاظ التی هی بلغة قریش، حتی صاروا یؤثرونها علی غیرها فلم تعد ثم ضرورة إلی الاستمرار علی القراءة بما عدا

حرف قريش أى لغتهم و بخاصة فإنهم كانوا مخيرين فى القراءة بأيها كما يدل عليه قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «فأى ذلك قرأتم أصبتم» و قوله: «فاقرءوا ما تيسر منه».

و لما زالت الضرورة اختار الإمام عثمان رضى اللّه عنه و اختاروا معه أحد الأحرف السبعة و هو حرف «لغة» قريش لأنه هو الحرف الذى علمه جميع العرب بعد ذلك فكان ذلك إجماعا من الصحابة، و الأمة إذا وجبت عليها أمور على التخيير فلها أن تختار واحدا منها و تترك ما عداه، كما أن للإمام أن يختار كذلك و قد تركت الصحابة الأحرف الستة الباقية و لم تنقلها محافظة على وحدة الأمة فى قراءة القرآن و درءا للاختلاف فى القرآن و دفعا للمراء فيه الذى عده النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كفرا.

و يؤيد هذا القول خلاف ما ذكرنا: ما تقدم من اختلاف الصحابة فى القراءة و تصويب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لكل منهم فإنه ليس من المعقول أن يكون اختلافهم فى المعنى و إلا لزم الجمع بين النقيضين إذا كان أحدهما أمرا و الآخر نهيا مثلا فتعين أن يكون اختلافهم فى اللفظ مع الاتفاق فى المعنى بأن يعبر عن أحدهما بلفظ و يعبر عن الآخر بلفظ آخر و هكذا.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۷۱

و هذه الألفاظ المختلفة مع الاتفاق فى المعنى كلها منزلة من عند اللّه و كل سمع ما قرأ به من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: بدليل قوله: «هكذا أنزلت» فلم تقع الإباحة فى قوله عليه الصلاة و السلام: فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يدل اللفظة من بعض اللغات جعلها من تلقاء نفسه و لو كان هذا لذهب إعجاز القرآن و لكان معرضا أن يبدله كل من أراد حتى يكون غير الذى نزل من عند اللّه.

و قد وقعت الإباحة للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم ليوسع بها على أمته كما قدمنا فهو صلّى اللّه عليه و سلّم الذى أقرأ مرة لأبى بما قرأه عليه جبريل، و مرة لابن مسعود بما قرأه عليه جبريل أيضا و هكذا بالنسبة لقراءة عمر بن الخطاب و قراءة هشام بن حكيم لها و لو لم يكن الأمر كذلك لما استقام قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عند الاختلاف فى القراءة «هكذا أنزلت» أو «هكذا أقرأنى جبريل» و أيضا لو كان لأحد من الناس أن يغير ما يشاء و يضع ما يريد لبطل قوله تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ و حمل الحرف على اللغة مطابق لمعنى الجهة

عرض هذا القول على الأصول السابقة

بعرض هذا القول عليها نجد:

(أولا) أن حمل القبائل المختلفة فى أول الأمر على القراءة بحرف واحد أى لغة واحدة فيه حرج و مشقة (ثانيا) أن فى إنزال المعنى الواحد على سبع لغات توسعة و تيسيرا.

(ثالثا) كان المسلمون مخيرين فى القراءة بأى لغة يسمعونها من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

(رابعا) ترتب على ذلك اختلافهم فى القراءة و أخذ بعضهم بعضا إلى حضرة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و ذلك قبل أن يعلموا أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، لأن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ما كان يبلغ السبعة لكل أحد بل يبلغ كلاما يناسبه و يسهل عليه النطق به و لهذا بعد أن علموا أن القرآن أنزل على سبعة أحرف أى لغات و اشتهر ذلك بين الصحابة لم يعد أحدهم ينكر على الآخر قراءته.

(خامسا) تصويب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لقراءة كل دليل على أن الخلاف بينهم كان فى

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۷۲

اللفظ فقط لأن كل واحد كان يعبر عن المعنى بلفظ من لغته قد سمعه منه صلّى اللّه عليه و سلّم غير لفظ الآخر الذى سمعه.

و بهذا قد ثبت أن القول بأن الأحرف السبعة المراد بها لغات سبع من لغات العرب المشهورة فى كلمة واحدة و معنى واحد على نحو ما تقدم هو الموافق للروايات السابقة و غيرها و المطابق لمنهج الأصول التى فهمت منها، و لنذكر ما ورد على هذا القول و الجواب عنه

ملخصا و موضحا من الطبری و غیره:

(۱) «فإن قال قائل فی أی موضع من کتاب اللّه نجد حرفا واحدا مقروءا بسبع لغات مختلفات الألفاظ متفقات المعنی حتی یصح تأویل الأحرف السبعة باللغات السبع».

«یرد علی ذلک» بأننا لم نـدع أن ذلک موجود الیوم و إنما قلنا إن هذا معنی قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم «أنزل القرآن علی سبعة أحرف» لما بینا من الأسباب.

(۲) «و إن قیل» أین ذهبت الأحرف السـتة و لم تکن موجودة مع أن رسول اللّه قد أقرأهن أصـحابه و أمرهم بقراءتها و أنزلهن اللّه من عنده علی نبیه أنسـخت هذه الأحرف السـتة فرفعت و ما الدلیل علی نسخها و رفعها أم نسیتهن الأمة فتکون قد ضیعت ما أمرت بحفظه أم ما القضیة فی ذلک.

یرد ذلـک بأن الأحرف السـتة الباقیـة لم تنسـخ و لم ترفع و لم تضـیعها الأمـة و إنما الأمـة أمرت بحفظ القرآن و خیرت فی حفظه بأی الأحـرف السـبعة جـاءت، کمـا أمرت إذا حنثت فی الیمین و هی موسـرة أن تکفر بـأی الکفـارات الثلاـث جاءت إما بعتق أو إطعام أو کسوة فلو أجمع جمیعها علی التکفیر بواحـدة من الکفارات الثلاث کانت مطیعة حکم اللّه مؤدیة فی ذلک الواجب علیها من حق اللّه، فکذلک الأمة أمرت بحفظ القرآن و قراءته، و خیرت فی قراءته بأی الأحرف السبعة جاءت و لعلة من العلل «و هی خوف الاختلاف و التنازع و المماراة فی القرآن» مع زوال الحاجـة إلی تعدد الحروف «اللغات» و مع انتشار أحد الأحرف السـبعة الذی هو لغة قریش، بین قبائل العرب، و سهولته علیهم جمیعا رأت الأمة لذلک کله الثبات علی حرف واحد و رفض القراءة بالأحرف الستة الباقیة.

و قد بینت الأخبار و الآثار العلة التی أوجبت علی الأمة الثبات علی حرف

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۷۳

واحد و رفض ما عداه من الأحرف السـتة فقد ثبت عند رواة الأخبار «أنه اجتمع فی غزوة أذربیجان و أرمینیة، أهل الشام و أهل العراق فتذاکروا القرآن و اختلفوا فیه حتی کادت تکون بینهم فتنة فرکب حذیفة بن الیمان لما رأی اختلافهم فی القرآن إلی عثمان فقال: إن النـاس قـد اختلفوا فی القرآن حتی إنی و اللّه لأخشـی أن یصـیبهم مثل ما أصاب الیهود و النصاری من الاختلاف ففزع عثمان لـذلک فزعا شدیدا فأرسل إلی حفصة فاستخرج الصحف التی کان أبو بکر أمر زیدا بجمعها فنسخ منها مصاحف و بعث بها إلی الآفاق و عزم علی کل من عنده مصـحف مخالف للمصـحف الذی جمعهم علیه أن یحرقه. منهج الفرقان فی علوم القرآن ج۱ ۷۳ عرض هذا القول علی الأصول السابقة ..... ص : ۷۱

ستوثقت له الأمـة علی ذلک بالطاعـة و رأت فیما فعل من ذلک الرشد و الهدایة فترکت القراءة بالأحرف السـتة التی عزم علیها إمامها العادل فی ترکها طاعة منها له و نظرا لأنفسها و لمن بعدها من سائر الأمة حتی درست من الأمة معرفتها و تعفت آثارها فلا سبیل لأحد الیوم إلی القراءة بها لدثورها و عفو آثارها و تتابع المسـلمین علی رفض القراءة بها من غیر جحود منها لصـحتها و صـحة شـیء منها و لکنها نظرت لمصلحتها من دفع الاختلاف و التنازع فی القرآن بین المسلمین فلا قراءة الیوم لأحد من أهل الاسلام إلا بالحرف الواحد الذی اختاره لهم إمامهم الشفیق الناصح دون غیره من الأحرف الستة الأخری، التی ترکت القراءة بها.

(۳) «قد یقال»: کیف جاز للصـحابة و للأمة ترک قراءة أقرأهم إیاها رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلّم أمرهم بها «و یجاب» بأن أمرهم بهـا لم یکن أمر إیجـاب بکـل منهـا علی التعیین بل کان أمر تخییر بینها فلیس الواجب کل حرف منها بل الواجب واحـد منها و هو ما یسـتطیع کـل واحـد من المکلفین النطق به، فلم یکن الواجب علیهم نقل جمیع الأحرف السـبعة بل الواجب نقل الحرف الـذی أجمعوا علی قراءته و ترک غیره رعایـة للمصـلحة و لو لم یفعلوا ذلـک لکانوا إلی الجنایـة علی الإسـلام أقرب منهم إلی السـلامة من ذلک و لکن اللّه وفق الأمة و هداها إلی الصواب.

(۴) «فإن قال قائل» ما هی الست الباقیة و من أی الألسن کانت «و یرد علیه» بأنه

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۷۴

لا حاجة بنا إلی معرفتها بل الواجب ترک معرفتها و لو عرفناها لم نقرأ بها، للأسباب التی بیناها و قد قیل إن خمسة منها لعجز هوازن، و اثنتین لقریش و خزاعة.

و العجز من هوازن سعد بن بکر و خیثم بن بکر و نصر بن معاویة و ثقیف و هذا القول مروی عن ابن عباس و لکن فی روایته قتادة عنه مع أن قتادة لم یلق ابن عباس و لم یسمع منه و کل ما قیل فی اللغات الست لم یثبت عن طریق صحیح.

(۵) «قد یقال» إذا کانت الحروف السبعة لغات سبعا فکیف اختلف قراءة عمر و هشام بن حکیم مع إنهما قرشیان و لغتهما واحدة «و یجاب» بأنه لا مانع من اختلافهما لجواز أن یکون أحدهما عارفا بغیر لغة قریش و قد سمع النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و هو یقرأ بغیر لغة قریش فحفظها کما سمعها الناس و أن یکون الآخر قد سمع لغة قریش فحفظها فاختلفت قراءتهما و کون المرء یعرف غیر لغته الأصلیة و یحفظ ما یسمعه من ذلک الغیر مشاهد معروف.

(۶) «و ربما قیل» کیف یلتئم قولک إن القرآن نزل بسبع لغات المعبر عنها بالحروف مع قول عثمان رضی اللّه عنه «نزل القرآن بلغة قریش» «فیجاب» بأن قول عثمان محمول علی ابتداء نزوله و هو الحرف الأول الذی طلب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم الزیادة علیه و قد استقر الأمر بعد زوال الضرورة علی ذلک الحرف الذی هو لغة قریش و علی ذلک فلا تنافی بین حمل الأحرف علی اللغات و بین قول عثمان المذکور.

(۷) «فإن قال قائل» کیف تدعی أن الحرف الذی استقر علیه الأمر أخیرا هو لغة قریش فحسب مع أن فی القرآن کثیرا من الکلمات من غیر لغة قریش مثل «عتی حین» بلغة الهذلی، و مثل «تعلمون» بکسر التاء بلغة الأسدی.

«یرد علیه» بأن ما ورد من ذلک و إن کان فی الأصل من غیر لغة قریش، لکنه مستعمل عند قریش و معروف عندهم أو أنه مما توافق فیه لغة قریش و غیرها إلا أنه مشهور عند غیرها و ذلک مثل الکلمات التی قیل إنها فی الأصل لیست عربیة، مثل مشکاة و قسطاس، و غیرهما فإنهم قالوا صارت عربیة بالاستعمال أو أنها أیضا من وضع العرب و هی مما اتفقت فیه اللغات فلم یکن ذلک منافیا لکون القرآن عربیا مبینا، فکذلک وجود کلمات ینطق بها

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۷۵

الهذلی، أو الأسدی أو غیرهما لا ینافی کونها قرشیة بالاستعمال أو بالوضع، و اتفقت فیه مع غیرها.

و قد أطلنا فی ذکر ما یرد علی هذا الرأی من الإشکالات وردها بعد تطبیقه علی منهج الروایات السابقة حتی ظهر أنه الرأی المختار، و الحمد للّه الذی هدانا لهذا و ما کنا لنهتدی لو لا أن هدانا اللّه.

القول الثانی

إن الأحرف السبعة هی لغات سبع متفرقة فی القرآن کله من لغات أحیاء من قبائل العرب و معنی هذا القول أن بعض معانیه عبر عنه بلفظ من لغة إحدی القبائل العربیة المشهورة و الآخر عبر عنه بلفظ من لغة قبیلة ثانیة و هکذا إلی سبع فیکون المنزل لفظا واحدا من لغة واحدة لمعنی واحد، یعنی أنها لغات فی القرآن، علی لغات العرب کلها یمنها و نزارها لأن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لم یجهل شیئا منها و کان قد أوتی جوامع الکلم و لیس معناه أن یکون فی الحرف الواحد سبع لغات کالقول الأول، بل هذه اللغات السبع متفرقة فی القرآن کله فبعضه بلغة قریش و بعضه بلغة هذیل، و بعضه بلغة هوازن و بعضه بلغة الیمن و هکذا.

و إلی هذا القول ذهب أبو عبید القاسم بن سلام و ثعلب و أبو حاتم السجستانی و قال الأزهری فی التهذیب إنه المختار و اختاره ابن عطیة أیضا حیث قال: معنی قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم «أنزل القرآن علی سبعة أحرف» أی فیه عبارة سبع قبائل، بلغة جملتها نزل القرآن فیعبر عن المعنی فیه تارة بعبارة قریش و مرة بعبارة هذیل و مرة بغیر ذلک بحسب الأفصح و الأوجز فی اللفظ.

أ لا ترى أن فطر معناه عند قريش ابتدأ فجاءت فى القرآن فلم تتجه لابن عباس، حتى اختصم إليه أعرابيان فى بئر، فقال أحدهما «أنا فطرتها» فقال ابن عباس ففهمت حينئذ معنى قوله تعالى فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ «۱»

---

(۱) سورة فاطر (الآية ۱)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۷۶

و قال أيضا ما كنت أرى معنى قوله تعالى رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِ «۱» حتى سمعت بنت ذى يزن تقول لزوجها تعالى أفاتحك أى أحاكمك، و كذلك قول عمر بن الخطاب و كان لا يفهم معنى قوله تعالى أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ «۲» أى على تنقص لهم و غير ذلك.

«و لا- يرد على هذا» قول عثمان رضى اللّه عنه حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف ما اختلفتم أنتم و زيد فاكتبوه بلغة قريش فإنه نزل بلغتهم فإنه يريد معظمه و أكثره و لم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن نزل بأسره بلغة قريش فقط إذ فيه كلمات و حروف و هى خلاف لغة قريش و قد قال تعالى إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا «۳» و لم يقل قرشيا و هذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب.

و ليس لأحد أن يقول إنه أراد قرشيا من العرب دون غيرها كما أنه ليس له أن يقول أراد لغة عدنان دون قحطان أو ربيعة دون مضر لأن اسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولا واحدا ۱۰۰ ه ملخصا من القرطبى و غيره مع تصرف و إيضاح «و هذا القول الثانى» قول من لم يمعن النظر و لا يلتبس خطؤه على من نظر فى الروايات السابقة و لنبطل ما استند إليه مختار و هذا القول ثم نتبعه ببيان مخالفته للروايات، فنقول:

(أولا) ما استندوا إليه من عدم فهم ابن عباس و عمر و غيرهما لمعنى بعض كلمات حتى سمعوها من غيرهم لا يفيدهم لأنه ليس بلازم أن يحيط المرء بكل معانى لغته أو بألفاظها بل قالوا إن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، كيف و قد قررنا أن فى القرآن ألفاظا كثيرة بحسب أصلها ليست عربية صارت عربية بالاستعمال أو بموافقة الوضع و كذا يقال بالنسبة لغير القرشى منها فمن الجائز جدا، أن تكون بعض الألفاظ ليست كثيرة الاستعمال عند قريش غير معلومة لبعضهم و إن كانت قرشية.

(ثانيا) إن كون القرآن بلغة قريش لا ينافى كونه عربيا لأننا قررنا فيما

---

(۱) سورة الأعراف (الآية ۸۹)

(۲) سورة النحل (الآية ۴۷)

(۳) سورة الزخرف (الآية ۳)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۷۷

سبق، أن فيه ألفاظا كثيرة من لغات قبائل غير قريش و لكنها مستعملة و معروفة عند قريش أو هى مما وضعتها قريش أيضا فتكون مما توافقت فيه القبائل كالذى توافقت فيه اللغات و على هذا فلا تنافى بين قول عثمان و بين كونه قرآنا عربيا أو أن قول عثمان محمول على الحرف الذى نزل ابتداء كما قررنا.

(ثالثا) هذا قول بعيد كل البعد عن الروايات السابقة و بيان ذلك أننا إذا عرضناه على تلك الروايات و ما أخذ منها من الأصول لوجدنا بينه و بينها بونا شاسعا لأنه يقتضى أن القرآن أبعاض كل بعض بلغة و ذلك لا يتأتى به رفع الحرج و المشقة لأنه يلزمه أن كل شخص لا- يقرأ إلا- البعض الذى نزل بلغته دون غيره من القرآن و يلزمه أن لا- تكون هناك فائدة للتخيير لأن كلا ملزم بأن يقرأ ما نزل باللغة التى يعرفها دون غيره.

و يلزم هذا القول أيضا بطلان الأخبار التى وردت عن عمر بن الخطاب و هشام بن حكيم و أبى بن كعب و عبد اللّه بن مسعود من

أنهم اختلفوا فی قراءة سور من القرآن و اختصموا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فأمر کلا أن یقرأ کما علم.

و لو کانت الأحرف السبعة لغات متفرقة لکان کل تال إنما یتلو الکلمة تلاوة واحدة و لا یتأتی فیها اختلاف و یلزم ذلک أنه لا وجه لاختلاف من نقل عنهم الاختلاف و لم یکن هناک معنی لأمر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم کل قارئ منهم أن یقرأ کما علم و کیف یتأتی أن یکون اختلاف و المعلم واحد و العلم واحد.

و إذا کان هذا القول یلزمه ذلک کله و قد ثبتت صحة الروایات السابقة فدل ذلک أبین الدلالة علی فساد القول بأن الأحرف السبعة لغات سبع متفرقة فی سور القرآن لا أنها لغات مختلفة فی کلمة واحدة مع کون المعنی واحدا کما هو مقتضی ما أسلفنا من الروایات.

و مثل القول الثانی فی البطلان قول من قال «إن المراد بالاحرف السبعة (لغات) سبع لقبائل مضر متفرقة فی القرآن فمنها لقریش، و منها لکنانة، و منها لأسد، و منها لهذیل، و منها لتیم، و منها لقیس و هذا القول باطل بما أبطلنا به القول الثانی و یبطل هذا أیضا بأن فی قبائل مضر شواذ ینزه عنها القرآن مثل کشکشة قیس الذین یجعلون کاف المؤنث شینا فیقولون فی جَعَلَ رَبُّکِ تَحْتَکِ

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۷۸

سَرِیًّا «جعل ربش تحتش» و مثل تمتمة تمیم الذین یجعلون السین تاء فیقولون فی الناس «النات» و هذه لغات ینزه عنها القرآن و لا یحفظ فیه منها شیء عن السلف و لم نفرد هذا القول بالذکر لمشارکته لما قبله فی أوجه بطلانه.

القول الثالث

أن المراد بالأحرف السبعة الأوجه التی یقع بها الاختلاف فی القراءة و لننقل ثلاث عبارات متقاربة فی هذا المعنی.

قال ابن قتیبة و من نحا نحوه فی بیانها الأوجه التی یقع بها ذلک سبعة:

(أولها) ما تتغیر حرکته و لا یزول معناه و لا صورته مثل وَ لا یُضَارَّ کاتِبٌ «۱» بالرفع و الفتح.

(ثانیا) ما یتغیر بالفعل مثل باعد و باعد «۲» بلفظ الماضی و الطلب.

(ثالثا) ما یتغیر باللفظ مثل ننشزها و ننشرها «۳».

(رابعا) ما یتغیر بابدال حرف قریب المخرج مثل «طلع منضود» وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ «۴» (خامسا) ما یتغیر بالتقدیم و التأخیر مثل وَ جاءَتْ سَکْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِ و جاءت سکرة الحق بالموت «۵» (و سادسها) ما یتغیر بزیادة أو نقصان مثل «و الذکر و الأنثی» وَ ما خَلَقَ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی «۶» (سابعها) ما یتغیر بإبدال کلمة بأخری مثل کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ «و کالصوف المنفوش» «۷» و قال القرطبی فی بیانها حکایة عن القاضی ابن الطیب قال: تدبرت وجوه الاختلاف فی القراءة فوجدتها سبعا:

أولا: منها ما تتغیر حرکته و لا یزول معناه و لا صورته مثل هُنَّ أَطْهَرُ لَکُمْ و أطهر «۸» وَ یَضِیقُ صَدْرِی و یضیق.

---

(۱) سورة البقرة (الآیة ۲۸۲)

(۲) سورة سبأ (الآیة ۱۹)

(۳) سورة البقرة (الآیة ۲۵۹)

(۴) سورة الواقعة (الآیة ۲۹)

(۵)- سورة ق (الآیة ۱۹)

(۶)- سورة اللیل (الآیة ۳)

(۷)- سورة القارعة (الآیة ۵)

(۸)- سورة هود (الآیة ۷۸).

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۷۹

ثانیا: و منها ما لا تتغیر صورته و یتغیر معناه بالإعراب مثل رَبَّنا باعِدْ بَیْنَ أَسْفارِنا و باعد) ثالثا: و منها ما تبقی صورته و یتغیر معناه باختلاف الحروف مثل قوله (ننشرها و نُنْشِزُها) رابعا: و منها ما تتغیر صورته و یبقی معناه مثل (کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ و کالصوف المنفوش) خامسا: و منها ما تتغیر صورته و معناه مثل و طلع منضود و طلح منضود.

سادسا: و منها بالتقدیم و التأخیر مثل وَ جاءَتْ سَکْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِ و جاءت سکرة الحق بالموت».

سابعا: و منها بالزیادة و النقصان مثل قوله تسع و تسعون نعجة أنثی «۱» و قال ابن الجزری فی بیان الأوجه التی بها اختلاف القراءة تتبعت القراءات صحیحها و شاذها و ضعیفها و منکرها فإذا هی ترجع إلی سبعة أوجه من الاختلاف لا تخرج عنها و ذلک إما بتغیر فی الحرکات بلا تغیر فی المعنی و الصورة نحو و یحسب «۲» بوجهین و إما بتغیر فی المعنی فقط نحو: فتلقی آدم من ربه کلمات «۳» و إما فی الحروف بتغیر المعنی لا الصورة نحو یتلو و تتلو و عکس ذلک، و نحو الصراط و السراط أو بتغیرهما نحو فامضوا فاسعوا، و إما فی التقدیم و التأخیر نحو فیقتلون و یقتلون «۴» أو فی الزیادة و النقصان نحو أوصی و وصی فهذه سبعة أوجه لا یخرج الاختلاف عنها.

قال و أما نحو اختلاف الإظهار و الإدغام و الروم و الإشمام و التخفیف و التسهیل و النقل و الإبدال فهذا لیس من الاختلاف الذی یتنوع فی اللفظ أو المعنی لأن هذه الصفات المتنوعة فی أدائه لا تخرجه عن کونه لفظا واحدا.

و هذا القول مع اختلاف قائلیه فی بیانه لم یذکر واحد منهم له دلیلا إلا أنه تتبع وجوه الاختلاف فی القراءة فوجدها لا تخرج عن سبع و هذا لا یصح دلیلا لأی واحد علی أن المراد بالأحرف السبعة الوجوه التی تختلف فیها القراءة و أیضا هو مردوده بما یأتی:

---

(۱) سورة ص (الآیة ۲۳).

(۲) بفتح السین و کسرها.

(۳) برفع آدم و نصب کلمات و بالعکس.

(۴) الأول بالبناء للمجهول و الثانی للمعلوم. و بالعکس.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۸۰

(أولا) أن طریق تتبع ابن الجزری مخالف لطریق تتبع ابن قتیبة و ابن الطیب و هذا یدل علی أنه یمکن الزیادة علی سبع فابن الجزری جعل ما تتغیر حرکته قسمین و جعل ما تتغیر حروفه ثلاثة أقسام و بذلک یکون الحصر فی سبع غیر مجزوم به و لا متعین فهو مبنی علی الظن و التخمین بل جعل غیرهم وجوه الاختلاف غیر ما تقدم مثل ما قال أبو الفضل الرازی من أنها اختلاف الأسماء فی الإفراد و التثنیة و التذکیر و التأنیث و اختلاف تصریف الأفعال و وجوه الإعراب و النقط و الزیادة و الإبدال و غیر ذلک.

(ثانیا) أنک قد علمت مما سبق أن الزیادة إلی سبعة أحرف کان الغرض منها الرخصة و أکثر الأمة یومئذ أمی لا یکتب و لا یعرف الرسم و إنما کانوا یعرفون الحروف و مخارجها فحسب و الرخصة لیست ظاهرة فی قراءة الفعل المبنی للمجهول أو للمعلوم أو فی إبدال حرکة بأخری أو حرف بآخر أو تقدیم و تأخیر فإن القراءة بأحدها دون الآخر لا توجب مشقة یسأل النبی صلّی اللّه علیه و سلّم المعافاة منها و أن الأمة لا تطیق ذلک و یطلب التیسیر علی الأمة بإبدال حرف أو تغییر فعل من المضی إلی الأمر أو من البناء للمعلوم للبناء للمجهول هذا لا تفیده الروایات السابقة و لا تدل علیه.

(ثالثا) إنه لا یتصور وجود أوجه الخلاف فی القراءة المذکورة جمیعا فی کلمة واحدة حتی یکون ذلک تیسیرا و تخییرا کما تقدم و إن أرادوا أن ذلک متفرق فی القرآن جمیعه کالقائل باللغات السبع المتفرقة فی القرآن لم یکن ثمت رخصة و لا اختلاف بین الصحابة فهذا القول فضلا عن أنه لم یستند إلی دلیل باطل بما ذکرنا من الأوجه.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۸۱

القول الرابع

أن المراد بالأحرف السبعة سبعة أنواع كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن و قد اختلف القائلون به فی تعیین السبعة فقیل: هی أمر و نهی و وعد و وعید و قصص و مجادلة و أمثال و قیل أمر و نهی و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال و قیل:

محكم و متشابه و ناسخ و منسوخ و خصوص و عموم و قصص و قیل غیر ذلك و هذا القول علی اختلاف قائلیه فی العدد لیس له مستند و كل قال ما قال بحسب التخمین و هو مردود من وجهین.

(أولهما) أن هذه الأوجه لا یمكن أن یقع فیها التوسعة علی الأمة و التیسیر لأن التوسعة لم تقع فی تحلیل حرام و لا فی تحریم حلال و لا فی تغییر شیء من المعانی المذكورة.

(ثانیهما) لو كان المراد بالأحرف ما ذكر فی هذا القول للزم أن یكون رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قد أقر كلا من المختلفین فی المعانی علی ما قرأ و لو كان أحدهما قرأ أمرا أو حلالا- و الآخر قرأ نهیا أو حراما و ذلك جمع بین النقیضین و لا یخفی علیك أن الشیء الواحد لا یكون حراما و حلالا فی حالة واحدة و أیضا یلزمه جواز إبدال آیة أمثال بآیة أحكام مثلا مع أن ذلك لا یجوز بحال من الأحوال و بهذا ثبت بطلان هذا القول أیضا.

خاتمة:

و هذه الأقوال الأربعة أشهر ما قیل فی معنی حدیث «أنزل القرآن علی سبعة أحرف» و قد اشتملت علی أكثر من أربعة و القول الأول المختار و هو أن المراد بالأحرف السبعة اللغات السبع علی الوجه الذی بیناه سابقا، فاشدد علیه یدیك و الحمد للّه رب العالمین و إنما أعرضنا عن ذكر باقی الأقوال لما قاله السیوطی فی الإتقان بعد أن ذكر خمسة و ثلاثین قولا و نصه: قال ابن حبان فهذه خمسة

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج ۱، ص: ۸۲

و ثلاثون قولا لأهل العلم و اللغة فی معنی إنزال القرآن علی سبعة أحرف و هی أقاویل یشبه بعضها بعضا و كلها محتملة و یحتمل غیرها، و قال المرسی هذه الوجوه أكثرها متداخلة و لا أدری مستندها و لا عمن نقلت، و لا أدری لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر مع أن كلها موجودة فی القرآن فلا أدری معنی التخصیص و منها أشیاء لا أفهم معناها علی الحقیقة و أكثرها معارضة حدیث عمر و هشام بن حكیم الذی فی الصحیح فإنهما لم یختلفا فی تفسیره و لا أحكامه و إنما اختلفا فی قراءة حروفه.

و قد ظن كثیر من العوام أن المراد بها القراءات السبع و هو جهل قبیح و منه یعلم أنه لا یصح القول بأن الأحرف السبعة هی القراءات السبعة المنقولة عن الأئمة السبعة المعروفین عند القراء لأنهم كانوا فی القرن الثانی و الروایة عنهم أكثر من سبع فلا یعقل أن الحدیث یشیر إلی قراءاتهم.

قال القرطبی (و قد قیل) إن المراد بقوله علیه الصلاة و السلام (أنزل القرآن علی سبعة أحرف) القراءات السبع التی قرأ بها القراء السبعة لأنها كلها صحت عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و هذا لیس بشیء لظهور بطلانه علی ما یأتی ثم قال «فصل» قال كثیر من علمائنا كالداودی و ابن أبی صفرة و غیرهما هذه القراءات السبع التی تنسب لهؤلاء القراء السبعة لیست هی الأحرف السبعة التی اتسعت الصحابة فی القراءة بها و إنما هی راجعة إلی حرف واحد من تلك السبعة و هو الذی جمع علیه عثمان المصحف، ذكره ابن النحاس و غیره و هذه القراءات المشهورة و هی اختیارات أولئك الأئمة القراء إلی أن قال و لم یمنع واحد منهم اختیار الآخر و لا أنكره بل سوغه و جوزه و سیأتی زیادة بیان فی بحث القراءة و القراء إن شاء اللّه و لنقتصر فی هذا البحث علی ما ذكرنا فإن فیه الكفایة و اللّه أعلم.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج ۱، ص: ۸۳

المبحث الخامس المکی و المدنی

اشارة

- الاصطلاحات- طرق و ضوابط المکی و المدنی- الشبه التی أثیرت حول المکی و المدنی

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۸۴

المکی و المدنی

العمدة فی معرفة المکی و المدنی إنما هو حفظ الصحابة و التابعین، و النقل الصحیح عنهم و لم یرد فی ذلک عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قول، و من کان له عنایة شدیدة بهذا النوع عبد اللّه بن مسعود رضی اللّه عنه فقد أخرج البخاری عنه أنه قال «و اللّه الذی لا إله غیره ما نزلت سورة من کتاب اللّه إلا و أنا أعلم أین نزلت و لا نزلت آیة من کتاب اللّه إلا و أنا أعلم فیم أنزلت، و لو أعلم أحدا أعلم منی بکتاب اللّه تبلغه الإبل لرکبت إلیه».

و فائدة معرفة المکی و المدنی و ترتیب ذلک فی النزول هی معرفة الناسخ و المنسوخ من أحکام القرآن التی وقع فیها النسخ، نعم قد وقع خلاف فی بعض السور هل هی مکیة أو مدنیة إلا أن ذلک مع قلته قد وقع فی السور التی لیس فیها ناسخ و لا منسوخ علی أن الخلاف فی بعض ذلک لا یعتد به.

الاصطلاحات فی بیان المکی و المدنی

اشارة

أولهما: المکی ما نزل علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بمکة، و المدنی ما نزل علیه بالمدینة و هذا الاصطلاح لوحظ فیه المکان و علیه تثبت الواسطة فما نزل علیه بالأسفار لا یسمی مکیا و لا مدنیا و ذلک مثل ما نزل بتبوک و یدخل فی مکة ضواحیها کالمنزل علیه بمنی و عرفات و الحدیبیة و یدخل فی المدینة أیضا ضواحیها کالمنزل علیه ببدر و أحد و علی ذلک ما نزل بمکة بعد الهجرة یسمی مکیا.

ثانیها: المکی ما وقع خطابا لأهل مکة و المدنی ما وقع خطابا لأهل المدینة.

و علیه یحمل قول من قال ما کان فی القرآن من یا أیها الناس فهو مکی، و ما کان فیه من یا أیها الذین آمنوا فهو مدنی لأن أهل مکة کان الغالب فیهم الکفر فخوطبوا بیا أیها الناس و إن کان غیرهم داخلا فیهم و هذا الاصطلاح قد لوحظ فیه المخاطب.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۸۵

ثالثا: المکی ما نزل قبل الهجرة و إن کان نزوله بغیر مکة، و المدنی ما نزل بعد الهجرة و إن نزل بغیر المدینة و هذا الاصطلاح لوحظ فیه الزمان و علیه فقوله تعالی وَ اتَّقُوا یَوْماً تُرْجَعُونَ فِیهِ إِلَی اللَّهِ «۱» مدنی و إن کان نزوله بمکة فی حجة الوداع بمنی یوم النحر فإن نزول هذه الآیة هناک لا یخرجها عن المدنی فی الاصطلاح لأن ما نزل بعد الهجرة مدنی سواء نزل بالمدینة أو بغیرها و کذلک قوله تعالی إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها «۲» فإنه نزل بمکة بعد الهجرة عام الفتح و علیه فهو مدنی بحسب هذا الاصطلاح.

و هذا الاصطلاح هو المشهور بین العلماء لأنه اصطلاح ضابط حاصر للأقسام مطرد بخلاف الأول و الثانی فإن الأول غیر ضابط و لا حاصر لما یلزمه من الواسطة و الواسطة یلزمها تعدد الأمکنة و الأزمنة مثل ما نزل بتبوک و ما نزل ببیت المقدس و ما نزل فی الغزوات و غیر ذلک فلا تکون القسمة ثنائیة «و الثانی» غیر مطرد لأنه منقوض بسورة البقرة و فیها یا أیها الناس و هی مدنیة لا مکیة و بسورة

الحج فهی مکیة و فیها یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ارْکَعُوا و بسورة النساء فإنها مدنیة مع کونها مفتتحة بیا أیها الناس.

قال القاضی إن کان الرجوع فی هذا إلی النقل فمسلم و إن کان السبب فیه حصول المؤمنین بالمدینة علی الکثرة دون مکة فضعیف إذ یجوز خطاب المؤمنین بصفتهم و باسمهم و جنسهم و یؤمر غیر المؤمنین بالعبادة کما یؤمر المؤمنون بالاستمرار علیها و الازدیاد منها و علی هذا فکل من الاصطلاحین الأولین لا عبرة به و المشهور الثالث.

و علی ذلک فما نزل علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی سفر الهجرة مکی و ما نزل فی السفر بعد الهجرة مدنی و من ذلک سورة الفتح فإنها نزلت علیه صلّی اللّه علیه و سلّم فی بعض أسفاره، و آیة الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ ... إلخ «۳» فانها نزلت بعرفة یوم الجمعة فی

---

(۱) سورة البقرة (الآیة ۲۸۱)

(۲) سورة النساء (الآیة ۵۸)

(۳) سورة المائدة (الآیة ۳)

حجة الوداع .. و آیة إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها «۱» فإنها نزلت یوم الفتح فی جوف الکعبة .. و آیة یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا جاءَکُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَ «۲» فإنها نزلت بأسفل الحدیبیة و أول الأنفال نزل ببدر، و آیة لَوْ کانَ عَرَضاً قَرِیباً «۳» نزلت فی غزوة تبوک فکل ذلک و غیره مما نزل بالسفر بعد الهجرة مدنی و إن لم یکن نزوله بالمدینة و هذا مقتضی الاصطلاح الثالث المشهور.

و قد ذکر العلماء فی المکی و المدنی من السور أقوالا کثیرة و الذی نقله السیوطی عن أبی الحسن بن الحصار:

أن السور المدینة باتفاق عشرون سورة و أن المختلف فیه اثنتا عشرة سورة و ما عدا ذلک مکی باتفاق فأما السور المدنیة باتفاق فهی «سورة البقرة، و آل عمران، و النساء، و المائدة، و الأنفال، و التوبة، و النور، و الأحزاب، و محمد، و الفتح، و الحجرات، و الحدید، و المجادلة، و الحشر، و الممتحنة، و الجمعة، و المنافقون، و الطلاق، و التحریم، و النصر» و أما المختلف فی کونها مکیة أو مدنیة فهی «سورة الفاتحة، و الرعد، و الرحمن، و الصف، و التغابن، و التطفیف، و القدر، و لم یکن، و إذا زلزلت، و الإخلاص، و المعوذتان» و أما المکی باتفاق فهو ما عدا ذلک و هو اثنتان و ثمانون سورة».

سورة مکیة فیها آیات مدنیة و بالعکس:

کثیر من السور المکیة فیها آیات مدنیة فقد ورد أنه إذا نزلت فاتحة سورة بمکة مثلا کتبت بمکة ثم یزید اللّه فیها ما یشاء، مثال ذلک آیة وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ من الإسراء نزلت بالمدینة مع کون السورة مکیة.

و من ذلک سورة الأعراف مکیة إلا آیة «و اسألهم عن القریة التی کانت حاضرة البحر» فإنها مدنیة، و من ذلک سورة إبراهیم مکیة غیر آیتین مدنیتین «أ لم تر إلی الذین بدلوا نعمة اللّه کفرا» إلی «فبئس القرار».

---

(۱) سورة النساء (الآیة ۵۸)

(۲) سورة الممتحنة (الآیة ۱۰)

(۳) سورة التوبة (الآیة ۴۲)

و بعض السور مدنیـة و فیها آیات مکیـة فمن ذلک سورة الأنفال فإنها مدنیة و قد اسـتثنی منها آیة «و إذ یمکر بک الذین کفروا» فقد قیل إنها نزلت بمکة و من ذلک سورة الحج قد قال قتادة إنها مدنیة إلا أربع آیات «و ما أرسلنا من قبلک من رسول» إلی «عقیم».

و قـد تتبع العلماء ذکر الروایات فی المکی و المدنی سورا و آیات کما عنوا باللیلی و النهاری، و الصـیفی، و السـفری، و الحضـری، و السـمائی و الأرضـی، و غیر ذلک، أی ما نزل من القرآن لیلا أو نهارا صـیفا أو شـتاء سفرا أو حضرا فی السماء یعنی لیلة الاسراء أو فی الأرض و قد أکثروا من الروایات الصـحیحة و السـقیمة و غرضنا هنا لا یتعلق بتفصیل ذلک کله و لنذکر الطرق و الضوابط التی یعرف بها کل من المکی و المدنی.

الطرق و الضوابط التی یعرف بها کل من المکی و المدنی

اشارة

لمعرفة المکی و المدنی طریقان:

«أولهما» سـماعی و هو النقل الصـحیح عن الصـحابة أو التابعین بأن سورة کذا أو آیة کذا نزلت بمکة أو بالمدینة أو نزلت قبل الهجرة أو بعدها سفرا أو حضرا و غیر ذلک. «ثانیهما» قیاسی و هو ضوابط کلیة لمعرفة کل منهما.

ضوابط المکی

۱- کل سورة فیها (کلا) مکیة و قد وردت فی القرآن ثلاثا و ثلاثین مرة فی خمس عشـرة سورة کلها فی النصف الأخیر من القرآن و لیس فی النصف الأـول منهـا شـیء قـال الـدرینی رحمه اللّه «و مـا نزلت کلاـ بیثرب فـاعلمن و لم تأت فی القرآن فی نصـفه الأعلی و حکمة ذلک أن نصفه الأخیر نزل أکثره بمکة و أکثر أهلها جبابرة فتکررت کلا علی وجه التهدید و التعنیف لهم و الإنکار علیهم» ۲- کل سورة فی أولها حرف المعجم مکیة سوی البقرة و آل عمران فإنهما مدنیتان بإجماع و فی الرعد خلاف.

۳- کل سورة فیها قصة آدم و إبلیس مکیة سوی البقرة.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۸۸

۴- کل سورة فیها قصص الأنبیاء السابقین و الأمم الخالیة مکیة سوی البقرة أیضا.

۵- کل سورة فیها یأیها الناس و لیس فیها یأیها الذین آمنوا مکیة و فی الحج خلاف.

۶- کل سورة فیها سجدة مکیة.

ضوابط المدنی

۱- کل سورة فیها ذکر الحدود و الفرائض مدنیة.

۲- کل سورة فیها ذکر المنافقین مدنیة سوی العنکبوت.

۳- کل سورة فیها أمر بالقتال و أحکامه مدنیة.

(ما امتاز به کل من المکی و المدنی) قد امتاز کل من القسم المکی و المدنی غیر ما تقدم من الضوابط بأمور کثرت فیه و هی:

مییزات القسم المکی:

۱- الـدعوة إلی أصول الإیمان الاعتقادیة من الإلهیات و الوحی و الرسالة و البعث و الجزاء و غیرها و ذکر الأدلة الکونیة و العقلیة علی

ذلک لأن القوم کانوا غرقی فی حمأة الشرک و إنکار النبوات لا یقرون ببعث و لا جزاء.

۲- محاجة المشرکین و دعوتهم إلی الإیمان بهذه الأصول و إبطال شبههم و الرد علیهم و تسفیه أحلامهم و تذکیرهم بالنعم العظیمة لعنادهم و تمادیهم فی الضلال و مقاومتهم للدعوة بما أوتوا من قوة.

۳- أصول التشریع العامة و الآداب و الفضائل الثابتة و بخاصة ما یتعلق بحفظ النفس و المال و العقل و الدین لانغماسهم فی الرذائل و بعدهم عن الفضائل فقد کانوا یأکلون الأموال بالباطل و یقتلون الأبناء و یئدون البنات و غیر ذلک.

۴- قصص الأنبیاء مع أقوامهم و ما فیها من العبر و المواعظ و ما فیها من أصول الدین العام و هو الإسلام الذی جاءت به الرسل جمیعا و بیان سنة اللّه تعالی فی الأقوام و الأمم لیکون لهم فی قصصهم عبرة و قد کان ذکر القصص

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۸۹

فی مکة من أعظم دلائل نبوته صلّی اللّه علیه و سلّم إذ لو کان قد تأخر نزوله إلی المدینة لقالوا تعلمه من أهل الکتاب.

۵- قصر أکثر آیاته و سوره و هو المناسب لمقتضی الحال لما کان علیه أهل مکة من قوة البلاغة و الفصاحة مع ما کان علیه أکابرهم من العناد و الجحود فکان المناسب لهم النذر القارعة و المواعظ النافعة و الزواجر الرادعة و العبر الجامعة بآیات قصیرة تصخ آذانهم و تملک أذهانهم و تعقل بیانهم و تجعلهم حیاری مدهوشین بما کانوا یسمعون من آیات مع کونها غایة فی الإیجاز جمعت من المعانی و الدلائل ما جعلهم یقرون بالإعجاز حتی قال أفصحهم «إن له لحلاوة و إن علیه لطلاوة و إن أسفله لمغدق و إن أعلاه لمثمر و ما هو بقول البشر»

مییزات القسم المدنی

یمتاز القسم المدنی بکثرة الأمور الآتیة فیه و هی:

۱- قواعد التشریع التفصیلیة و الأحکام العملیة فی العبادات و المعاملات کما فی سورة البقرة و النساء و المائدة و غیرها.

۲- محاجة أهل الکتاب و التنبیه علی تحریفهم لکتبهم و إظهار ما أخفوه من مکنونات أسرارهم کما فی سورة البقرة من محاجة الیهود و تذکیرهم بقصة موسی معهم و فی سورة آل عمران من محاجة النصاری و محاجة الفریقین فی سورة المائدة و غیرها.

۳- بیان ضلال المنافقین و مفاسدهم و ذکر فضائحهم و الأحکام المتعلقة بهم کما فی سورة البقرة و النساء و التوبة و غیرها.

۴- قواعد التشریع الخاصة بأحکام القتال و ما یتعلق به من الصلة و العهود و الغزوات و الغنائم و غیر ذلک.

۵- طول أکثر سوره و بعض آیاته لاشتمالها علی الأمور السابقة و مقامات التفصیل و الإطناب التی تقتضیها و من ذلک تری القرآن الکریم یسلک سبیل الإیجاز لمقتضی الحال و سبیل الإطناب متی اقتضاه الحال و هو فی کلا الحالین فی أعلی طبقات البلاغة.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۹۰

الشبه التی أثیرت حول المکی و المدنی وردها

اشارة

اعتاد المبشرون و الملاحدة أن یتلمسوا المطاعن فی القرآن، و غرضهم بذلک التشکیک فی أن القرآن من عند اللّه و من أعجب العجب أن کفار قریش و أهل الکتاب و المنافقین الذین قاوموا الدعوة و وقفوا فی سبیلها بکل ما لدیهم من حیلة و قوة لم یطعنوا فی القرآن بمثل هذه الشبه و قد کان یقرعهم و یسفه عقولهم و ینعی علیهم تقلیدهم الأعمی و کانوا حریصین علی تلمس الشبه و الحجاج بالباطل و الدعاوی الکاذبة کقولهم «سحر مفتری» أو «به جنة» و لم تطاوعهم عقولهم و أحلامهم أن یطعنوا بما جاء به هؤلاء

المبشرون و الملاحدة بعد القرون المتلاحقة و أن يتقولوا على القرآن الكريم ما لم يجرأ على تقوله أسلافهم و لو لا الحرص على هداية ضال أو حماية عقيدة جاهل من مضلل لوفرنا على القارئ وقته فی سرد هذه الشبه وردها، و كل هذه الشبه ترجع إلى أصل واحد فی زعمهم و هو الطعن فی أن القرآن من عند اللّه و هذه هی الشبه وردها:

(أولا) قالوا: إن القسم المكی قصير السور قصير الآيات و أما القسم المدنی فهو طويل السور طويل الآيات و السبب فی هذا الاختلاف تأثر محمد صلّى اللّه عليه و سلّم بالبيئة، فأهل مكة قوم أميون لا يقدرون على إنشاء العبارات الطويلة و أما أهل المدينة فكانوا بين أهل كتاب أو متصل بأهل الكتاب لهم قدرة على إنشاء العبارات الطويلة فتأثر بهم الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و وجدت عنده ملكة التعبير و القدرة عليه فصار يأتی بسور طويلة و آيات طويلة.

و للرد على هذه الشبهة نقول:

(۱) إن طول الكلام و قصره تابع لمقتضى الحال الذی هو عماد البلاغة عند من يعرف البلاغة و ليس تابعا للبيئة و لا متأثرا بالوسط.

(۲) دعوى أن أهل مكة كانوا أقل فصاحة و بلاغة من أهل المدينة دعوى يكذبها الواقع و التاريخ الصحيح فإن قريشا و هم أهل مكة كان إليهم الحكم النافذ و القول الفصل بين الشعراء و الخطباء و كانوا من المكان الأعلى فی معرفة أساليب الكلام و فنونه.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۹۱

(۳) القرآن الكريم قد تحدى العرب فی بعض السور المدنية، اقرأ قوله تعالى فی سورة البقرة المدنية وَ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ إلى قوله فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِی وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ كما تحداهم فی السور المكية بقوله فی سورة هود المكية (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) و فی سورة الإسراء المكية بقوله قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً فإنك ترى التحدى الواقع فی السورة المدنية جاء بسورة و هو يصدق بأقصر سورة مثل إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ فلو كان متأثرا بهم فی القرآن لكانوا أقدر على معارضته و الإتيان بمثل ما تحداهم به و أزيد و بهذا كله ظهر أن هذه الشبهة هباء و أن القول بها هذر و هراء و قد بينا حكمة قصر القسم المكی فيما تقدم.

(ثانيا) قالوا إن القسم المكی خال من التشريعات التفصيلية و الأحكام العملية و أما القسم المدنی فقد كثرت فيه هذه التشريعات و ذلك لأن محمدا صلى اللّه عليه و سلم بعد أن هاجر إلى المدينة و اختلط بأهل الكتاب و عرف تشريعاتهم نهج نهجهم و نحا نحوهم و هذا دليل على أنه قد تأثر بهم و أخذ من علومهم.

و للرد على هذه الشبهة الواهية نقول:

۱- إن القرآن نزل بمكة على قوم لا يقرون بأصول الإيمان الثلاثة و هی الإلهيات و النبوات و البعث و ما يتبعه من جزاء و كانوا مع ذلك لا يحترمون نفسا و لا مالا و لا عرضا فكان من الطبيعی و من البدهی أن يدعوهم أولا إلى أصول الايمان و إلى أصول الاخلاق التی أجمعت العقول السليمة على وجوب التحلی بها و التی لا حياة للإنسانية بدونها و كان لزاما أن يحاجهم فی ذلك و يقيم عليهم الأدلة و البراهين فإذا تقررت هذه الأصول فی النفوس و استجاب لها من شرح اللّه صدره بالإسلام أخذ يدعوهم إلى نظم المعاملة الحقة بينهم و بين خالقهم الذی أقروا به، و بينهم و بين بعضهم بعد انصياعهم لحرمة النفوس و العقول و الأموال و الأعراض و هذه هی التشريعات التفصيلية و هی فروع لتلك الأصول و ما لم يقروا بالأصول لا يصح أن يخاطبوا بالفروع فكان نهج القرآن فی المكی و المدنی هو الموافق لبداءة العقول لا لأنه تأثر بأهل الكتاب كما يزعم المضلل الجهول.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۹۲

۲- كيف يكون النبی صلّى اللّه عليه و سلّم تعلم من اليهود أو النصارى مع أن القرآن قد نعى عليهم كفرهم و فسقهم و بخاصة اليهود

فقد أكثر القرآن من ذكر سيئاتهم و سوآتهم و لعنهم فی غير موضع اقرأ قوله تعالى أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۵۱ أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً «۱» و قوله تعالى وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ... «۲»

و قوله تعالى أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ «۳».

و قوله تعالى لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ «۴» ثم انظر تحديه لليهود بقوله فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۵» و بقوله قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۶» و إلى تحدى النصارى بقوله فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ «۷» و غير ذلك من الآيات فلو كان القرآن قد استمد من ينبوع أهل الكتاب كما يزعم صاحب هذه الشبهة لأظهروا ذلك دفاعا عن تسفيهه لهم و لعنه إياهم وردا لوصفهم بالكذب و التحريف و لكنهم كلما جاءتهم آية وقفوا مبهوتين و كلما تحداهم كأنهم ألقموا حجرا فكيف يكون لهم فضل التعليم و لهم هذه المواقف المزرية، إن هذا لا يقوله إلا مأفون مجنون.

«ثالثا» قالوا اشتمال القسم المكى على الوعيد و التهديد و القسوة و الشدة و العنف و الحدة دون القسم المدنى الذى اشتمل على الصفح و العفو و قد استدلوا

---

(۱) سورة النساء (الآية ۵۲)

(۲)- سورة التوبة (الآية ۳۰)

(۳) سورة البقرة (الآية ۷۵)

(۴) سورة المائدة (الآية ۷۲)

(۵) سورة البقرة (الآية ۹۴)

(۶) سورة آل عمران (الآية ۹۳)

(۷) سورة آل عمران (الآية ۶۱)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۹۳

على شدة القسم المكى بسور تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ و الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ و أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ و غير ذلك و جعلوا هذا دليلا على اختلاف القرآن باختلاف الوسط تشكيكا فی أنه من عند اللّه.

«و للرد على هذه الشبهة» نقول:

۱- إن كلا من القسم المكى و المدنى يشتمل على الشدة و الوعيد إذا اقتضى المقام ذلك و يشتمل على اللين و العفو إذا دعا الحال إلى ذلك و هذا شأن القرآن الكريم فی البشارة و النذارة و الوعد و الوعيد و أنواع خطاباته، اقرأ ما جاء فی سورة الأعراف المكية خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ و فی سورة فصلت المكية إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ- إلى قوله- وَ ما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ و اقرأ قوله تعالى فی سورة البقرة المدنية وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ- إلى قوله- فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ.

و قوله فيها الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا و قوله فی سورة آل عمران المدنية إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ أُولئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ و قوله تعالى فی سورة النساء المدنية وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ

مَصِيراً و بهذا تعلم أن المكى كما اشتمل على الوعيد اشتمل على اللين و أن القسم المدنى كما اشتمل على اللين اشتمل على الوعيد و التهديد فالقول بأن بينهما فرقا و اختلافا ذلك قول من لم يقرأ القرآن و لم يعرف مكيه من مدنيه.

۲- إن ما ذكره صاحب الشبهة من السور المذكورة نشأ من جهله بأسباب النزول و بما اشتملت عليه من المعانى التى فيها صلاح الأمة و سعادتها.

و لنذكر سبب نزول تَبَّتْ يَدا نقلا عن الواحدى فى أسباب النزول فقد روى عن ابن عباس قال «صعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه فاجتمعت إليه

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۹۴

قريش فقالت مالك قال أ رأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنت تصدقون قالوا بلى قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فقال أبو لهب تبا لك، لهذا دعوتنا جميعا فأنزل اللّه عز و جل تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَ إلى آخرها رواه البخارى، أه و أخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ قال كانت تحمل الشوك فتطرحه فى طريق النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ليعقره و أصحابه.

و قال الواحدى أيضا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ قال مقاتل و الكلبى نزلت فى حيين من قريش بنى عبد مناف و بنى سهم كان بينهما لحا فتعاقد السادة و الاشراف أيهم أكثر، فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيدا و أعز عزيزا و أعظم نفرا، و قال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوا موتاهم فكثرهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عددا فى الجاهلية.

و قال قتادة نزلت فى اليهود قالوا «نحن أكثر من بنى فلان و بنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا» هذا سبب النزول لكل من السورتين و الغرض من سورة «تبت يدا» الوعيد و الإنذار لأبى لهب و امرأته على تكذيبهما للرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و اقامتهما العقبات فى سبيل دعوته و فى ذلك قمع لغيرهما ليعم الإيمان و تنتشر الفضيلة و ليس هذا بأشد من لعن اليهود الذى هو الطرد من رحمة اللّه و الوعيد بسوء المصير لمن يشاقق الرسول فى الآيات المدنية.

«و أما سورة ألهاكم» فالغرض منها النهى عن التكاثر و التحذير من عاقبته الوخيمة و بيان أن التفاخر بالأموال و الأحساب و الحرص عليها مدعاة للتلهى عن الخير حتى لا- يغتروا بالعرض الفانى من الماديات و يقبلوا على تهذيب نفوسهم و تنمية عقولهم و أرواحهم لينالوا سعادة الدنيا و النعيم فى الآخرة و أن هذا لهو الإرشاد إلى طريق الخير لمن بصره اللّه و هداه.

و أما سورة «و العصر» فالغرض منها تنويع أفراد الانسان إلى نوعين:

«أحدهما» حاد عن طريق الهدى و الرشاد فلم يمتلئ قلبه بنور الإيمان و لم تلن جوارحه بصالح الأعمال و طرح الحق وراء ظهره و جعل الباطل كله همه

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۹۵

و خلا قلبه من الصبر فى السراء و البأساء فهو فى هلع و جزع و غمط للحق، لا شك أن هذا خاسر هالك قد أضاع عمره فيما لا يفيده.

«ثانيهما» استنارت بصيرته بعقيدة الإيمان و قام بالأعمال الصالحة لخير نفسه و خير غيره فأفاد نفسه و أفاد المجموع و جعل الحق رائده و الصبر فى جميع المواطن هاديا له و لغيره و ينطوى تحت هذه الفضائل من تربية القوتين النظرية و العملية و يعود بالسعادة على العالم ما لو أردنا تقصيه لطال بنا المقام فعجيب أن تعد هذه السورة و ما قبلها من الأساليب الخارجة عن المألوف فى الخطاب و لكنه الجهل يدفع بصاحبه إلى الخطأ عصمنا اللّه من الزلل فى القول و العمل.

«رابعا» قالوا إن القسم المكى قد كثر فيه القسم بالأشياء المحسوسة من الأمكنة و الأزمنة و الثمار و ما ذاك إلا لأن أهل مكة قوم مداركهم لا تعدو المحسوسات فكان القرآن متأثرا بوسطهم بخلاف القسم المدنى فانه لم يشتمل على ذلك ضرورة أن اليهود كانوا

بالمدینة و هم قوم مهذبون تعلو مداركهم إلى ما فوق المحسوسات لذا تأثر القرآن هناك بوسطهم و يجعلون هذا الاختلاف دليلا على أن الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم هو الذى أتى بالقرآن من عند نفسه.

و للرد على هذه الشبهة نقول:

۱- قد بينا فيما تقدم أن أهل مكة كانوا أرقى العرب فصاحة و بلاغة و كان إليهم الحكم النافذ فى خطب العرب و قصائدهم و كان ذلك من أكبر مفاخرهم و كيف لا يعرفون غير المحسوسات و قد طولبوا بالإيمان باللّه و بصفاته بما غاب عنهم من اليوم الآخر و ما فيه و أقيمت عليهم الأدلة العقلية و الكونية فهل يخاطب بهذا و يطالب به من لا يدرك ما وراء الحس فوصف أهل مكة بالانحطاط العقلى لا يكون إلا ممن تجرد من عقله و عميت بصيرته.

۲- إن القسم بهذه الأشياء قد كثر فى القسم المكى لأن دعوة أهل مكة كانت إلى أصول الإيمان من الإلهيات و غيرهما و بيان الحجج الدالة على ذلك فى القسم بهذه الأشياء العظيمة التنبيه على أنها آيات و دلائل على قدرة اللّه تعالى و الإشارة إلى ما فى هذه الأشياء من المنافع العظيمة و بذلك تنتقل عقولهم من الاهتداء بها إلى الاعتراف بالخالق جلا و علا و اللّه تعالى أقسم لهم بما فيه النفع لهم من المحسوسات كالشمس

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۹۶

و الكواكب و غيرهما أو المعنويات كالقرآن فقد أقسم به غير مرة بل أقسم بنفس الإنسان، و بالرسول صلّى اللّه عليه و سلّم لأن نفعه عام و هدايته شاملة أرسله اللّه رحمة للعالمين.

أبعد هذا يقال إن اشتمال القسم المكى على القسم بهذه المحسوسات دليل على تأثره بالبيئة و الكلام فى أقسام القرآن لا يفى به هذا المختصر.

«خامسا» قالوا إن القسم المكى قد افتتح كثير من سوره بألفاظ غير ظاهرة المعنى مثل (الم) و (حم) و (طسم) و غيرها من فواتح السور المفتتحة بالحروف الهجائية و الخطاب بها كالخطاب بالمهمل الذى لا يفيد و اشتمال القرآن عليها ينافى كونه هدى للناس فأى هداية تقع بأمثال هذه الحروف التى لا تفيد معنى فهى لا تعدو أحد أمرين إما أن تكون رموزا قد قصد بها التهويل و التعمية و إظهار القرآن فى مظهر مخيف، و إما أن تكون رموزا قد وضعت لتميز بين المصاحف المختلفة ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا.

هذا ما يقوله بعض الطاعنين فى القرآن و قد تجاوز بعضهم الحد فى الطعن فقال إن هذه الألفاظ مما وضعه اليهود من كتبة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم و معناها (أو عز إلى محمد) أو (أمرنى محمد) و الذى حملهم على زيادتها تبرؤهم من الإيمان بما يأمرهم بكتابته، هذا ما يقوله الطاعنون على فواتح السور و الغرض منه التشكيك فى القرآن.

«و للرد على هذه الشبهة» نقول:

۱- أما دعوى أن هذه الفواتح ليس لها معنى و أن اشتمال القرآن عليها لا يفيد فإنها دعوى من لم يطلع على آراء العلماء فى فواتح السور و أكثر العلماء على أن فاتحة كل سورة اسم للسورة التى افتتحت بها و قد وردت آثار كثيرة تفيد ذلك «فقد روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال «من قرأ حم السجدة حفظ إلى أن يصبح» و روى عنه أيضا أنه قال «يس قلب القرآن» و قد اشتهرت بعض السور بالتسمية بها «و لا يرد» كونها وردت فى فواتح سور مختلفة بلفظ واحد لأن ذلك لا ينافى كونها أسماء للسور كالأعلام المشتركة اشتراكا لفظيا و هذا معهود فى اللغة العربية و يضم إلى كل اسم ما يميز مسماه عن غيره مثل «الم البقرة» و «الم آل عمران» و هكذا.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۹۷

و على ذلك فتكون هذه الأسماء مفيدة لمعنى معلوم عند المخاطبين و يدل على هذا الرأى خلاف الآثار السابقة و شهرة التسمية أنه لو لم تكن العرب قد فهموا منها مدلولا لكانوا أول من أنكر ذلك على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مع أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قد تلا عليهم حم و ص و الم و غيرها و لو أنكروا لنقل إلينا ذلك فعدم إنكارهم دليل على أنهم كانوا يفهمون منها معناها، كيف و هم قد كانوا حريصين على وجود هفوة أو زلة يشهرون بها و أيضا فالرسول صلّى اللّه عليه و سلّم قد تحداهم بالقرآن غير مرة فكيف يقع التحدى بما لا معنى له من الكلام و يسكتون على ذلك و إذا ثبت أنها لمعنى مفهوم لو تكن من قبيل المهمل و لا تنافى كون القرآن هدى و بيانا للناس.

۲- أما قول بعض الطاعنين إنها من وضع اليهود الذين كانوا يكتبون لمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم فهذه دعوى ساقطة عن الاعتبار ضرورة أنه لم يعرف فى أى تاريخ أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان له كتبة من اليهود فهذا مجرد اختلاق على الحقيقة و التاريخ و على فرض صحة ذلك ففى أى لغة يكون الم أو كهيعص أو طسم أو غيرها بمعنى «أوعز إلى محمد» أو «أمرنى محمد» هذا زعم كاذب و قول لا وجود له إلا فى وهم مخترعه و بهذا قد ذهبت هذه الشبهة هباء كما ذهب غيرها.

«سادسا» قالوا إن القسم المكى خال من الحجج و البراهين بخلاف القسم المدنى فإنه هو الذى جاء بالحجة و البرهان و هذا يدل على تأثر القرآن بالوسط الذى كان فيه محمد صلّى اللّه عليه و سلّم.

و للرد على هذه الشبهة نقول:

إن هذا زعم من لم يدرس القرآن و لم يعرف مكيه من مدنيه فإنه لو نظر قليلا لوجد القسم المكى مملوءا بالحجج و البراهين على توحيد اللّه و على البعث و النبوات التى تبهر العقول و تأخذ بالألباب و تهدى الضال و لكنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور و إن شئت نموذجا من براهين القسم المكى فاقرأ قوله تعالى فى سورة الأنبياء المكية لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا و قوله تعالى فى سورة الروم المكية وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَ

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۹۸

إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ إلى قوله وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ و قوله تعالى فى سورة النمل المكية أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ- إلى قوله تعالى- قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۱» و لو تتبعنا سور القرآن المكية لوجدنا أكثرها لا يخلو من حجة و دليل فدعوى خلو القسم المكى من الحجاج قول من لم يكلف نفسه مئونة النظر فى القرآن و لكنه يرجم بالغيب و لا يدرى ما ذا يقول.

هذه خلاصة الشبه وردها و قد اقتصرنا على ما ذكر ليكون نموذجا لغيره و اللّه الموفق للصواب.

---

(۱) سورة النمل (الآية ۶۰: ۶۴)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۹۹

المبحث السادس جمع القرآن و تاريخه

اشارة

- معنى الجمع- كتابة القرآن فى عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

جمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق.

- جمع القرآن فی عهد عثمان رضی اللّه عنه.

- المصاحف التی کتبت فی عهد عثمان.

- الشبهة التی وردت علی جمع القرآن.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۰۰

معنی جمع القرآن

ورد جمع القرآن فی الروایات علی حالتین:

الأولی جمعه بمعنی «حفظه» علی عهد الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و منه قوله تعالی إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ «۱» أی جمعه فی صدرک و قراءته علی لسانک، و مما ورد فیه، ما فی صحیح البخاری من حدیث قتادة قال سألت أنس ابن مالک رضی اللّه عنه عمن جمع القرآن علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، قال أربعة کلهم من الأنصار أبی بن کعب و معاذ بن جبل و زید بن ثابت و أبو زید، قلت لأنس من أبو زید؟ قال أحد عمومتی و فی البخاری عن أنس أیضا قال «مات النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و لم یجمع القرآن غیر أربعة: أبو الدرداء، و معاذ بن جبل، و زید بن ثابت، و أبو زید و نحن ورثناه» و فی روایة أخری قال: أبو زید و لم یترک عقبا و کان بدریا، و قد روی أبو داود بإسناد علی شرط الشیخین عن ثمامة عن أنس أن اسم أبی زید قیس بن السکن: و قال القرطبی إن اسمه سعد بن عبید و روایة أبی داود أصح و هاهنا تعارض بین الحدیثین من وجهین:

أولهما: أن الحدیث الأول المروی عن أنس لا یدل علی حصر من حفظ القرآن کله علی عهد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی أربعة بخلاف الحدیث الثانی فإنه یدل علی الحصر فی أربعة و یشهد للحدیث القاضی بعدم الحصر ما هو المعروف بل المنقول تواترا أن الذین حفظوا القرآن علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أکثر من أربعة منهم الخلفاء الأربعة فقد تظاهرت الروایات بأنهم جمعوا القرآن علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و کذلک عبد اللّه بن مسعود و سالم مولی أبی حذیفة رضی اللّه عنه و غیرهما.

ثانیهما: أن الحدیث الثانی فیه أبو الدرداء بدلا من أبی بن کعب الذی فی الحدیث الأول فمقتضی الحدیث الأول أن أبی کعب ممن جمعوا القرآن علی عهد

---

(۱) سورة القیامة (الآیة ۱۷)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۰۱

رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و مقتضی الحدیث الثانی أنه لیس منهم ضرورة الحصر فی أربعة لیس منهم أبی بن کعب.

(و الجواب عن هذا التعارض) أن الحصر فی الحدیث الثانی إضافی و لیس حقیقیا أی بحسب الواقع و نفس الأمر، لأنه لا یمکن الإحاطة بذلک مع کثرة الصحابة و تفرقهم فی البلاد و لا یتم الحصر الحقیقی لأنس رضی اللّه عنه إلا إذا کان قد لقی کل واحد منهم و أخبره عن نفسه أنه لم یکمل له جمع القرآن فی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و هذا فی غایة البعد عادة.

و إذا کان الأمر کذلک وجب القول بأن الحصر إضافی لا حقیقی حتی یتأتی التوفیق بین الحدیثین الصحیحین و معنی کون الحصر إضافیا أن أنسا رضی اللّه عنه لم یقصد فی الحدیث الثانی الحصر بالنسبة لجمیع الصحابة بل قصده بالنسبة للحاضرین معه وقت هذا القول و یکون قد قال ذلک لغرض من الأغراض الدینیة، و قرینة الواقع و هی أنه لم یستوعب جمیع الصحابة تؤید ذلک، علی هذا فلا تعارض بین الحدیثین.

و قد وفق القرطبی بینها بوجه آخر حیث قال ما نصه: قال ابن الطیب رضی اللّه عنه لا تدل هذه الآثار علی أن القرآن لم یحفظه فی

حیاة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و لم یجمعه غیر أربعة من الأنصار کما قال أنس بن مالک فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان و تمیم الداری و عبادة بن الصامت و عبد اللّه بن عمرو بن العاص فقول أنس لم یجمع القرآن غیر أربعة (یحتمل) أنه لم یجمع القرآن و أخذه تلقینا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم غیر تلک الجماعة فإن أکثرهم أخذ بعضه عنه و بعضه عن غیره و قد تظاهرت الروایات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن علی عهد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لأجل سبقهم إلی الإسلام و إعظام الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم لهم.

قلت لم یذکر القاضی، عبد اللّه ابن مسعود و سالما مولی أبی حذیفة رضی اللّه عنهما، فیما رأیت و هما ممن جمع القرآن. ثم ذکر القرطبی بعد ذلک روایات تدل علی أن عبد اللّه بن مسعود ممن جمع القرآن. و قد عرفت أنه یمکن الجمع بین الحدیثین.

و أما بعد وفاته صلّی اللّه علیه و سلّم فقد أتم حفظه آلاف کثیرة من الصحابة و قد اشتهر بإقراء القرآن سبعة من الصحابة و هم عثمان بن عفان و علی بن أبی طالب و أبی

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۰۲

بن کعب و زید بن ثابت و عبد اللّه بن مسعود و أبو الدرداء و أبو موسی الأشعری.

فلم یمض زمن یسیر علی وفاة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم حتی کان القرآن کله مجموعا أی محفوظا فی صدور الآلاف من الصحابة.

(الحالة الثانیة جمع القرآن بمعنی کتابته) و قد کان جمع القرآن بمعنی کتابته فی ثلاثة عهود.

(أولها) جمعه فی عهد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم (ثانیها) جمعه فی عهد أبی بکر الصدیق رضی اللّه عنه.

(ثالثها) جمعه فی عهد عثمان بن عفان رضی اللّه عنه [و لنتکلم علیه فی عهوده الثلاثة مع ذکر کیفیة کل و سببه و الفرق بینه و بین غیره فنقول].

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۰۳

(أولا- جمع القرآن بمعنی کتابته فی عهد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم)

اشارة

قد ورد فی ذلک ما أخرجه الحاکم فی المستدرک بسند علی شرط الشیخین عن زید بن ثابت (قال کنا عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم نؤلف القرآن من الرقاع) قال البیهقی یشبه أن یکون المراد به ما نزل من الآیات المفرقة فی سورها جمعها فیها بإشارة من النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و روی النیسابوری عن ابن عباس قال کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم إذا نزلت علیه سورة دعا بعض من یکتب فقال ضعوا هذه السورة فی الموضع الذی یذکر فیها کذا و کذا.

فالقرآن کله کان مجموعا أی مکتوبا علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فإنه ما نزلت آیة إلا و قد أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم من یکتب له أن یضعها فی موضع کذا من سورة کذا و لا نزلت سورة إلا و قد أمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أن یضعها بجنب سورة کذا و إن الذین حفظوا القرآن علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لم یکونوا قد جمعوه بین الدفتین و لم یلزموا القراء توالی سوره و ذلک لأن الواحد منهم کان إذا حفظ سورة أنزلت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أو کتبها ثم خرج فی سریة أو غزوة أو غاب لشأن من الشئون و نزل وقت غیبته شیء من القرآن ثم رجع أخذ بعد رجوعه فی حفظ ما نزل وقت مغیبه و کتابته و یتتبع ما فاته علی حسب ما یتسهل له فیقع فیما یکتبه تقدیم و تأخیر من هذا الوجه.

و کان منهم من یعتمد علی حفظه فلا یکتب علی ما کان من عادة العرب فی حفظ أنسابها و أشعار شعرائها من غیر کتابة منهم و بعضهم کان یکتبها فی مواضع مختلفة فی قرطاس و کتف و عسب ثقة منهم بما کانوا یعهدونه من جد المسلمین فی حفظ القرآن فلا

یرون بأکثرهم حاجة إلی مصحف ینظر فیه.

و یتلخص من هذا «أمران»:

«أحدهما» أن القرآن کله جمع بمعنی أنه کتب جمیعه بین یدی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بواسطة کتاب الوحی الذین کان یأمرهم النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، غیر أنه کان مفرقا فی العسب و الأکتاف و غیرها و لم یکن مجموعا بین دفتین.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۰۴

«ثانیهما» أن کثیرا من الصحابة علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم کتب کثیرا منه علی قدر ما تسهل له و کانت کتابتهم له أیضا متفرقة غیر مجموعة فی مصحف واحد، و إن صار مکتوبا جمیعه عند مجموعهم بمعنی أن هذا کتب کذا و ذاک کتب کذا و قد یتفق عدد منهم فیما کتبوا و قد یزید أحدهم عن الآخر و قد یکتب أحدهم سورة أو أکثر غیر ما کتبه الآخر و هکذا.

و إنما لم یجمع النبی صلّی اللّه علیه و سلّم القرآن فی المصحف لما کان یترقبه من ورود ناسخ لبعض أحکامه أو تلاوته و لما کان یترقبه أیضا من تتابع الوحی، و أیضا فإن ترتیب آیاته و سوره لیس علی ترتیب نزوله فقد کانت تنزل آیة أو سورة و تکون فی الترتیب قبل التی نزلت قبلها و هکذا فیکون جمعه فی مصحف واحد عرضة للتغییر و التبدیل فلما انقضی نزوله بوفاته صلّی اللّه علیه و سلّم و علم ترتیبه ألهم اللّه الخلفاء الراشدین جمعه علی النحو المخصوص وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه علی هذه الأمة فکان ابتداء ذلک علی ید أبی بکر الصدیق بمشورة عمر رضی اللّه عنهما کما سیأتی.

و السبب الباعث علی جمع القرآن أی کتابته بأمر الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم «أمور»:

«أولها» تبلیغ الوحی علی الوجه الأکمل لأن الاعتماد علی حفظ الصحابة غیر کاف لأنهم عرضة للنسیان و للموت فلو اعتمد علی حفظهم وحده لخشی ضیاع شیء منه بالنسیان أو بالموت أما الکتابة فباقیة لا یتطرق إلیها ذلک.

«ثانیها» تبلیغ الشاهد الغائب و تبلیغ الصحابة لمن بعدهم.

«ثالثها» معاضدة المکتوب للمحفوظ و لذا کان الحفظ و الکتابة مصدرین رجع إلیهما الصحابة عند جمع القرآن فی مصحف واحد.

«و قد امتازت الکتابة فی عهد الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم» بأمور:

(أولها) أنه لم یکن مجموعا فی مصحف واحد.

(ثانیا) أنه لم یکن مرتب السور و الآیات.

(ثالثا) أنه کان مکتوبا بالأحرف السبعة التی نزل علیها.

(رابعا) أن بعض الصحابة کان قد کتب بعض المنسوخ تلاوة و بعض ما هو ثابت بخبر الواحد و لم یقتصر علی ما ثبت بالتواتر کما سیأتی.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۰۵

(جمع القرآن فی عهد أبی بکر الصدیق رضی اللّه عنه)

اشارة

قد علمت أن القرآن کان محفوظا کله فی صدور الرجال و مکتوبا کله علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم إلا أنه کان متفرقا.

و أول من جمعه بین الدفتین فی مصحف واحد بعد وفاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أبو بکر الصدیق رضی اللّه عنه لما استحر

القتل بالقراء یوم الیمامة و کان فی ربیع الأول سنة ۱۲ اثنتی عشرة و قیل فی أواخر سنة إحدی عشرة کما فی کتب التاریخ فی زمن خلافته و قتل منهم فی ذلک الیوم علی ما قیل سبعمائة، و ذلک بإشارة عمر بن الخطاب علی أبی بکر رضی اللّه عنهما بجمع القرآن مخافة أن یموت أشیاخ القراء کأبی و ابن مسعود و زید فندبا زید بن ثابت رضی اللّه عنه إلی ذلک فجمعه غیر مرتب السور بعد تعب شدید.

یدل علی ذلک ما رواه البخاری عن زید بن ثابت قال: أرسل إلیّ أبو بکر مقتل أهل الیمامة و عنده عمر فقال أبو بکر إن عمر أتانی، فقال إن القتل قد استحر یوم الیمامة بالناس، و إنی أخشی أن یستحر القتل بالقراء فی المواطن، فیذهب کثیر من القرآن إلا أن تجمعوه و إنی لأری أن تجمع القرآن، قال أبو بکر: فقلت لعمر کیف أفعل شیئا لم یفعله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال هو و اللّه خیر، فلم یزل یراجعنی حتی شرح اللّه لذلک صدری، و رأیت الذی رأی عمر.

قال زید: و عنده عمر جالس لا یتکلم فقال لی أبو بکر: إنک رجل شاب عاقل و لا نتهمک، کنت تکتب الوحی لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فتتبع القرآن فاجمعه.

فو اللّه لو کلفنی نقل جبل من الجبال ما کان أثقل علی مما أمرنی به من جمع القرآن، قلت، کیف تفعلان شیئا لم یفعله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقال أبو بکر: هو خیر فلم أزل أراجعه حتی شرح اللّه صدری للذی شرح له صدر أبی بکر و عمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع و الأکتاف و العسب و صدور الرجال، حتی وجدت من سورة التوبة آیتین مع أبی خزیمة الأنصاری لم أجدهما مع غیره «لقد جاءکم رسول من أنفسکم» إلی آخرها فکانت الصحف

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۰۶

التی جمع فیها القرآن عند أبی بکر حتی توفاه اللّه ثم عند عمر حتی توفاه اللّه ثم عند حفصة» و قد ورد فی روایة أخری «مع خزیمة أو أبی خزیمة».

و قد علمت أن القرآن کان مکتوبا بأمر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و لکنه کان مفرقا فی الرقاع و الأکتاف و العسب فالذی فعله أبو بکر و أمر به زیدا إنما هو نسخها من مکان إلی مکان لیکون مجتمعا، فکان ذلک بمنزلة أوراق وجدت فی بیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فیها القرآن منتشر فجمعها جامع و ربطها بخیط حتی لا یضیع منها شیء .. و قد اعتمد فی ذلک علی الرقاع و صدور الرجال الحفاظ الذین شاهدوا تلاوته من الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فکان تزویر ما لیس منه مأمونا.

و أخرج ابن أبی داود عن طریق هشام بن عروة عن أبیه أن أبا بکر قال لعمر و لزید «اقعدا علی باب المسجد فمن جاءکما بشاهدین علی شیء من کتاب اللّه فاکتباه» رجاله ثقاة مع انقطاعه، و قد اختلف العلماء فی المراد بالشاهدین فقال ابن حجر المراد بالشاهدین الحفظ و الکتابة، و قال السخاوی المراد أنهما یشهدان علی أن ذلک المکتوب کتب بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، أو المراد أنهما یشهدان علی أن ذلک من الوجوه التی نزل بها القرآن، قال أبو شامة و کان غرضهم أن لا یکتب إلا من عین ما کتب بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لا من مجرد الحفظ قال: و لذلک قال فی آخر سورة التوبة لم أجدها مکتوبة مع غیره لأنه کان لا یکتفی بالحفظ دون الکتابة، و بهذا تعلم أنهم بالغوا فی التوثق فی کتابة القرآن فلم یقبلوه إلا من المصدرین معا و هما الحفظ و الکتابة بین یدی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم.

«و السبب الباعث علی الجمع فی عهد أبی بکر»

یعلم من الروایة السابقة و هو خوف ضیاع شیء من القرآن و قد صرح بذلک فی قوله «و إنی أخشی أن یستحر القتل بالقراء فی المواطن فیذهب کثیر من القرآن» أی فیضیع کثیر من القرآن بموت الحفاظ و قد یکون عند أحدهم شیء من المکتوب یضیع بموته: و قد علمت أن المصدرین المعول علیهما فی جمع القرآن هما الحفظ و الکتابة و لهذا کانت العنایة شدیدة بحفظ الصحف التی کتبها

زید بن ثابت لتکون مرجعا عند الحاجة فکان موضعها عند الخلیفة الأول أبی بکر ثم عند الخلیفة الثانی عمر ثم عند حفصة أم المؤمنین إلی أن طلبها منها عثمان الخلیفة الثالث عند الجمع الثالث کما یأتی.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۰۷

«و یمتاز الجمع فی عهد أبی بکر بأمور»:

(أولها): أنه اقتصر علی ما لم تنسخ تلاوته. (ثانیها): أنه لم یقبل فیه إلا ما أجمع الجمیع علی أنه قرآن و تواترت روایته و لم تقبل فیه روایة الواحد و لذا ردت روایة عمر فی آیة الرجم لأنها لم تتواتر و أما آخر براءة التی قیل فیها «فلم أجدها مع غیره» فالمراد أنه لم یجدها مکتوبة عند غیره لأنه کان لا یکتفی بالحفظ دون الکتابة و ذلک لا ینافی أنها کانت محفوظة لجمع کثیر یتحقق بهم التواتر فنقلها عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بالتواتر. (ثالثها): إنه لم ینقل فیه إلا ما کان مکتوبا بین یدی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم.

«و قد قیل» إن ثبوت الروایات الدالة علی أن أبا بکر رضی اللّه عنه أول من جمع القرآن بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ینافی ما ورد من أن علیا رضی اللّه عنه أول من جمع القرآن بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و یؤید ذلک ما نقله السیوطی عن ابن الضریس من حدیث محمد بن سیرین عن عکرمة قال: «لما کان بدء خلافة أبی بکر قعد علی بن أبی طالب فی بیته فقیل لأبی بکر قد کره بیعتک فأرسل إلیه فقال: أکرهت بیعتی، فقال لا و اللّه، قال ما أقعدک عنی؟ قال رأیت کتاب اللّه یزاد فیه فحدثت نفسی أن لا ألبس ردائی إلا لصلاة حتی أجمعه، قال له أبو بکر فإنک نعم ما رأیت قال محمد فقلت لعکرمة ألفوه کما أنزل الأول فالأول: قال لو اجتمعت الأنس و الجن علی أن یؤلفوه هذا التألیف ما استطاعوا» و أخرج هذا الأثر ابن اشته من وجه آخر عن ابن سیرین و فیه أنه کتب فی مصحفه الناسخ و المنسوخ و أن ابن سیرین قال فطلبت ذلک الکتاب و کتبت فیه إلی المدینة فلم أقدر علیه فهذه الروایة صریحة فی أن علیا کتب مصحفا فی بدء خلافة أبی بکر فیتعین أن یکون المراد بالجمع الذی قاله علی فی الروایات السابقة کتابة القرآن فی مصحف و ذلک ینافی ما ثبت من أن أول من جمع القرآن بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أبو بکر.

«و یجاب عن ذلک»:

بأن علیا و غیره ممن کتبوا المصاحف إنما کتب کل واحد منهم معتمدا علی محفوظه و روایته و لم یقتصر علی المتواتر و غیر منسوخ التلاوة و أما أبو بکر فکان أول من جمع القرآن و اقتصر فیه علی ما أجمع علیه الجمیع و تواترت روایته عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و وجد مکتوبا فی عهده صلّی اللّه علیه و سلّم و اقتصر فیه علی ما لم تنسخ تلاوته بخلاف جمع علی و غیره ما تقدم.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۰۸

(جمع القرآن فی عهد عثمان رضی اللّه عنه)

اشارة

لما کان عهد عثمان رضی اللّه عنه و تفرق الصحابة فی البلدان اختلف الناس فی القراءات و اشتد الأمر فی ذلک و عظم اختلافهم و تشبثهم کما وقع بین أهل الشام و أهل العراق فی غزوة ارمینیة استشار عثمان الصحابة فرأوا و رأی معهم جمع الناس علی مصحف واحد لا یتأتی معه اختلاف و لا تنازع و لا مراء فأرسل إلی حفصة رضی اللّه عنها فی طلب الصحف التی کتبت فی عهد أبی بکر ثم انتقلت منه إلی عمر و منه إلیها فبعثت بها إلیه لتکون أساسا فی جمع القرآن ثم عهد عثمان إلی زید بن ثابت و عبد اللّه ابن الزبیر و سعید بن العاص و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فأمرهم أن ینسخوا الصحف فی المصاحف.

ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم فيه أنتم و زيد فاكتبوه بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم فلما نسخوا الصحف فى المصاحف مع ترتيب السور على الوجه المشهور بعث عثمان فى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف و حمل الناس على القراءة بوجه واحد تلافيا لما نشأ فى ذلك الوقت من الاختلاف فى القراءة. و أمر بما سوى ذلك من القرآن أن يحرق أو يخرق، ورد الصحف إلى حفصة فبقيت عندها إلى أن توفيت رضى اللّه عنها.

فأرسل مروان بن محمد إلى عبد اللّه بن عمر عقب انصرافه من جنازتها ليرسلن إليه تلك الصحف فأرسل بها إليه عبد اللّه بن عمر فأمر بها مروان فشققت و قال إنما فعلت هذا لأنى خشيت إن طال بالناس الزمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب.

و مما ورد فى شأن هذا الجمع ما رواه البخارى فى صحيحه عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان و كان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۰۹

لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود و النصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت و عبد اللّه بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف.

و قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا» حتى إذا نسخوا الصحف من المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا و أمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

و روى عن زيد بن ثابت أنه قال: «فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ «۱» فألحقناها بسورتها فى المصحف و قد ورد أنهم اختلفوا فى التابوت فقال زيد: التابوة، و قال ابن الزبير و سعيد بن العاص: التابوت فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال اكتبوه بالتاء.

و أخرج بن أبى دواد فى المصاحف من طريق أبى قلابة أنه قال «لما كان فى خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، و المعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضا، فبلغ ذلك عثمان، فخطب فقال:

أنتم عندى تختلفون، فمن نأى عنى من الأمصار أشد اختلافا.

فكأنه و اللّه أعلم لما جاءه حذيفة و أعلمه باختلاف أهل الأمصار تحقق عنده ما ظنه من ذلك و رأى الأمر قد حزب، فأمر بما أمر به.

قال الحافظ ابن حجر و كان ذلك فى أواخر سنة أربع و عشرين و أوائل سنة خمس و عشرين و هو الوقت الذى ذكر أهل التاريخ أن أرمينية فتحت فيه.

---

(۱) سورة الأحزاب (الآية ۲۲)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۱۰

ثم أن عثمان لم يفعل ذلك إلا بعد أن استشار الصحابة و كان ذلك على ملأ منهم فقد ذكر أبو بكر الأنبارى فى كتاب الرد عن سويد بن غفلة قال «سمعت على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه يقول: يا معشر الناس، اتقوا اللّه و إياكم و الغلو فى عثمان و قولكم حراق مصاحف، فو اللّه ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم».

و عن عمرو بن سعيد قال: (قال على بن أبى طالب رضى اللّه عنه: لو كنت الوالى وقت عثمان لفعلت فى المصاحف مثل الذى فعل

عثمان) و فی أمر عثمان بتحریق الصحف و المصاحف حین جمع القرآن جواز تحریق الکتب التی فیها أسماء اللّه تعالی و أن ذلک إکرام لها و صیانة عن الوطء بالأقدام و طرحها فی الأرض و قد کان طاوس یحرق الرسائل إذا اجتمعت عنده و فیها بسم اللّه الرحمن الرحیم، و حرق عروة بن الزبیر کتب فقه کانت عنده یوم الحرة، و قال القاضی أبو بکر: جائز للإمام تحریق الصحف التی فیها القرآن إذا أداه إلیه اجتهاده و جزم عیاض بأنهم غسلوا ما بأیدیهم من الصحف بالماء ثم أحرقوها مبالغة منهم فی إذهابها.

و السبب الباعث علی جمع القرآن فی عهد عثمان:

هو دفع الاختلاف و التنازع فی القرآن و قطع للمراء فیه، و خشیة الفتنة من أجل الاختلاف، و حمل الناس علی القراءة بوجه واحد لذلک و أما قبله فقد کانت المصاحف بوجوه القراءات علی الحروف السبعة التی أنزل بها القرآن و لم تحتج الصحابة فی أیام أبی بکر و عمر إلی جمعه علی الوجه الذی جمعه علیه عثمان، لأنه لم یحدث فی أیامهما من الخلاف ما حدث فی أیام عثمان، و لقد وفقه اللّه لأمر عظیم فرفع الاختلاف، و جمع الکلمة و أراح الأمة، و لهذا لم ینکر علیه أحد بل رضوا فعله هذا و عدوه من مناقبه و آثاره الخالدة رضی اللّه عنه و عنهم أجمعین.

و أن الجمع فی عهد عثمان قد امتاز بالأمور الآتیة:

(أولها) الاقتصار فی المصحف علی حرف واحد و هو حرف قریش کما سبق بیانه.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۱۱

(ثانیها) الاقتصار فیه علی ما ثبت بالتواتر و ترک ما کانت روایته أحادیة و ما نسخت تلاوته فلم یکتبوا فی جمع عثمان إلا ما تحققوا أنه قرآن و ثبت صحته قطعا عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و علموا أنه استقر فی العرضة الأخیرة و کان زید بن ثابت قد شهدها.

(ثالثها) ترتیب سوره و آیاته علی الوجه المعروف الآن و أما فی عهد أبی بکر فقد کان جمعه مرتب الآیات دون السور.

(رابعها) تجریده من النقط و الشکل و من کل ما لیس قرآنا بخلاف بعض ما کان مکتوبا عند بعض الصحابة فإنه کان فیه بعض تأویلات و تفسیرات لبعض ألفاظه، و بما ذکرنا تعلم الفرق بین کل جمع و الذی قبله.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۱۲

بیان المصاحف التی کتبت فی عهد عثمان (و عددها و السبب فی التعدد و ما یتعلق بذلک)

اشارة

المصاحف جمع مصحف بزنة مفعل من أصحفه أی جمع فیه الصحف، و الصحف جمع صحیفة و هی قطعة من جلد أو ورق یکتب فیه و قد یقال مصحف بکسر المیم، روی أن أبا بکر الصدیق استشار الناس بعد جمع القرآن فسماه مصحفا فصار علما علی ما جمع فیه القرآن کله.

(عدد المصاحف):

اختلف فی عدد المصاحف التی کتبت فی عهد عثمان و وجه بها إلی الأمصار: فی الکواکب الدریة لشیخ القراء بالدیار المصریة الشیخ محمد علی خلف الحسینی ما نصه «و اختلف فی عدد المصاحف التی کتبها عثمان فقیل و هو الذی صوبه ابن عاشر فی شرح الإعلان:

إنها ستة المكى و الشامى و البصرى و الكوفى و المدنى العام الذى سيره عثمان رضى اللّه عنه من محل نسخه إلى مقره و المدنى الخاص به الذى حبسه لنفسه و هو المسمى بالإمام» و قال الحافظ ابن حجر و الجلال السيوطى رحمهما اللّه: المشهور أنها خمسة، و قال صاحب زاد القراء: لما جمع عثمان القرآن فى مصحف سماه الإمام و نسخ منه مصاحف فأنفذ منها مصحفا إلى مكة، و مصحفا إلى الكوفة، و مصحفا إلى البصرة و مصحفا إلى الشام، و حبس مصحفا بالمدينة، و قال الجعبرى: حبس مصحفا بالمدينة للناس و آخر لنفسه و سير باقيها إلى أمراء الأمصار، ثم قال و مجموعها ثمانية خمسة متفق عليها، و ثلاثة مختلف فيها يعنى بالخمسة المتفق عليها الكوفى، و البصرى و الشامى و المدنى العام، و المدنى الخاص، و بالثلاثة المختلف فيها المكى و مصحف البحرين و مصحف اليمن لقول العلامة الشاطبى:

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۱۳ و سار فى نسخ منها مع المدنى كوف و شام و بصر تملأ البصرا

و قيل مكة و البحرين مع يمن ضاعت بها نسخ فى نشرها قطرا ثم قال: إن مصر سير إليها مصحف ا ه و قال القرطبى: قيل سبعة و قيل أربعة و هو الأكثر و وجه بها إلى الآفاق فوجه للعراق و الشام و مصر بأمهات فاتخذها قراء الأمصار معتمد اختياراتهم و لم يخالف أحد منهم فى مصحفه على النحو الذى بلغه و ما وجد بين هؤلاء القراء السبعة من الاختلاف فى حروف يزيدها بعضهم و ينقصها بعضهم فذلك لأن كلا منهم اعتمد على ما بلغه فى مصحفه و رواه، إذ قد كان عثمان كتب تلك المواضع فى بعض النسخ و لم يكتبها فى موضع إشعارا بأن كل ذلك صحيح و أن القراءة بكل منها جائزة.

(فالسبب فى تعدد المصاحف)

أن عثمان و الصحابة رضى اللّه عنهم قصدوا كتابة المصاحف على ما وقع عليه الإجماع و نقل متواترا عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من القراءات فعددوا المصاحف لتكون مشتملة على جميع القراءات المتواترة و اختلاف القراءات له حالتان:

(الأولى) أن تحتمل صورة اللفظ خطا القراءتين المختلفتين أو القراءات و فى هذه الحالة يكتب اللفظ فى جميع المصاحف بصورة تحتملها مثل (ننشرها و ننشزها) «۱» و فَتَبَيَّنُوا فتثبتوا «۲» و أُفٍ «۳» بإختلاف حركات آخره و هَيْتَ «۴» باختلاف القراءات فيه و هكذا فإنها تكتب فى جميع المصاحف بصورة واحدة تحتمل جميع القراءات و لا شك أنها كانت مجردة من النقط و الشكل.

(الحالة الثانية) أن لا تكون صورة اللفظ خطا محتملة للقراءات المختلفة و فى هذه الحالة تكتب فى بعض المصاحف بصورة و بعضها صورة أخرى و لم تكتب مكررة فى مصحف واحد لئلا يتوهم أنها تقرأ مكررة كذلك و أنها نزلت دفعة واحدة مكررة بل كل قراءة نزلت وحدها و كذا لم تكتب إحداهما فى الأصل و الأخرى بالحاشية لئلا يتوهم أن الثانية تصحيح للأولى، و أيضا اعتبار

---

(۱) سورة البقرة (الآية ۲۵۹)

(۲) سورة الحجرات (الآية ۶)

(۳) سورة الاسراء (الآية ۲۳)

(۴) سورة يوسف (الآية ۲۳)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۱۴

إحداهما فى الأصل و الأخرى بالحاشية تحكم و ذلك مثل وَ وَصَّى و أوصى «۱» و تَجْرِى تَحْتَهَا و من تحتها «۲» و فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ و لله «۳» و ما عملت أيديهم وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ «۴» و هكذا.

و على ذلك فمن وصل إليه المصحف الذى فيه و أوصى قرأ به، و من وصل إليه الذى فيه و وصى قرأ به و هكذا، و أما لم تختلف فيه القراءات فقد كتب بصورة واحدة فى جميع المصاحف كالحالة الأولى و بهذا كانت المصاحف التى كتبت بأمر عثمان رضى اللّه

عنه مشتملة على جميع القراءات المتواترة، مع تجريدها من النقط المبين للحروف، و الشكل المبين للحركات و سيأتى بيان حدوث النقط و الشكل.

و إنما جردت من ذلك لأمور:

۱- ما روى (جردوا مصاحفكم) ۲- لتحمل الكلمة التى تفهم بصورة واحدة أكثر من وجه، مما صح نقله و ثبتت تلاوته عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من وجوه القراءات لأن الاعتماد لم يكن على مجرد الخط بل كان على الحفظ و الرواية و لذا يقرأ نحو فتبينوا بالتاء و الثاء و لا تسئل بالبناء للفاعل مع الجزم و بالبناء للمفعول مع الرفع.

۳- لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين فإن الصحابة رضى اللّه عنهم تلقوا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم القرآن الذى أمره اللّه بتبليغه بجميع وجوه قراءاته، و لم يكونوا ليسقطوا شيئا من القرآن الثابت عنه صلّى اللّه عليه و سلّم و لا يمنعوا من القراءة به و قد أجمعوا على هذه المصاحف و لم يخالف فيها واحد منهم.

---

(۱) سورة البقرة (الآية ۱۳۲)

(۲) سورة التوبة (الآية ۱۰۰)

(۳) سورة المؤمنون (الآية ۸۵)

(۴) سورة يس (الآية ۳۵)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۱۵

(الشبه التى وردت على جمع القرآن وردها)

اشارة

قد تمسك بعض الطاعنين على جمع القرآن بشبه أكثرها فى الأصل مما أورده بعض الكاتبين و أجاب عنه، و لكن شغف هؤلاء الطاعنين بالطعن جعلهم يوردون هذه الاعتراضات كشبه و ينقلونها دون الرد عليها و زادوا من مخيلاتهم ما شاءت لهم أوهامهم و سنورد كل شبهة و نتبعها بالرد عليها:

(أولا) من الشبه قالوا كيف يكون جمع القرآن عن ملأ من الصحابة و اتفاقهم مع أن عبد اللّه بن مسعود و هو ذو المكانة العظمى فى الإسلام و له السوابق الجليلة، قد كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف و قال: يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ المصاحف، و يتولاه رجل و اللّه لقد أسلمت، و إنه لفى صلب رجل كافر، يريد زيد بن ثابت فهذا يدل على أنه لم يكن موافقا على هذا الجمع.

(و يجاب)

بأن قول ابن مسعود هذا لا يفيد إلا أنه كان يرى أنه أحق بالتقديم فى هذا الشأن من زيد بن ثابت رجاء زيادة المثوبة فى جمع القرآن و لم يبد منه ما يدل على عدم الموافقة على جمع القرآن و لا شك فى أنه بعد زوال الغضب عنه عرف حسن اختيار عثمان و من معه من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و بقى على موافقتهم و ترك الخلاف.

كيف و لم يكن اختيار زيد من جهة أبى بكر و عمر و عثمان إلا لأنه كان أحفظ للقرآن، و لما اجتمع فيه من الصفات التى تؤهله لهذا

المنصب العظیم، انظر إلی قول أبی بکر له: «إنک رجل شاب عاقل، و لا نتهمک، کنت تکتب الوحی لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم» فقد وصفه فی هذه الجمل بأربعة أوصاف هی التی یجب توافرها جمیعها فیمن یعهد إلیه بهذا العمل الجسیم و الأمر الخطیر و هی «الشباب» المقتضی للقوة و الصبر و الجلد «و العقل» الذی هو جماع الفضائل و «الأمانة و عدم التهمة» و هی مجمع مکارم الدین و الدنیا «و کتابة الوحی» لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و بها یتم التوثق و الاطمئنان.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۱۶

و مع ذلک فقد ضم إلیه عثمان ثلاثة من أوثق «القراء» و أعلمهم و هذه المزایا مجتمعة لا تقتضی أفضلیة زید علی عبد اللّه بن مسعود و لا علی أبی بکر و عمر و عثمان و علی و إنما تقتضی أهلیته التامة لما عهد إلیه به.

(ثانیا) من الشبه قیل: کیف یکون القرآن کله متواترا مع أن زید بن ثابت قال فی أثناء ذکره لحدیث جمع القرآن فی الصحف و هو الجمع فی عهد أبی بکر «فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع و الأکتاف و العسب و صدور الرجال حتی وجدت من سورة التوبة آیتین مع أبی خزیمة الأنصاری لم أجدهما مع غیره، لَقَدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ ما عَنِتُّمْ إلی آخرها.

و قال فی ذکر جمع القرآن فی عهد عثمان فقدت آیة من سورة الأحزاب کنت أسمع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقرأها لم أجدها مع أحد إلا مع خزیمة الأنصاری الذی جعل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم شهادته بشهادة رجلین مِنَ الْمُؤْمِنِینَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَیْهِ فهذا الذی نقل عن زید یدل علی أنه اعتمد فی بعض آیات القرآن علی خبر الواحد الذی لا یتحقق به التواتر و ذلک ینافی ما هو مقرر من أن القرآن کله جملة و تفصیلا منقول بالتواتر المفید للقطع.

(و یجاب)

بأن ما نقل عن زید بن ثابت لا ینافی تواتر القرآن جملة و تفصیلا لأنک قد علمت أن الاعتماد فی جمع القرآن کان علی المصدرین معا الحفظ و الکتابة و الغرض من الاعتماد علی الکتابة التوثق بأنه مما کتب بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و إلا فمجرد الحفظ کاف فی النقل إذا بلغ حد التواتر.

فمعنی قول زید فی الحادثتین «لم أجدها عند غیره» أی لم أجدها مکتوبة و ذلک لا ینافی أنها کانت محفوظة بدلیل قوله فی الحادثة الثانیة «فقدت آیة کنت أسمعها من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم» فهو کان یذکرها و یذکر أنه سمعها و لکنه یبحث عن کونها مکتوبة عند أحد و لم یشترط أحد التواتر فی الکتابة بمعنی أنها تکون مکتوبة عند جمع یؤمن تواطؤهم علی الکذب بل التواتر مشترط فی الروایة من الحفظ.

سلمنا أن خزیمة و أبا خزیمة هما اللذان کانا یحفظان ما ذکرا فلا یدل ذلک علی عدم سماع جمع کثیر یؤمن تواطؤهم علی الکذب لها من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و إنما کان ذلک غائبا عن أذهانهم فلما ذکر کل من خزیمة و أبی خزیمة ما ذکر تذکر الصحابة ذلک و أقروه فکان تواترا یفید العلم القطعی و هو المطلوب.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۱۷

(ثالثا) من الشبه قیل إن القرآن قد زید فیه ما لیس منه، یدل علی ذلک ما ورد أن عبد اللّه بن مسعود کان لا یکتب المعوذتین فی مصاحفه، و فی روایة کان یحذف المعوذتین من مصاحفه و علی ذلک فیکون القرآن قد زید فیه ما لیس منه و هو المعوذتان اللتان لم یکتبهما ابن مسعود فی مصحفه بل ورد أنه أنکر کونهما من کتاب اللّه.

و یجاب عن ذلک بوجوه:

۱- لا نسلم بصحة تلک الروایات عن عبد اللّه بن مسعود فلا یعول علیها.

۲- علی فرض صحتها عنه فإن عدم إثباتها فی المصحف لا یستلزم إنکار کونهما من القرآن لجواز أن یکون ترکهما اعتمادا علی الحفظ و یحمل لفظ کتاب اللّه فی قوله «إنهما لیستا من کتاب اللّه» علی المصحف.

۳- علی فرض صحة إنکار ابن مسعود قرآنیتهما فهی روایة آحاد عن ابن مسعود لا تعارض القطعی الثابت عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و نقله الصحابة بالتواتر و هو کونهما من القرآن.

۴- علی فرض صحة ما روی عن ابن مسعود أیضا فمخالفته غیر قادحة فی العلم و القطع بکونهما من القرآن لأنه لیس المعتبر فی العلم بصحة النقل و القطع علی ثبوته أن لا یخالف فیه مخالف و إنما المعتبر فی ذلک مجیئه عن قوم یثبت بهم التواتر و تقوم بهم الحجة.

(رابعا) من الشبه قیل إن القرآن نقص منه ما کان بعض الصحابة یکتبه فی مصحفه و ذلک مثل ما نقل عن أبی بن کعب أنه کتب فی مصحفه سورتین تسمیان سورتی الخلع و الحفد کان یقنت بهما و هما «اللهم إنا نستعینک و نستغفرک، و نثنی علیک الخیر و لا نکفرک، و نخلع و نترک من یفجرک، اللهم إیاک نعبد، و لک نصلی و نسجد، و إلیک نسعی و نحفد، نخشی عذابک و نرجو رحمتک، إن عذابک بالکفار ملحق» فهذه الروایة بحسب ظاهرها تدل علی أن القرآن لم یجمع کله و أنه قد حذف منه بعض سور و آیات.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۱۸

و یجاب عن ذلک بوجهین:

۱- لا نسلم أنهما من القرآن لأن إثبات أبی بن کعب لهما فی المصحف لا یستلزم کونهما من القرآن کما أن القنوت بهما منه فی الصلاة لا یفید ذلک لأنک قد علمت مما تقدم أن المصاحف فی الأول لم تکن قاصرة علی القرآن بل کان بعضها مشتملا علی بعض تفسیرات و تأویلات و علی منسوخ التلاوة و علی دعاء فکان الجمع فی عهدی أبی بکر و عثمان خاصا بالقرآن مع تجرید الصحف و المصاحف مما لیس منه.

۲- علی فرض أن أبیا أثبتهما فی المصحف علی أنهما من القرآن فهو خبر آحاد لا تقوم به الحجة فی إثبات القرآن لأن العمدة فیه النقل المتواتر المفید للقطع، علی أن ذلک لم یصح عنه و إنما الذی روی عنه أنه أثبته فی مصحفه و قد أثبت فی مصحفه ما لیس قرآنا من دعاء و تأویل.

«و هاهنا قاعدتان»

یجب التنبه لهما و هما العمدة فی دفع کل شبهة تستند إلی زیادة أو روایة نقص من القرآن فتجب ملاحقتهما و هما:

«أولا» کل روایة آحادیة تفید إنکار شیء من القرآن الذی ثبت بالتواتر لا تقبل لأن الآحادی لا یعارض القطعی.

«ثانیا» کل روایة آحادیة لا تقبل فی إثبات شیء من القرآن لأن العمدة فی ثبوته التواتر فلا یقبل فیه الآحاد و إذ قد علمت هذا فکل شبهة یتمسک بها الطاعنون من هذا القبیل فهذا طریق ردها و اللّه أعلم.

«خامسا» من الشبهة: طعن بعض المبشرین بدعاوی کاذبة زعم فیها أن القرآن سقط منه شیء و زید فیه شیء و استند إلی الأمور الآتیة و خلاصتها:

۱- ما ورد فی الحدیث أن محمدا صلّی اللّه علیه و سلّم قال: رحم اللّه فلانا لقد أذکرنی کذا و کذا آیة کنت أسقطتهن و یروی أنسیتهن.

۲- ما جاء فی سورة الأعلی سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ و زعم هذا الطاعن: أنه أنسی آیات لم یتفق له من یذکره إیاها.

۳- قال إن الصحابة قد حذفوا من القرآن ما رأوا المصلحة فی حذفه فمن ذلک آیة المتعة أسقطها علی بن أبی طالب بتة و کان

یضرب من یقرأها.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۱۹

۴- قال هذا الزاعم إن کثیرا من آیاته لم یکن لها من قید سوی حفظ الصحابة لها و کان بعضهم قد قتلوا فی المغازی و حروب الخلفاء الأولین و ذهب معهم ما کانوا یحفظونه قبل أن یوعز أبو بکر إلی زید بن ثابت بجمعه فلم یستطع أن یجمع سوی ما یحفظه الأحیاء و ادعی أن بعض ما کان مکتوبا ضاع.

۵- ادعی هذا الطاعن أن الحجاج لما قام بنصرة بنی أمیة حذف من القرآن ما کان قد نزل فیهم و زاد فیه أشیاء لیست منه و کتب ستة مصاحف جدیدة زعم أنه وجه بها إلی مصر و الشام و مکة و المدینة و البصرة و الکوفة تزلفا إلی بنی أمیة.

۶- زعم هذا الطاعن أن آیة وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللَّهَ شَیْئاً وَ سَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِینَ «۱» من کلام أبی بکر قالها یوم السقیفة و زیدت عند جمع القرآن و کذا آیة وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِیمَ مُصَلًّی «۲» من کلام عمر و زیدت فی القرآن عند جمعه هذا خلاصة ما یقوله ذلک الطاعن.

و للرد علیه نقول:

۱- عن الحدیث الذی أورده قد زاد فیه ما لم یرو عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و الذی روی هو أن عباد بن بشار کان یقرأ أمام النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و النبی صلّی اللّه علیه و سلّم یسمعه فقال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم (لقد أذکرنی کذا و کذا آیة فی سورة کذا) و لیس فی ألفاظ الحدیث (رحم اللّه فلانا) المشعر بأنه مات و لا لفظ «أسقطتهن» أو «أنستیهن» المشعر بالنسیان.

و بهذا نعلم مقدار أمانته فی النقل و لفظ أذکرنی لا یقتضی النسیان بل غایة ما یدل أنه کان غائبا عن ذهنه ثم تذکره و من المقرر المعلوم أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لا یقره اللّه علی نسیان شیء من القرآن أو أصول الدین أو الواجبات.

۲- إن ما تمسک به هذا الزاعم من دلالة الآیة علی النسیان فهو زعم من لم یعرف سبب نزول الآیة و لا معناها، أما سببها فإن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم کان یتذکر القرآن فی

---

(۱) سورة آل عمران: (الآیة ۱۴۴)

(۲) سورة البقرة: (الآیة ۱۲۵)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۲۰

نفسه مخافة أن ینسی فأزال اللّه خوفه و أنزل علیه سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ و أما معناها فهو سنعلمک القرآن حتی لا تنساه و الغرض من الاستثناء تعریفه صلّی اللّه علیه و سلّم أن عدم النسیان من فضل اللّه تعالی و إحسانه و تعریف أمته ذلک حتی لا یخرجوه صلّی اللّه علیه و سلّم من مقام العبودیة دائما.

و مجرد الاستثناء لا یدل علی وقوع النسیان بل النسیان لم یقع لعدم المشیئة و یدل علی قوله تعالی: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ «۱» أی جمعه فی صدرک و قراءته علی لسانک.

۳- قوله إن الصحابة قد حذفوا ما رأوا المصلحة فی حذفه .. إلخ قول من لم یعرف عنایة الصحابة و حرصهم علی القرآن و بعد معرفة القاعدتین السابقتین فی اثبات شیء من القرآن أو إنکار شیء لا تحتاج إلی رد خاص بهذه الشبهة.

۴- قوله إن کثیرا من آیاته لم یکن لها من قید سوی حفظ الصحابة .. إلخ.

و نحن نقول الذی بقی من الحفاظ أکثر ممن مات فقد کان موجودا من القراء من تقوم بهم الحجة و یحصل بهم التواتر کما هو مقتضی قول عمر «و أخشی أن یستحر القتل بالقراء فی المواطن» و قوله و کانت کتابته غیر منتظمة إن أراد به أنه لم یکن مرتب السوء

و الآیات فمسلم و إن أراد أنه لم یکن مکتوبا جمیعه فممنوع لما بیناه فیما تقدم أنه کتب جمیعه فی عهد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بأمره و کان الغائب وقت نزول الوحی إذا حضر کتب و حفظ.

۵- دعوی أن الحجاج زاد أو نقص من القرآن، دعوی لا وجود لها إلا فی خیال قائلها، إذ لم ینقل فی أی تاریخ من التواریخ ما یشیر إلی ذلک و کیف یکون ذلک و التاریخ أحصی علی الحجاج أکثر أفعاله و أقواله فکیف یفعل أمرا عظیما له خطره و یعظم أثره. و لا یذکر.

۶- زعمه بأن آیهٔ وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ... إلخ» من کلام أبی بکر و أن آیهٔ وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِیمَ مُصَلًّی من کلام عمر و زیدتا فی القرآن زعم باطل و اجتراء علی الحق و لو نظر ذلک الطاعن فی بعض کتب التفسیر لأغنانا المئونهٔ فی

---

(۱) سورهٔ القیامهٔ (الآیهٔ ۱۷)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۲۱

حکایهٔ سخفه و الرد علیه فإن هذه الآیهٔ الأولی نزلت یوم أحد لما أشیع أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قتل، فإن أبا بکر رضی اللّه عنه لما رأی القوم عمهم الحزن و الأسی لما صدموا بوفاهٔ الرسول الأعظم صلّی اللّه علیه و سلّم ذکرهم بهذه الآیهٔ التی کانت سببا فی أنهم ثابوا إلی رشدهم و استرجعوا إلی ربهم و لم تکن من مقول أبی بکر و إنما هی من کلام رب العالمین فأین یوم أحد من یوم وفاهٔ الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم؟! و أما قول عمر فإنه کان من باب التمنی بقوله لو اتخذنا من مقام إبراهیم مصلی فنزل الأمر بذلک بقوله تعالی وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِیمَ مُصَلًّی فأین أسلوب التمنی من أسلوب الأمر؟! (سادسا) من الشبه ما نقله الألوسی عن بعض الشیعهٔ و الملاحدهٔ ما خلاصته أن عثمان بل أبا بکر و عمر حرفوه «أی القرآن» و أسقطوا کثیرا من آیاته و سورهٔ و قالوا إن القرآن الذی نزل به جبریل سبع عشرهٔ ألف آیهٔ، و أن سورهٔ «لم یکن» کانت مشتملهٔ علی اسم سبعین رجلا من قریش بأنسابهم و آبائهم و أن سورهٔ الأحزاب کانت مثل سورهٔ الأنعام، أسقطوا منها فضائل أهل البیت و أن سورهٔ الولایهٔ أسقطت بتمامها و غیر ذلک من خرافاتهم.

«و لذا تبرأ منه بعض علمائهم قال الطبرسی فی مجمع البیان. أما الزیادهٔ فیه أی القرآن فمجمع علی بطلانها و أما النقصان فیه روی عن قوم من أصحابنا و قوم من حشویهٔ العامهٔ و الصحیح خلافه» و مع کون هذه الشبههٔ واهیهٔ متداعیهٔ من تلقاء نفسها.

(نرد علیها بإیجاز فنقول)

أیها المتشیعون قد صار الأمر فی الخلافهٔ إلی علی بن أبی طالب کرم اللّه وجهه و قد دانت له الأقطار کلها عدا مصر و الشام، و المصاحف التی جمعها عثمان تتلی أ کان یعلم أن القرآن حذف منه الشیء الکثیر و یسکت علیه و هو الإمام المعصوم فی زعمکم أم جئتم أنتم بجهلکم تغترون، ثم صار الأمر إلی ابنه الإمام الحسن و مصاحف عثمان کذلک فقد ظلت دولهٔ أهل البیت بعد عثمان قائمهٔ أربع سنوات و بضعهٔ شهور فکیف یسکتون علی حذف ما یخصهم من القرآن و لم یرتفع لهم به صوت و لم یسمع لهم فیه مقال؟! و بهذا تعلم أن هذه الشبههٔ کالتی قبلها لا أساس لها و اللّه الهادی إلی سواء السبیل، و من أمعن النظر فیما تقدم سهل علیه رد کل شبههٔ من هذا القبیل و اللّه أعلم.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۲۳

المبحث السابع ترتیب آیات القرآن و سوره

اشارهٔ

- معنی الآیة و السورة- أقوال العلماء فی ترتیب الآیات- أقوال العلماء فی ترتیب السور

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۲۴

بیان معنی الآیة و السورة و ما یتعلق بهما

۱- الآیة:

اشارة

«الآیة» لغة وردت فی القرآن بمعنی العلامة و ذلک فی قوله تعالی:

إِنَّ آیَةَ مُلْکِهِ أَنْ یَأْتِیَکُمُ التَّابُوتُ فِیهِ سَکِینَةٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ بَقِیَّةٌ مِمَّا تَرَکَ آلُ مُوسی وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِکَةُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ «۱» أی علامة ملکه.

و بمعنی العبرة فی قوله تعالی إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ «۲» أی عبرة لمن بعدهم.

«و بمعنی الدلیل فی مثل قوله تعالی وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ «۳» أی دلائل قدرته» و فی الاصطلاح «طائفة من القرآن ذات مبدأ و مقطع مندرجة فی سورة» و آخرها یسمی فاصلة و إنما سمیت آیة لأنها علامة علی نفسها بانفصالها عن الآیة التی قبلها و التی بعدها.

و آیات القرآن کلها توقیفیة أی لا تعلم إلا بتوقیف من الشارع قال الزمخشری: الآیات علم توقیفی لا مجال للقیاس فیه و لذلک عدوا «الم» آیة حیث وقعت و «المص» و لم یعدوا «المر و الر» و عدوا «حم» آیة فی سورها «و طه و یس» و لم یعدوا «طس» و أخرج الامام أحمد فی مسنده عن ابن مسعود قال: «أقرأنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم سورة من الثلاثین من آل حم قال یعنی الأحقاف» قال کانت السورة إذا کانت أکثر من ثلاثین سمیت الثلاثین و قال ابن العربی ذکر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم «أن الفاتحة سبع آیات و سورة الملک ثلاثون آیة».

---

(۱) سورة البقرة (الآیة ۲۴۸)

(۲) سورة الشعراء (الآیة ۶۷)

(۳) سورة الروم (الآیة ۲۰)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۲۵

«عدد آیات القرآن»

أجمعوا علی أن عدد آیات القرآن ستة آلاف آیة ثم اختلفوا فیما زاد علی ذلک فمنهم من لم یزد و هو أحد قولی المدنیین و منهم من قال و مائتا آیة و أربع آیات و هو قول البصریین و قیل و أربع عشرة فی أحد قولی المدنیین و قیل و تسع عشرة و هو قول المکیین و قیل و خمس و عشرون و هو قول أهل الشام و قیل و ست و ثلاثون و هو قول الکوفیین.

و السبب فی الاختلاف فی عدد الآیات أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم کان یقف علی رءوس الآی للتوقیف فإذا علم محلها وصل للتمام فیحسب السامع حینئذ أنها لیست فاصلة.

و قد اختلفت آیات القرآن الکریم فی الطول و القصر و أطول آیة فی القرآن آیة الدین «۱» و أقصر آیة «یس».

(فوائد معرفة الآيات)

يترتب على معرفة الآيات و عددها أحكام فقهية منها اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات و منها معرفة الوقف و منها أن الإجماع منعقد على أن الصلاة لا- تصح بنصف آية و منها أن الإعجاز لا يقع بأقل من ثلاث آيات قصار أو آية طويلة تعادلها و غير ذلك من الفوائد.

ب- السورة:

اشارة

هى آيات جمعت و قرنت بعضها إلى بعض حتى تمت و كملت و بلغت فى الطول المقدار الذى أراده اللّه تعالى ثم فصل بينها و بين سورة أخرى بسم اللّه الرحمن الرحيم و لا تكون إلا معروفة المبتدأ معلومة المنتهى.

و اشتقاقها من سور المدينة و البناء قيل لأن السور يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهى إلى الارتفاع الذى يراد فكذا السورة وضعت فيها آية إلى جنب آية حتى بلغت فى عدد الآيات المبلغ الذى أراده اللّه تعالى و قيل سميت سورة لما فيها من العلو و الرفعة من السور لعلوه و ارتفاعه، و قيل لإحاطتها بآياتها كما أن سور المدينة محيط بالمساكن و الأبنية.

---

(۱) من سورة البقرة (الآية ۲۸۲)

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۲۶

و معرفة سور القرآن كلها توقيفية كمعرفة آياته، و سور القرآن تختلف بالطول و القصر فأطولها سورة البقرة و أقصرها سورة الكوثر و قد قسمها العلماء إلى أربعة أقسام و هى:

۱- «الطوال» و هى سبع: البقرة و آل عمران و النساء و المائدة و الأنعام و الأعراف و السابعة قيل الأنفال و براءة لعدم الفصل بينهما بالبسملة و قيل يونس.

۲- «المئون» و هى التى تزيد آياتها عن مائة أو تقاربها.

۳- «المثانى» و هى السور التى تقارب المئين فى عدد الآيات.

۴- «المفصل» و هو ما عدا ذلك و أوله الحجرات على أرجح الأقوال و هو أقسام ثلاثة: طوال المفصل و هى من أول الحجرات إلى سورة البروج، و أوساطه من سورة الطارق إلى سورة لم يكن، و قصاره من سورة إذا زلزلت إلى آخر القرآن.

«و الحكمة»

فى تسوير القرآن سورا تحقيق كون السورة معجزة بمجردها و آية من آيات اللّه و الإشارة إلى أن كل سورة نمط مستقل فسورة يوسف تترجم عن قصته و سورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين و أسرارهم إلى غير ذلك.

و الحكمة فى كون سوره طوالا- و قصارا التنبيه على أن الطول ليس من شروط الإعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات و هى معجزة إعجاز سورة البقرة ثم ظهرت لذلك حكمة أخرى فى تعليم القرآن و هى التدريج من السور القصار إلى ما فوقها تيسيرا من اللّه على عباده لحفظ كتابه و هناك فوائد أخرى.

«ترتيب آيات القرآن»

ترتیب الآیات فی سورها توقیفی ثابت بالوحی و بأمر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقد کان صلّی اللّه علیه و سلّم یقول ضعوا آیة کذا فی موضع کذا و قد حصل الیقین من النقل المتواتر بهذا الترتیب من تلاوة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و قد ترادفت النصوص علی کون ترتیب الآیات توقیفیا و وقع الإجماع علی ذلک.

أما الإجماع فنقله غیر واحد منهم الزرکشی فی البرهان، و أبو جعفر ابن الزبیر فی مناسباته، و عبارته «ترتیب الآیات فی سورها واقع بتوقیفه صلّی اللّه علیه و سلّم و أمره من غیر خلاف فی هذا بین المسلمین».

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج ۱، ص: ۱۲۷

و أما النصوص «فمنها» ما أخرجه البخاری عن ابن الزبیر قال قلت لعثمان وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً «۱» قد نسختها الآیة الأخری «۲» فلم تکتبها أو تدعها؟ قال یا ابن أخی لا أغیر شیئا من مکانه» قال ابن حجر: قوله فلم تکتبها؟ أو تدعها کذا فی الأصول بصیغة الاستفهام الإنکاری کأنه قال لم تکتبها و قد عرفت أنها منسوخة، أو قال لم تدعها أی تترکها مکتوبة و هو شک من الراوی أی اللفظین قال ثم نقل روایة أخری عن الإسماعیلی بصیغة لم تکتبها و قد نسختها الآیة الأخری، و فی جواب عثمان هذا دلیل علی أن ترتیب الآیات توقیفی و کأن عبد اللّه بن الزبیر ظن أن الذی ینسخ حکمه لا یکتب فأجابه عثمان بأن ذلک لیس بلازم و المتبع فیه التوقیف عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم.

(و منها ما أخرجه) الإمام أحمد عن عثمان بن العاص قال کنت جالسا عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال أتانی جبریل فأمرنی أن أضع هذه الآیة هذا الموضع من السورة إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِیتاءِ ذِی الْقُرْبی وَ یَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ وَ الْبَغْیِ یَعِظُکُمْ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ «۳» فهذا الحدیث صریح فی أن جبریل علم النبی صلّی اللّه علیه و سلّم موضع هذه الآیة من سورتها.

«و منها» ما رواه مسلم عن عمر قال ما سألت النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عن شیء أکثر مما سألته عن الکلالة، «حتی طعن بإصبعه فی صدری و قال تکفیک آیة الصیف «۴» التی فی آخر النساء.

«و منها» ما رواه البخاری عن أبی مسعود أنه قال: قال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم «من قرأ بالآیتین من آخر سورة البقرة فی لیلة کفتاه» و الآیتان هما آمن الرسول إلی آخر السورة و آخر الآیة الأولی المصیر و من ثم إلی آخرها آیة واحدة و أبو مسعود هو عقبة بن عمرو البدری.

---

(۱) سورة البقرة (الآیة ۲۴۰) و هی التی تجعل عدة المتوفی عنها زوجها سنة کاملة.

(۲) یعنی الموجودة فی سورة البقرة (الآیة ۲۳۴) و التی تجعل عدة المتوفی عنها زوجها أربعة أشهر و عشرا.

(۳) سورة النحل (الآیة ۹۰)

(۴) نزلت فی فصل الصیف.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج ۱، ص: ۱۲۸

و قد وردت نصوص إجمالیة فی ذلک، مثل ما ثبت من أنه صلّی اللّه علیه و سلّم قرأ سورة البقرة و آل عمران و النساء و سورة الأعراف و سورة الم تنزیل و هل أتی و غیرها و کل ذلک وارد فی الصحیحین أو فی أحدهما و کان صلّی اللّه علیه و سلّم یقرأ السور علی ترتیبها المعروف الآن فدل ذلک کله علی أن ترتیب الآیات توقیفی و قد أجمعت علیه الصحابة رضوان اللّه علیهم أجمعین.

ترتیب السور

اشارة

ترتیب السور علی ما هو علیه الآن قد اختلف فیه علی ثلاثة أقوال:-

«الأول» و هو قول الجمهور

إنه بتوقیف من النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فلم توضع سورة فی مکانها من المصاحف الموجودة الآن إلا بأمر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و تعلیمه أو برمزه علی حسب ما سمعوا من تلاوته صلّی اللّه علیه و سلّم، و استدل الجمهور بأن الصحابة أجمعوا علی المصحف الذی کتب فی عهد عثمان و لم یخالف منهم أحد حتی من کان عنده مصاحف مکتوبة علی خلاف ترتیبه کما سنذکره بعد، فلو لم یکن ذلک بالتوقیف بل بالاجتهاد لحصل من أصحاب المصاحف الأخری المخالفة فی الترتیب ما یقتضی تمسکهم بترتیب مصاحفهم و لکن عدولهم عنها و عن ترتیبها بل و إحراقها دلیل علی أن الأمر لیس للاجتهاد فیه مجال لأنه لا اجتهاد مع النص و التوقیف.

کیف و قد کان الواحد منهم إذا رأی من الخلیفة أمرا مخالفا لاجتهاده من الأمور الاجتهادیة بادر إلی إعلان رأیه و معارضة الخلیفة، فکیف بهذا الأمر العظیم الذی هو المرجع الأعلی لجمیع المسلمین، و لا یشترط أن یکون التوقیف من النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بنص صریح بل قد یکون بالفعل أو الرمز فلا بد للإجماع من مستند و لا یشترط ظهوره و لا ذکره.

و مع ذلک فقد وردت آثار تدل علی التوقیف من النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فقد روی الإمام أحمد و أبو داود عن حذیفة الثقفی «قال کنت فی الوفد الذین أسلموا من ثقیف» الحدیث و فیه فقال لنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم طرأ علی حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتی أقضیه فسألنا أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قلنا کیف تحزبون القرآن؟ قالوا نحزبه ثلاث سور و خمس سور و سبع سور و تسع

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۲۹

سور و إحدی عشرة و ثلاث عشرة و حزب المفصل من ق. حتی نختم». فهذا یدل علی أن ترتیب السور علی ما هو فی المصحف الآن کان علی عهد رسول صلّی اللّه علیه و سلّم.

و مما یدل أیضا علی أنه توقیفی کون الحوامیم رتبت ولاء أی متتابعة و لم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بین سورها بسورة «قد سمع و الممتحنة و المنافقون» کما فصل بین طسم الشعراء و طسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما.

و لو کان الترتیب اجتهادیا لما حصل الفصل بین المتماثلات و المتقاربات من السور فی الافتتاح مع التناسب فی الطول و القصر و قد أید کثیر من العلماء هذا القول فقد قال أبو بکر الأنباری أنزل اللّه القرآن کله إلی سماء الدنیا ثم فرقه فی بضع و عشرین سنة فکانت السورة تنزل لأمر یحدث و الآیة جوابا لمستخبر و یقف جبریل النبی صلّی اللّه علیه و سلّم علی موضع السورة و الآیات فاتساق السورة کاتساق الآیة و الحروف، کله من النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن.

و قال أبو جعفر النحاس المختار أن تألیف السور علی هذا الترتیب من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لحدیث وائلة «أعطیت مکان التوراة السبع الطوال».

و قال ابن الحصار ترتیب السور و وضع الآیات فی مواضعها، إنما کان بالوحی، و أخرج ابن أشتة فی کتاب المصاحف، من طریق ابن وهب عن سلیمان ابن بلال قال: سمعت ربیعة یسأل، لم قدمت البقرة و آل عمران، و قد نزل قبلهما بضع و ثمانون سورة بمکة و إنما أنزلتا بالمدینة، فقال، قدمتا و ألف القرآن علی علم ممن ألفه به و من کان معه فیه و اجتماعهم علی علمهم بذلک، فهذا مما ینتهی إلیه و لا یسأل عنه.

«القول الثانی»:

اشارة

أن ترتیب السور علی ما هو علیه الآن باجتهاد من الصحابة و ممن قال بهذا الرأی القاضی أبو بکر الطیب فی أحد قولیه، و استدل القائلون به باختلاف ترتیب مصاحف الصحابة قبل الجمع فی عهد عثمان فلو کان ترتیب السور توقیفیا لما اختلفت مصاحفهم فی ترتیب السور، لکنها قد اختلفت.

و بیان ذلک کما ثبت فی الروایات أن مصحف أبی کان مبدوءا بالحمد ثم

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۳۰

البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام، و فی مصحف ابن مسعود: البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأعراف ثم الأنعام، و مصحف علی کان أوله اقرأ ثم المدثر ثم نون ثم المزمل ثم تبت ثم التکویر و هکذا فهذا الاختلاف دلیل علی أن ترتیب السور کان باجتهادهم.

«و أجیب» عن هذا الدلیل

بمنع الملازمة فیه لأن الاختلاف لیس دلیلا علی أنه لیس توقیفیا و ذلک لأن مصاحفهم لم تکن مصاحف تلاوة بل کانت مصاحف علم و تأویل بدلیل أنهم أثبتوا فیها ما روی آحادا و ما نسخت تلاوته و بعض أدعیة و بعض تأویلات لبعض القرآن لذا لم تکن تلک المصاحف حجة فی إثبات القرآن و لهذا ترک منها ما هو مخالف للمصاحف العثمانیة و لم یعول علیها فی زیادة أو نقص عنها فکذا لم یعول علیها فی ترتیب السور.

فالذی سوغ ترک ما فیها من مخالفة للمصاحف العثمانیة من نقص أو زیادة سوغ ترک ترتیبها المخالف لها و المسوغ لذلک أن الاعتماد فی جمع المصحف علی ما یفید القطع بالقرآنیة لفظا و نظما و ترتیبا، و ما فیها من مخالفة لم یثبت بهذا الطریق و یدل لهذا أن أصحاب المصاحف أنفسهم قد وافقوا علی مصاحف عثمان و ما فیها من لفظ و ترتیب و ترک ما سواها فلو کان بالاجتهاد لظلوا علی اجتهادهم و بهذا ظهر بطلان هذا القول.

«القول الثالث»:

اشارة

أن ترتیب بعض السور کان بتوقیف من النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و ترتیب بعضها کان باجتهاد من الصحابة و مال القاضی أبو محمد بن عطیة إلی هذا القول، فقال إن کثیرا من السور قد علم ترتیبها فی حیاة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، کالسبع الطوال و الحوامیم و المفصل و أن ما سوی ذلک یمکن أن یکون فوض الأمر فیه إلی الأمة بعده.

و استدل أصحاب هذا القول بما وقع بین ابن عباس و عثمان بشأن سورتی الأنفال و التوبة و جعلهما فی الطوال و عدم الفصل بینهما بسطر «بسم اللّه الرحمن الرحیم» فقد روی أحمد و الترمذی و النسائی و ابن حبان و الحاکم عن ابن عباس «قال قلت لعثمان ما حملکم علی أن عمدتم إلی الأنفال و هی من المثانی و إلی براءة و هی من المئین، فقرنتم بینهما، و لم تکتبوا بینهما سطر بسم اللّه الرحمن الرحیم،

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۳۱

و وضعتموها فی السبع الطوال فقال عثمان رضی اللّه عنه کان الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم تنزل علیه السور ذوات العدد فکان إذا

أنزل عليه شيء دعا بعض من يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات فى السور التى يذكر فيها كذا و كذا، و كانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة و كانت براءة من آخر القرآن نزولا و كانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و لم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما و لم أكتب بينهما سطر بسم اللّه الرحمن الرحيم، و وضعتهما فى السبع الطوال.

فهذا يدل على أن ترتيب الأنفال مع التوبة كان باجتهاده لعدم البيان فيهما و أما ما عداهما فبتوقيف كما يدل عليه الحديث.

«و أجيب» عن هذا الدليل بوجهين:

(۱) إن هذا الحديث غير صحيح لأن الترمذى الذى هو أحد من خرجه قال فيه إنه حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد الفاسى عن ابن عباس و يزيد هذا مجهول الحال فلا يصح الاعتماد على حديثه الذى انفرد به فى ترتيب القرآن.

(۲) على فرض صحته يجوز أن عثمان حين إخباره لابن عباس لم يكن عنده شيء مسموع بشأن الترتيب بين براءة و الأنفال فلا ينافى أنه علم بعد ذلك بدليل موافقة أبى بن كعب و غيره من أصحاب المصاحف على ترتيب مصحف عثمان فلو لم يكن عنده علم بذلك لما تركوا ترتيب مصاحفهم و لما وافقوه فى ذلك إذا كان الترتيب اجتهاديا لأنه ليس للمجتهد أن يقلد مجتهدا آخر كما هو مقرر فى الأصول و بهذا قد علمت ما فى هذا الدليل.

و قد جعل الزركشى فى البرهان الخلاف لفظيا فجعل قول من قال إن ذلك كان باجتهاد الصحابة على أن المراد أنه لم يكن مأخوذا من صريح قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو لا ينافى أنه مأخوذ من رمزه و إشارته به لأصحابه، و حمل قول من قال إنه توقيفى على أن ذلك كان بتعليم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و إرشاده و أن ذلك بطريق الرمز و الإشارة، لا بصريح القول و العبارة، و استدل على ذلك بأن مالكا رحمه اللّه، قال إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، مع قول مالك نفسه إن ترتيب السور باجتهاد منهم فلا بد أن يكون مراده بكونه باجتهاد أنهم لم يسمعوا

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۳۲

نصا صريحا فى الكل فلا ينافى أنهم يفهمون من إشاراته و رموزه و قراءته بدليل قوله على ما كانوا يسمعونه من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

و مع ذلك سواء قلنا إن هذا الترتيب للسور توقيفى أو اجتهادى فقد وقع إجماع الصحابة عليه و هم لا يجمعون إلا عن مستند كما بينا لك سابقا و اللّه أعلم.

و من يقول إن ترتيب السور توقيفى لا يقول إن تلاوة القرآن فى الصلاة و الدرس يجب أن تكون مرتبة على حسب الترتيب فى المصحف بل إنما يجب تأليف سوره فى الرسم و الخط خاصة و ما روى عن ابن مسعود و ابن عمر أنهما كرها أن يقرأ القرآن منكوسا و قالا ذلك منكوس القلب، فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة، و يبتدئ من آخرها إلى أولها، لأن ذلك حرام محظور، و أما قراءة سورة قبل سورة فلا شيء فيه.

و هاهنا شبهتان على الترتيب قد ذكرناهما و أجبنا عنهما و هما:

(الشبهة الأولى) كيف يكون ترتيب القرآن توقيفيا و قد ذكر عثمان لابن عباس أنه لم يسمع فى شأن ترتيب الأنفال مع براءة شيئا كما تقدمت الرواية عنه «و قد أجبنا عن هذه الشبهة» مفصلا فيما تقدم.

(الشبهة الثانية) اختلاف مصاحف الصحابة ينافى التوقيف و الجواب عن ذلك تقدم مبسوطا فى إبطال أدلة المخالفين و لنقتصر فى بحث الترتيب على ما ذكرنا خوف التطويل.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۳۳

المبحث الثامن رسم المصحف الشریف

اشارة

- الکتابة فی قریش- کتابة القرآن فی عهد الرسول- آراء العلماء فی حکم رسم المصحف- تعلم الرسول القراءة و الکتابة- فوائد الرسم القرآنی- شبه حول الرسم القرآنی- شکل القرآن- إعجام القرآن

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۳۴

الکتابة فی قریش

یحسن بنا أن نقدم بین یدی هذا البحث مقدمة تتضمن کیف تعلمت قریش الکتابة و من أی الجهات نقلت إلیهم، فالمشهور عند أهل العلم ما رواه ابن الکلبی عن عوانة قال أول من کتب بخطنا هذا و هو الجزم مرامر بن مرة و أسلم بن سدرة أی و کذا عامر بن جدرة و هم من عرب طیء تعلموه من کاتب الوحی لسیدنا هود علیه السلام ثم علموه أهل الأنبار و منهم انتشرت الکتابة فی العراق الحیرة و غیرهما فتعلمها بشر بن عبد الملک أخو کیدر بن عبد الملک صاحب دومة الجندل و کان له صحبة بحرب بن أمیة لتجارته عندهم فی بلاد العراق، فتعلم حرب منه الکتابة ثم سافر معه بشر إلی مکة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبی سفیان فتعلم منه جماعة من أهل مکة فبهذا کثر من یکتب بمکة من قریش قبیل الإسلام و لذا قال رجل کندی من أهل دومة الجندل یمن علی قریش بذلک.

لا تجحدوا نعماء بشر علیکمفقد کان میمون النقیبة أزهرا

أتاکم بخط الجزم حتی حفظتموامن المال ما قد کان شتی مبعثرا

فأجریتم الأقلام عودا و بدأةو ضاهیتموا الکتاب کسری و قیصرا

و أغنیتم عن مسند الحبی حمیرو ما زبرت فی الصحف أقلام حمیرا و إنما قال أتاکم بخط الجزم کما قال عوانة بخطنا هذا و هو الجزم لأن الخط الکوفی کان قبل وجود الکوفة یسمی الجزم کأنه جزم أی اقتطع و ولد من المسند الحمیری و الذی اقتطعه مرامر و صاحباه فقال هذا السیوطی و غیره.

و قیل إن حرب بن أمیة تعلم الخط من عبد اللّه بن جدعان یدل لذا ما ذکره أبو عمرو الدانی بسنده إلی زیاد بن أنعم قال: قلت لعبد اللّه بن عباس: معاشر قریش هل کنتم تکتبون فی الجاهلیة بهذا الکتاب العربی تجمعون فیه ما اجتمع

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۳۵

و تفرقون فیه ما افترق هجاء بالألف و اللام و المیم و الشکل و القطع و ما یکتب به الیوم قبل أن یبعث النبی صلّی اللّه علیه و سلّم؟ قال نعم، قلت فمن علمکم الکتابة، قال حرب بن أمیة قلت فمن علم حرب بن أمیة؟ قال عبد اللّه بن جدعان قلت فمن علم عبد اللّه ابن جدعان؟ قال أهل الأنبار قلت فمن علم أهل الأنبار؟ قال طارئ طرأ علیهم من أهل الیمن من کندة قلت فمن علم ذلک الطارئ؟ قال الخلجان بن الموهم کان کاتب هود نبی اللّه بالوحی عن اللّه عز و جل.

و علی کل فقد اتفق معظم مؤرخی العرب علی أن الخط دخل إلی مکة بواسطة حرب بن أمیة بن عبد شمس و أنه تعلمه فی أسفاره کما یدل علیه ما تقدم.

و أما الخط فی المدینة المنورة فقد ذکر أصحاب السیر أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم دخلها و کان فیها یهودی واحد یعلم الصبیان الکتابة و کان فیها بضعة عشر رجلا یعرفون الکتابة منهم زید بن ثابت الذی تعلم کتابة الیهود بأمر النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و المنذر بن عمرو و أبی بن وهب و عمرو بن سعید.

و قد اشتهر بالکتابة من الصحابة عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان و علی و طلحة و أبو عبیدة من المهاجرین و أبی بن کعب و زید

بن ثابت من الأنصار.

و مما تقدم تعلم أن وجود الكتابة فى قريش كان قبيل بدء الإسلام بزمن يسير فكان ذلك إرهاصا لرسالة نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم و نزول الوحى عليه لتكون الكتابة من أسباب حفظ القرآن الكريم من الضياع و النسيان فضلا عن حفظه فى الصدور لتستكمل للقرآن الكريم الوجودات الأربعة فى الأذهان و العيان و العبارة و الكتابة.

و قد كان وجود الكتابة فى مكة و المدينة قبيل الإسلام من أسباب حفظ القرآن الكريم الذى تكفل اللّه بحفظه فيسره فى الألسنة و حفظته الصدور و يسر الأسباب لثباته بكتابته و كذلك كانت الكتابة من الأسباب العظيمة لتبليغ الرسالة إلى الملوك و القياصرة و الأمراء فقد كاتبهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم داعيا إلى الإسلام و نبذ الشرك و الأوهام.

و لما كان للكتابة المنزلة فى حفظ الوحى و تبليغ الرسالة كانت عناية الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم بها شديدة لذا انتهز أول فرصة لنشر الكتابة بين المسلمين و بادر إليها فقد ذكر فى كتب السيرة أنه لما أسر المسلمون فى غزوة بدر سبعين رجلا من

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج ۱، ص: ۱۳۶

المشركين من قريش و غيرهم و فيهم كثير من الكتاب قبل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من الأميين منهم الافتداء بالمال أما الذين يعرفون الكتابة فقد فرض على كل واحد منهم أن يعلم عشرة من صبيان المدينة الكتابة فلا يطلق إلا بعد أن يتم تعليمهم و كان هذا فداءه بدلا من المال و قيل إن هذا الفرض كان على من عجز عن الافتداء بالمال كما فى بعض الروايات.

و على كل فمنه يعلم مقدار حرص النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على محاربة الأمية من الأمة و نشر الكتابة و القراءة بينها و قد كان هذا فى السنة الثانية للهجرة فلعمر الحق إن هذا النظام الذى وضعه الرسول الأعظم لأكبر برهان على أنه أعظم المصلحين للأمة، كيف لا و هو أعظم معلم و أكبر هاد إلى سواء السبيل، فمهما جهد المصلحون و اجتهدوا فى دعواهم فلن يبلغوا قطرة من بحره فإنه صلّى اللّه عليه و سلّم فى الوقت الذى يرى أن الأمة محتاجة إلى المال لتقوى على مكافحة عدوها و محتاجة إلى قهر عدوها بالإثخان فيهم قتلا إذا به يرى أن تعليم الأمة الكتابة خير من المال و هو من أهم عوامل تقدمها و رقيها و ظفرها بالفوز و النصر فى الحال و المآل.

و بذلك كثرت الكتابة بين المسلمين و صارت تنتشر فى كل ناحية فتحها الإسلام فى حياته صلّى اللّه عليه و سلّم و بعده و الذين كتبوا من الصحابة كانوا الغاية القصوى فى الحذق بالهجاء و ما ورد من قوله صلّى اللّه عليه و سلّم «إنا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب» فهو إخبار عما كان بحسب المبدأ و الغالب.

و إذ قد علمت طرفا من حال الكتابة قبل الإسلام و بعده فلنذكر كتابة القرآن الكريم و رسمه.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج ۱، ص: ۱۳۷

كتابة القرآن الكريم

اشارة

كتب القرآن جميعه متفرقا فى حياة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و بين يديه فى الرقاع و الأكتاف و الأضلاع و العسب و اللخاف و الظرر.

«الرقاع» جمع رقعة و هى الخرقة و القطعة من الأدم، و الأكتاف جمع كتف و هو العظم المنبسط كاللوح، و الأضلاع جمع ضلع بكسر الضاد و فتح اللام فى لغة الحجاز و تسكن فى لغة تميم و هى عظم الجنبين و «العسب» جمع عسيب و هو الأصل العريض من جريد النخل و «اللخاف» جمع لخفة كصحاف و صحفة و هى الحجر العريض الأبيض الرقيق و «الظرر» هو الحجر الذى له حد كالسكين و جمعه ظرار، كما كتب فى غير هذه الأشياء لأن الورق المعروف لنا الآن لم يكن موجودا عند العرب فى زمنه صلّى اللّه عليه و سلّم.

و کان من کتاب الوحی بین یدیه صلّی اللّه علیه و سلّم من الصحابة أبو بکر و عمر و عثمان و علی و أبان بن سعید و خالد بن الولید و أبی بن کعب و أرقم بن أبی الأرقم و معاویة بن أبی سفیان و ثابت بن قیس و حنظلة بن الربیع و خالد بن سعید بن العاص و زید بن ثابت رضی اللّه عنهم أجمعین و غیرهم.

و قد کان صلّی اللّه علیه و سلّم یدعو أحد کتابه و یأمره بکتابة ما ینزل علیه من القرآن، یدل علی ذلک أمور منها:

أولا ما روی أنه لما نزل قوله تعالی لا یَسْتَوِی الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ غَیْرُ أُولِی الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ «۱» قال ابن أم مکتوم و عبد اللّه بن جحش: یا رسول اللّه إنا عمیان فهل لنا رخصة فأنزل اللّه تعالی «غیر أولی الضرر» قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ائتونی بالکتف و الدواة و أمر زیدا أن یکتبها فکتبها، فقال زید: کأنی أنظر إلی موضعها عند صدع فی الکتف.

---

(۱)- سورة النساء (الآیة ۹۵)

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۳۸

«ثانیا» ما أخرجه مسلم من حدیث أبی سعید «قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لا تکتبوا عنی شیئا غیر القرآن» فهذا الحدیث یدل علی أن القرآن کان یکتب فی عهده صلّی اللّه علیه و سلّم.

«ثالثا» ما تقدم من قول أبی بکر لزید بن ثابت «إنک لرجل شاب عاقل لا نتهمک قد کنت تکتب الوحی لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم» و غیر ذلک من الروایات الکثیرة الدالة علی أن القرآن کان یکتب بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم.

رسم المصحف

الأصل فی المکتوب أن یکون موافقا للمنطوق من غیر زیادة و لا نقص و لا تغییر و لا تبدیل مع مراعاة الابتداء و الوقف و الفصل و الوصل و لکن رسم المصحف قد خولف فیه هذا الأصل و لنذکر لذلک أمثلة بقدر الإیضاح من غیر استقراء لجمیع ما ورد:

۱- الحذف: مثل حذف ألف یاء النداء نحو یا أیها الناس، و حذف ألف ذلک و أولئک و من کل علم زائد علی ثلاثة مثل ألف إبراهیم و إسماعیل و صالح و ألف بعض جمع التصحیح لمذکر أو مؤنث و حذف اللام المدغمة فی بعض الکلمات مثل اللیل و بقائها فی کلمات أخری و هکذا.

۲- الزیادة: مثل زیادة الألف بمد آخر الاسم المجموع نحو ملاقوا ربهم و أولوا الألباب و فی نحو مائة و مائتین و الظنونا و الرسولا و السبیلا و غیر ذلک، و زیدت الیاء فی «بأیید».

۳- الهمز: الأصل فی الهمزة التی تقع طرفا أنها تکتب من جنس حرکة ما قبلها مثل یقرأ و قد ورد فی مواضع من القرآن مخالفة لذلک الأصل تتفیأ و أتوکأ، و لا نظمأ، و ما یعبأ، و یذرأ، و ینشأ، و یبدأ، فإنها رسمت جمیعها فی المصحف بالواو و غیر ذلک.

۴- الفصل و الوصل: وردت بعض کلمات فی القرآن مرسومة فی المصحف تارة موصولة و تارة مفصولة مثل وصل «ألا» بالفتح و فصلها فی مواضع «أن لا» و وصل «عما» «إلا» فی «عن ما نهوا عنه».

و وصل «عمن» و فصلها فی «عن من یشاء» فی النور «و عن من تولی» فی

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۳۹

النجم و وصل «کلما» و فصلها فی «کل ما ردوا إلی الفتنة» «و من کل ما سألتموه» و غیر ذلک مما جاء فی الرسم تارة مفصولا و تارة موصولا مثل إنما و أن لم بالفتح، و أن لن، و أین ما، و لکی لا، و فی ما، و غیر ذلک.

۵- البدل: کتب فی الرسم الألف واوا فی مثل الصلاة و الزکاة و الحیاة و الربا غیر مضافة و مشکاة و النجاة و مناة و کتب یاء فی یتوفیکم، و کتبت هاء التأنیث تاء فی مواضع من القرآن و ذلک مثل «رحمت» فی البقرة و الأعراف و هود و مریم و الروم و الزخرف،

«و نعمت» فى البقرة و آل عمران و المائدة و إبراهيم و النحل و لقمان و فاطر و الطور، «و سنت» فى الأنفال و فاطر و غافر، «و امرأت» مع زوجها» «۱» «و لعنت» فى قوله فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ و فى وَ الْخامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ «و معصيت» فى قد سمع «و شجرت» فى إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ فى الدخان، «قرت» فى القصص» قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ و «بقيت» فى هود بَقِيَّتُ اللَّهِ و غير ذلك مما كتبت فيه هاء التأنيث فى مواضع على خلاف الأصل بالتاء و فى مواضع أخرى على الأصل بالهاء.

۶- «ما فيه قراءتان» و كتب على إحداهما و من ذلك مالك يوم الدين و يخادعون و تفادوهم و تظاهرون و غيرهما مما كتب فيه بلا ألف و قد قرئ بها و يحذفها و هذه الأمثلة هى القواعد التى أتبعت فى رسم المصحف و لو أردنا استقراء كل نوع منها لطال بنا المقال و لكن نقتصر على ما قدمنا ليكون أدلة على أن فى رسم المصحف ألفاظا كثيرة خالف فيها الخط اللفظ و قد استوعبها علماء الرسم و القراءات مع الضبط التام.

---

(۱) أى لفظ المرأة إن جاء مع زوجها كتبت تاء مثل «امرأت نوح» فى سورة التحريم و إن جاء مطلقا كتبت هاء مثل «امرأة مؤمنة» فى سورة الأحزاب.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۴۰

آراء العلماء فى جواز مخالفة رسم المصحف و عدم جواز ذلك و فى كونه توقيفيا أو اصطلاحيا

اشارة

قال السيوطى فى الإتقان ما نصه القاعدة العربية أن اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به و الوقف عليه و قد مهد النحاة له أصولا و قواعد و قد خالفها فى بعض الحروف خط المصحف الإمام.

و قال أشهب: سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء: فقال لا، إلا على الكتبة الأولى، رواه الدانى فى المقنع ثم قال: و لا مخالف له من علماء الأمة.

و قال فى موضع آخر، سئل مالك عن الحروف فى القرآن مثل الواو و الألف، أ ترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك، قال لا- قال أبو عمرو يعنى بالواو و الألف المزيدتين فى الرسم المعدومتين فى اللفظ نحو «أولوا» و قال الامام أحمد يحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو و ياء و ألف أو غير ذلك، و قال البيهقى فى شعب الإيمان، من كتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف و لا يخالفهم فيه و لا يغير مما كتبوه شيئا فإنهم كانوا أكثر علما، و أصدق قلبا، و لسانا، و أعظم أمانة منا فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم.

و على ذلك فلا- تجوز مخالفة رسم المصحف و كتابته على ما أحدث الناس من الهجاء لأن الرسم العثمانى قد أجمع على صحته الصحابة جميعا رضى اللّه عنهم.

و إجماعهم حجة و قد حث الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم على الاقتداء بهم فقد قال صلّى اللّه عليه و سلّم «اقتدوا بالذين من بعدى أبو بكر و عمر» أخرجه الإمام أحمد و الترمذى و ابن ماجة و فى حديث «فعليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين من بعدى».

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۴۱

و قال ابن مسعود: «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا و أعمقها علما و أقلها تكلفا و أقومها هديا، و أحسنها حالا، اختارهم اللّه لصحبة نبيه صلّى اللّه عليه و سلّم و إقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم و اتبعوهم فى آثارهم».

و لأن كتابته عليه كانت على وفق ما كتب بين يدى الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم.

رسم المصحف توقيفى

قد كتب القرآن كله فى عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و كان هو الذى يملى زيد بن ثابت من تلقين جبريل عليه السلام، يشهد بذلك إطباق القراء على إثبات الياء فى «و اخشونى» فى البقرة و حذفها فى الموضعين من المائدة و غير ذلك مما خولف فيه بين نظائر كثيرة بالحذف و الإثبات و الزيادة و النقصان و التغيير و التبديل و قد ذكرنا بعضه.

و ذلك كله يدل على أن الكتابة توقيفية أى بإرشاد من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و كونه أميا لم يتعلم الكتابة لا ينافى ذلك، لأن الإملاء بالوحى و التلقين على هذا النحو لا يستلزم تعلم الكتابة بالمعنى الذى نفى عنه صلّى اللّه عليه و سلّم لأن الأول إيحاء و إعلام محض بهجاء الكتابة و رقومها بدون تعلم و كسب و الثانى تعلم كسبى و عمل يدوى.

«القول بأنه صلّى اللّه عليه و سلّم تعلم القراءة و الكتابة

إنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان أميا فى بدء الإسلام و أول نزول القرآن كما قال تعالى: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ «۱» و أما بعد التحدى به و عجز العرب عن معارضته و الإتيان بمثله فقد قيل إنه صلّى اللّه عليه و سلّم قرأ و كتب بيده الشريفة و لنذكر عبارة الألوسى فى تفسيره بنصها عند تفسير الآية المذكورة لما فيها من الفوائد، قال:

و اختلف فى أنه صلّى اللّه عليه و سلّم هل كان بعد النبوة يقرأ و يكتب أم لا؟ فقيل إنه عليه الصلاة و السلام لم يكن يحسن الكتابة، و اختاره البغوى فى التهذيب و قال إنه الأصح.

---

(۱) سورة العنكبوت (الآية ۴۸)

و ادعى بعضهم أنه صار صلّى اللّه عليه و سلّم يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها و عدم معرفتها بسبب المعجزة لهذه الآية فلما نزل القرآن و اشتهر الإسلام و ظهر أمر الارتياب تعرف الكتابة حينئذ، روى ابن أبى شيبة و غيره «ما مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حتى كتب و قرأ» و نقل هذا الشعبى فصدقه و قال: سمعت أقواما يقولونه و ليس فى الآية ما ينافيه.

و روى ابن ماجة عن أنس قال: قال صلّى اللّه عليه و سلّم «رأيت ليلة أسرى بى مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها و القرض بثمانية عشر» و القدرة على القراءة فرع الكتابة ورد باحتمال إقدار اللّه تعالى إياه عليه الصلاة و السلام عليها، بدونها، معجزة، أو فيه مقدر، و هو فسألت عن المكتوب فقيل إلخ.

و يشهد للكتابة أحاديث فى صحيح البخارى و غيره كما ورد فى صلح الحديبية «فأخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الكتاب و لا يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد اللّه» الحديث، و ممن ذهب إلى ذلك: أبو ذر عبده بن أحمد الهروى و أبو الفتح النيسابورى و أبو الوليد الباجى من المغاربة و حكاه عن السمانى، و صنف فيه كتابا و سبقه إليه ابن منبه.

و لما قال أبو الوليد ذلك طعن فيه و رمى بالزندقة و سب على المنابر، ثم عقد له مجلس، فأقام الحجة على مدعاه، و كتب به إلى علماء الأطراف، فأجابوا بما يوافقه، و معرفة الكتابة بعد أميته صلّى اللّه عليه و سلّم، لا تنافى المعجزة بل هى معجزة أخرى لكونها من غير تعليم.

ورد بعض الأجلة كتاب الباجى لما فى الحديث الصحيح «إنا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب» و قال كل ما ورد فى الحديث من قوله «كتب» فمعناه أمر بالكتابة كما يقال «كتب السلطان لفلان» و تقديم قوله تعالى «من قبله» على قوله سبحانه «و لا تخطه» كالصريح فى

أنه علیه الصلاة و السلام لم یکتب مطلقا، و کون القید المتوسط راجعا لما بعده غیر مطرد ثم أجاب عما أورده بعض الأجلة بما حاصله مع إیضاح و زیادة.

أولا: عن قوله «إنا أمة أمیة» فإن ذلک باعتبار المبدأ أو باعتبار أکثر الأمة ضرورة أنه کان فیهم من یکتب و یحسب و هذا لا ینافی عدم بقاء وصف الأمیة بالنسبة له و لغیره کما وقع من تعلم کثیر من الأمة الکتابة فی عهده.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۴۳

ثانیا: کون «کتب» بمعنی أمر خلاف الظاهر و قد نقل النووی عن عیاض أن قوله فی الروایة التی ذکرناها «و لا یحسن یکتب فکتب» کالنص فی أنه صلی اللّه علیه و سلّم کتب بنفسه فالعدول عنه إلی غیره مجاز لا ضرورة إلیه.

ثالثا: لم لا یجوز أن یکون قوله تعالی «من قبله» راجعا إلی ما بعد أیضا و هو «و لا تخطه» و کونه غیر مطرد لا ینفی الجواز المؤید بما ذکر من حدیث الحدیبیة و یصیر المعنی و ما کنت قبل إنزال الکتاب تتلو کتابا و ما کنت قبل إنزال الکتاب تخطه بیمینک، و نفی ذلک قبل نزول الکتاب لا یستلزم عدم القدرة علی التلاوة و الخط بعده بل قد حصلت التلاوة بعد النزول فکذلک الخط و لا ضرر فیه.

رابعا: تأویل حدیث الإسراء المتقدم أیضا باحتمال الإقدار أو أن فیه مقدرا خلاف الظاهر أیضا من غیر ضرورة.

و بهذا یثبت جواز أنه صلّی اللّه علیه و سلّم عرف القراءة و الکتابة بعد نزول القرآن و التحدی به و أنه لا مانع من ذلک عقلا و إنما قلنا إن الذی ثبت «الجواز» لأن أدلة الفریقین المتخالفین التی تقدمت لا یفید کل منها اعتقادا فی جانب الإیجاب أو السلب و هذا المقام لا یکفی فیه سوی الیقین فالواجب اعتقاده أنه صلّی اللّه علیه و سلّم کان أمیا فی بدء أمره و أول نزول الوحی علیه أما استمرار الأمیة أو انقطاعها بتعلم الکتابة فلم یقم علیه دلیل قاطع بل کلها أدلة محتملة.

و علی کل حال فثبوت کون رسم المصحف توقیفیا لا یتوقف علی تعلمه صلّی اللّه علیه و سلّم الکتابة لأنه إن ثبت أنه تعلمها فیما بعد فظاهر و إلا- فقد کان یعلمها بطریق الوحی فکان یأمر بکتابة القرآن و رسمه کما یعلمه جبریل و مع ذلک فلا نزاع فی ثبوت تقریره صلّی اللّه علیه و سلّم علی الرسم، و تقریره علی ذلک کاف فی أن الرسم توقیفی.

و قد تلخص أن رسم المصحف ثابت بإجماع الصحابة و بتوقیف النبی صلّی اللّه علیه و سلّم.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۴۴

القائلون بأن رسم القرآن اصطلاحی لا توقیفی

اشارة

ذهب فریق من العلماء إلی أن رسم القرآن اصطلاحی لا توقیفی منهم ابن خلدون فی مقدمته و القاضی أبو بکر الباقلانی فی الانتصار حیث قال کل منهما إن رسم المصحف کان باصطلاح من الصحابة لأنهم کانوا حدیثی عهد بالکتابة.

و هذا نص عبارة القاضی الباقلانی نقلا من کتاب الإبریز لابن المبارک قال «إنما فرض علی الأمة الوصیة فی القرآن و ألفاظه، فلا یزیدون حرفا و لا ینقصونه و لا یقدمونه و لا یؤخرونه، و یتلونه علی نحو ما یتلی علیهم، و أما الکتابة فلم یفرض اللّه علی الأمة فیها شیئا إذ لم یأخذ علی کتاب القرآن و خطاط المصاحف رسما بعینه دون غیره أوجبه علیهم و ترک ما عداه إذ وجوب ذلک لا یدرک إلا بالسمع و التوقیف.

و لیس فی نصوص الکتاب و لا مفهومه أن رسم القرآن و خطه لا یجوز إلا علی وجه مخصوص و حد محدود لا یجوز تجاوزه، و لا فی نص السنة ما یوجب ذلک و یدل علیه، و لا فی إجماع الأمة ما یوجب ذلک، و لا دلت علیه القیاسات الشرعیة، بل السنة دلت علی

جواز رسمه بأى وجه سهل، لأن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يأمر برسمه و لم يبين لهم وجها معينا، و لا نهى أحدا عن كتابته. و لذلك اختلفت خطوط المصاحف، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، و منهم من كان يزيد و ينقص، لعلمه بأن ذلك اصطلاح و أن الناس لا يخفى عليهم الحال، و لأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية و الخط الأول، و أن يجعل اللام على صورة الكاف و أن تعوج الألفات، و أن يكتب أيضا على غير هذه الوجوه، و ساغ أن يكتب المصحف بالخط و الهجاء القديمين، و جاز أن يكتب بالخطوط و الهجاء المحدثة و جاز أن يكتب بين ذلك.

و إذا كانت خطوط المصاحف و كثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة و أن الناس قد أجازوا ذلك كله و أجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته و ما

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۴۵

هو أسهل و أشهر و أولى من غير تأثيم و لا تناكر: علم أنه لم يؤخذ فى ذلك على الناس حد محدود مخصوص كما أخذ عليهم فى القراءة و الأذان، و السبب فى ذلك أن الخطوط إنما هى علامات و رسوم تجرى مجرى الإشارات و العقود و الرموز فكل رسم دل على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته، و تصويب الكتابة به على أى صورة كانت.

و بالجملة فكل من أدعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه و أنى له ذلك» ا ه كلام القاضى أبو بكر الباقلانى ملخصا من الإبريز.

و بالنظر فى كلام القاضى يظهر رده بما يأتى:

«أولا»

قوله «و لا فى نص السنة ما يوجب ذلك و يدل عليه» مدفوع بما تقدم من أن القرآن جميعه كتب بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و قد قرر الكتاب الذين كتبوه بين يديه على كتاباتهم و لا شك أن تقرير الرسول على هيئة من الهيئات الخاصة بالكتابة سنة كما أنه قد ورد أنه كان يأمر الكتاب بشكل الكتابة كما يوحى إليه جبريل و هذا سنة.

و قد ورد أنه صلّى اللّه عليه و سلّم قال لمعاوية رضى اللّه عنه «ألق الدواة و حرف القلم و انصب الباء و فرق السين و لا تعور الميم و حسن اللّه و مد الرحمن وجود الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك» فقد تناول أمره صلّى اللّه عليه و سلّم لمعاوية كيفية كتابة الحروف و ما يجب أن تكون عليه أدواتها.

فقوله «و لا فى نص السنة الخ» فى غير محله بل قد وردت السنة بالرسم الخاص على نحو ما ذكرناه فقوله «بل السنة دلت على جواز رسمه» إلخ باطل لا وجه له.

«ثانيا»

قوله «و لا فى إجماع الأمة ما يوجب ذلك» مردود أيضا بأن الرسم الخاص بالقرآن قد كتب بمحضر الصحابة و أقره جميعهم و كانوا أكثر من اثنى عشر ألف صحابى فكان ذلك إجماعا منهم على ذلك و ما ورد من أن واحدا أو اثنين خالف فى الرسم فقد تقرر الإجماع بعد موت المخالف فدعوى عدم وجود إجماع باطلة.

«ثالثا»

قوله «و لذلک اختلفت خطوط المصاحف إلی قوله من غیر تأثیم و لا نکیر» باطل بما سبق أن نقلناه عن الإمام مالک و الإمام أحمد و البیهقی و غیرهم من انهم حظروا کتابته إلا علی الکتبة الأولی و الهجاء الأول فکیف یدعی أن القرآن کتب بخطوط مختلفة من غیر تأثیم و لا نکیر، بل نقل بعضهم إجماع

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۴۶

الأئمة الأربعة علی تحریم کتابته بغیر خط المصحف الخاص و علی ذلک فما قاله القاضی أبو بکر من جواز کتابة القرآن بغیر الرسم الخاص و أن هذا الرسم اصطلاحی لا توقیفی قول باطل لم تقم علیه حجة و هو خلاف ما علیه الجمهور و ثبت بالسنة و الإجماع.

قال سیدی أحمد بن المبارک نقلا عن شیخه سیدی عبد العزیز الدباغ فی کتاب الإبریز ما نصه: و قال رضی اللّه عنه ما للصحابة و لا لغیرهم فی رسم القرآن العزیز و لا شعرة واحدة و إنما هو بتوقیف من النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، و هو الذی أمرهم أن یکتبوه علی الهیئة المعروفة من غیر زیادة و نقصان لأسرار لا تهتدی إلیها العقول، و ما کانت العرب فی جاهلیتها و لا أهل الإیمان من سائر الأمم فی أدیانهم یعرفون ذلک و لا یهتدون بعقولهم إلی شیء منه.

و هو سر من أسراره خص اللّه کتابه العزیز دون سائر الکتب السماویة، فلا یوجد شبه ذلک الرسم لا فی التوراة و لا فی الإنجیل و لا فی غیرهما من الکتب السماویة و کما أن نظم القرآن معجز فرسمه أیضا معجز، و کیف تهتدی العقول إلی سر زیادة الألف فی مائة دون فئة، و إلی سر زیادة الیاء فی بأییدٍ من قوله تعالی و السماء بنیناها بأییدٍ «۱» أم کیف تتوصل إلی سر زیادة الألف فی سعوا من قوله تعالی فی الحج وَ الَّذِینَ سَعَوْا فِی آیاتِنا مُعاجِزِینَ أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَحِیمِ «۲» و عدم زیادتها فی سبأ من قوله تعالی و الذین سعو فی آیاتنا معاجزین أولئک لهم عذاب من رجز ألیم «۳» و إلی سر زیادتها فی قوله فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ «۴» و حذفها من قوله تعالی و عتو عتوا کبیرا «۵» و إلی سر زیادتها فی قوله تعالی أَوْ یَعْفُوَا الَّذِی بِیَدِهِ عُقْدَةُ النِّکاحِ «۶» و إسقاطها فی قوله تعالی عَسَی اللَّهُ أَنْ یَعْفُوَ عَنْهُمْ «۷» و بعد أن ذکر أمثلة کثیرة لاختلاف الرسم القرآنی و نظائر لذلک قال:

---

(۱) سورة الذاریات: ۴۷.

(۲) سورة الحج: ۵۱.

(۳) سورة سبأ: ۵.

(۴) سورة الاعراف: ۷۷.

(۵) سورة الفرقان: ۲۱.

(۶)- سورة البقرة: ۲۳۷.

(۷)- سورة النساء: ۹۹.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۴۷

و أما قول من قال أن الصحابة رضی اللّه عنهم هم الذین اصطلحوا علی الرسم المذکور فلا یخفی ما فی کلامه، لأن القرآن العزیز کتب فی زمانه صلّی اللّه علیه و سلّم و بین یدیه علی هیئة من الهیئات و حینئذ فلا یخلو ما اصطلح علیه الصحابة رضوان اللّه علیهم، إما أن یکون هو عین الهیئة أو غیرها.

فإن کان عینها بطل الاصطلاح لأنه اختراع و ابتداع و سبقیة التوقیف تنفی ذلک و توجب الإتباع.

فإن نسب اتباعهم حینئذ للاصطلاح کان بمنزلة من قال إن الصحابة اصطلحوا علی أن الصلوات خمس و علی أن عدد الرکعات مثلا أربع، و هذا بعید کل البعد عن الاصطلاح بل هو عین الإتباع.

و إن کان ما اصطلحوا علیه غیر الهیئة التی کانت بین یدیه صلّی اللّه علیه و سلّم فلا یصح ذلک لوجهین: منهج الفرقان فی علوم

القرآن ج۱ ۱۴۷ «ثالثا» ..... ص : ۱۴۵

لهما: نسبة الصحابة و أعلام الهدى إلى مخالفة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و ذلك محال، لما تقدم من أننا أمرنا باتباعهم فلو كانوا مخالفين لما أقره الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم لكنا مأمورين باتباعهم و فى الوقت عينه نحن مأمورون باتباع سنته صلّى اللّه عليه و سلّم فيلزم الجمع بين النقيضين و هو محال.

ثانيهما: أن سائر الأمة من الصحابة و غيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز أن يزاد فى القرآن حرف و لا أن ينقص منه حرف، و الكتابة أحد الوجودات الأربع، و ما بين الدفتين كلام اللّه فإذا كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أمر بالكتابة على هيئة أو قرر الكتابة على هيئة، و الصحابة خالفوه فى ذلك لزم أنهم تصرفوا فى القرآن من جهة أحد وجوداته الأربعة بالزيادة و النقصان و يكون بذلك قد وقعوا فيما أجمعوا عليه هم و غيرهم على أنه لا يحل لأحد فعله.

و يلزم أيضا تطرق الشك إلى جميع ما بين الدفتين لأننا إذا جوزنا أن تكون فيه حروف زائدة على ما فى علم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و على ما عنده و أنها ليست بوحى و لا من عند اللّه و لم نعلمها بعينها شككنا فى الجميع.

و لئن جوزنا لصحابى أن يزيد فى كتابته حرفا ليس بوحى لزمنا أن نجوز

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۴۸

لصحابى آخر نقصان حرف من الوحى إذ لا فرق بينهما و حينئذ تنحل عروة الإسلام بالكلية نعوذ باللّه من ذلك.

و دعوى الاصطلاح تكون صحيحة لو كانت كتابة القرآن الكريم إنما حدثت فى عصرهم بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و ليس الأمر كذلك فثبت أن الرسم توقيفى لا اصطلاحى و أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم هو الآمر بكتابته على الهيئة المعروفة.

«فقلت» إنه عليه الصلاة و السلام كان لا يعرف الكتابة و قد قال تعالى فى وصفه وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ فقال رضى اللّه عنه كان صلّى اللّه عليه و سلّم لا يعرفها بالاصطلاح و التعلم من الناس و أما من وجهة التعلم الربانى فيعلمها و يعلم أكثر منها ... ا ه ملخصا مع زيادة و إيضاح و قد علمت وجه دلالة الآية المذكورة فثبت أن رسم القرآن توقيفى و أنه لا تجوز مخالفته و لنورد بعض فوائد اتباع «الرسم المخصوص و ما يترتب على مخالفته».

فوائد الرسم القرآنى المخصوص

«أولا»

اتصال السند فى القرآن فلا يجوز أن يقرأه أحد و لا أنه يقرئه لغيره إلا بما رواه بسند متصل فمن علم القواعد العربية و لكنه لا يتبع الأثر و الرواية و السند لا يعرف قراءة القرآن على وجهها لأنه قد تحسن له العربية قراءة لم تنقل عن أحد و لم يقرأ بها أحد.

انظر إلى كتابة «كهيعص» و «حمعسق» و «طسم» و غيرها، فالعالم بالعربية وحدها الذى لا يتبع رواية و لا نقلا، لا يحسن النطق بها على وجهها من غير موقف، و أنى له ذلك، و القراءات هى العلم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها، و ذلك لا يكون بالقياس بل لا بد من السماع و التوقيف «و اتصال السند» من خواص القرآن العزيز بالنسبة لغيره من الكتب السماوية و به ظل محفوظا كما وعد اللّه بذلك، و الرواية متبعة و القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول.

و لا شك أن الرسم المخصوص له أعظم الأثر فى اتصال السند إذ لو كانت جميع ألفاظه مكتوبة طبق النطق بها لجرأ كثير على قراءته بدون سند و لا رواية

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۴۹

ظنا منهم أن ذلك كاف فلا يعرفون ما فيه من مد و همز و تخفيف و إمالة و إظهار و إدغام و إخفاء و غير ذلك و بهذا ظهر أن

للرسم المخصوص فائدة عظيمة.

«ثانيا»

من فوائد الرسم الدلالة على أصل الحركة ككتابة الكسرة ياء و الضمة واو فى نحو «ايتاء ذى القربى» «و سأوريكم» أو الدلالة على أصل الحرف ككتابة الصلاة و الزكوة و الحيوة بالواو.

«ثالثا»

إفادة المعانى المختلفة بالرسم مثل وصل أمن فى قوله أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا «۲» و فصلها فى قوله أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا «۱» فإن المفصولة تفيد معنى بل، دون الموصولة.

«رابعا»

الدلالة على بعض اللغات الفصيحة ككتابة هاء التأنيث تاء فى لغة طىء و مثل حذف آخر المضارع المعتل لغير جازم، مثل يَوْمَ يَأْتِ «۳» فى لغة هذيل.

«خامسا»

المحافظة على ما كان فى عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أجمع عليه الصحابة.

المضار التى تنشأ بترك الرسم المخصوص:

«أولا» ضياع كثير من اللغات الفصحى إذ لو ضاع الرسم لا يمكن الاستدلال عليها بالقرآن الذى هو أصدق الحديث.

«ثانيا» تطرق التحريف إلى الكتاب الشريف بتغيير رسمه الأصلى التوقيفى.

«ثالثا» انقطاع السند الذى هو أحد أركان القرآن و فى ذلك ضياع للقرآن و إهمال لأمره إذ رسمه الخاص هو الحصن المانع لقراءته بغير السند و الرواية.

---

(۱) سورة الملك: الآية ۲۲.

(۲) سورة النساء: الآية ۱۰۹.

(۳) سورة هود: الآية ۱۰۵.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۵۰

نموذج من الروايات التى أوردت شبها على كتابة القرآن

اشارة

قد تمسك بعض الطاعنين على كتابة القرآن ببعض روايات و أوردوها شبها و طار بها بعض الملاحدة فرحا لظنهم أنها تفيدهم فى الطعن على كتابة القرآن و قراءته مع أن أكثرها لم يثبت من طريق صحيح و على فرض صحته فإنه لا يعارض القطعى من القراءة التى

ثبتت بالتواتر الذی یفید العلم القطعی.

إذ العمدة فی ثبوت القرآن و قراءاته إنما هو التواتر أو السند الصحیح مع موافقة النحو و الرسم کما سیأتی: فلو وردت روایة آحاد بما یخالف التواتر فإنها لا- تعارضه لأن الآحادی مهما کان صحیحا لا یفید أکثر من الظن و لا یثبت به قرآن فلا یعارض القطعی الثابت بالتواتر، و بالأولی إذا کان الآحادی غیر صحیح فلا یلتفت إلیه و هذا القدر کاف فی رد کل روایة اعتبرت شبهة إجمالا و لکنا نذکر أهمها تفصیلا و نتبعه بالرد علیه:

أولا: من الشبه ما روی عن عثمان رضی اللّه عنه أنه لما عرض المصحف قال: «أحسنتم و أجملتم إن فی القرآن لحنا ستقیمه العرب بألسنتها» و نقل عن عکرمة أنه قال «لما کتبت المصاحف عرضت علی عثمان فوجد فیها حروفا من اللحن فقال لا تغیروها فإن العرب ستغیرها أو قال ستعربها لو کان الکاتب من ثقیف و المملی من هذیل لم توجد فیه هذه الحروف».

فهاتان الروایتان تدلان علی أنه قد حصل فی کتابة القرآن لحن و خطأ فکیف یکون الرسم توقیفیا، و کیف لا یجوز مخالفته و یجاب بما یأتی:

أما عن الروایة الأولی فمن وجهین:

«أولهما» أنه حدیث مرسل و فی إسناده اضطراب و انقطاع یعود بالجهالة علی بعض رواته و الحق أن ذلک الحدیث لم یصح عن عثمان أصلا و رده جماعة

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۵۱

من العلماء کالإمام أبی بکر الباقلانی و الحافظ أبی عمرو الدانی و أبی القاسم الشاطبی و الجعبری و غیرهم و أیضا فی ألفاظه اضطراب لأن قوله أحسنتم و أجملتم مدح فکیف یمدحهم علی الإساءة و هی وجود اللحن منهم.

«ثانیهما» إن هذا الأثر علی فرض صحته ینافی ما کان علیه عثمان رضی اللّه عنه من مواصلته لدرس القرآن و إتقانه لألفاظه و موافقته علی ما رسم فی المصاحف المنفذة إلی الأمصار مع کونه من الصحابة المشهورین بإقراء القرآن و تعلیمه، و قد أخرج أبو عبید عن عبد الرحمن عن هانئ مولی عثمان قال: کنت عند عثمان و هم یعرضون المصاحف فأرسلنی بکتف شاة إلی أبی بن کعب فیها لم یتسن، و فیها لا تبدیل للخلق و فیها فأمهل الکافرین، فدعا بالدواة فمحا أحد اللامین و کتب: لخلق اللّه، و محا فأمهل و کتب فمهل، و کتب لم یتسنه، فألحق فیها الهاء فکیف یدعی علیها أنه رأی فسادا فأمضاه مع أنه کان یوقف علی ما یکتب و یرفع الخلاف الواقع من الناسخین إلیه فیحکم بالحق و یلزمهم إثبات الصواب و تخلیده.

فغیر ممکن أن یتولی رضی اللّه عنه جمع المصحف مع سائر الصحابة لیرتفع الخلاف فی القرآن بین المسلمین ثم یترک فیه لحنا و خطأ لیتولی إصلاحه من یأتی بعده ممن لا یدرک مداه و لا یبلغ غایته.

«و یجاب عن الروایة الثانیة»

اشارة

بأنها مرویة عن عکرمة عن عثمان مع أن عکرمة لم یسمع من عثمان شیئا و لم یره و قد وردت أیضا عن یحیی بن یعمر عن عثمان و هو مثل عکرمة فی أنه لم یسمع من عثمان و لم یره فهی روایة مرسلة و فی سندها انقطاع فضلا عما فی ألفاظها من اضطراب لمنافاتها لما کان علیه عثمان کما تقدم.

و أیضا قوله فإن العرب ستغیرها أو ستعربها غیر معقول لأن الغرض من کتابة المصحف رجوع العرب فی صحة قراءتهم إلیه فلو توقفت

صحته علی العرب فی تغییر لحنه أو إعرابه لزم الدور.

و بیانه أنهم لا- یقرءون صحیحا إلا- وفق المکتوب و المکتوب لا- یکون صحیحا إلا- إذا غیروه أو أعربوه فتکون صحة قراءة العرب موقوفة علی القراءة فی

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۵۲

المصحف الذی کتبه لهم عثمان و صحة المصحف و سلامته من اللحن موقوفة علی صحة قراءتهم بتغییر لحنه أو إعرابه و هذا دور ظاهر البطلان.

«ثانیا» من الشبه ما روی عن سعید بن جبیر أنه کان یقرأ وَ الْمُقِیمِینَ الصَّلاةَ «۱» و یقول هو لحن من الکتاب.

«و الجواب»

عن ذلک أنه لم یرد بقوله هو لحن أنه خطأ و إنما أراد به أنه لغة، و الدلیل علی ذلک أنه کان یقرأ و المقیمین بالنصب و الیاء فلو کان یرید باللحن الخطأ لما قرأ به.

«ثالثا من الشبه» روایات عن ابن عباس و هی:

۱- أنه قال فی قوله تعالی حَتَّی تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا إنه قد أخطأ الکاتب إنما هی: حتی تستأذنوا.

۲- روی عنه أیضا أنه قرأ (أ فلم یتبین الذین آمنوا أن لو یشاء الله لهدی الناس جمیعا) فقیل له إنها فی المصحف أَ فَلَمْ یَیْأَسِ الَّذِینَ آمَنُوا فقال أظن الکاتب کتبها و هو ناعس.

۳- روی عن ابن عباس أیضا من طریق سعید بن جبیر أن ابن عباس کان یقول فی قوله وَ قَضی رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِیَّاهُ «۲» إنما هی و وصی التزقت الواو بالصاد و ورد هذا الأثر عنه بروایات متعددة مختلفة و فی بعضها زیادة «و لو کان قضاء من الرب لم یستطع أحد رد قضاء الرب و لکنها وصیة أوصی بها العباد».

۴- روی عنه أیضا أنه کان یقرأ وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسی وَ هارُونَ الْفُرْقانَ وَ ضِیاءً «۳» أی بدون الواو.

۵- ما روی عنه أیضا فی قوله تعالی مَثَلُ نُورِهِ کَمِشْکاةٍ «۴» قال هی من الکاتب هو أعظم من أن یکون ذرة مثل نور المشکاة إنما هی مثل نور المؤمن.

---

(۱) سورة النساء: ۱۶۲.

(۲) سورة الإسراء: ۴۸.

(۳) سورة الأنبیاء: ۴۸.

(۴) سورة النور: ۳۵.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۵۳

«و الجواب» عن جمیع الروایات الواردة عن ابن عباس من وجوه:-

۱- أنها کلها روایات غیر صحیحة و لا معتبرة بل هی روایات مدسوسة فی کتب الأئمة نقلت من غیر تثبت، قال أبو حیان فی الروایة الأولی إن من روی عن ابن عباس أنه قال ذلک فهو طاعن فی الإسلام ملحد فی الدین و ابن عباس برئ من ذلک القول.

و قال فی الروایة الثانیة هو قول ملحد زندیق، و قال الزمخشری و نحن مما لا یصدق هذا فی کتاب اللّه الذی لا یأتیه الباطل من بین

یدیه و لا من خلفه و کیف یخفی مثل هذا حتی یبقی ثابتا بین دفتی الإمام و کان متقلبا بین أیدی أولئک الأعلام المحتاطین فی دین اللّه المهیمنین علیه لا یغفلون عن جلائله و دقائقه، خصوصا عن القانون الذی إلیه المرجع و القاعدة التی علیها البناء هذا و اللّه فریة ما فیها مریة.

و قال ابن الأنباری فی کل من الروایات الثلاثة الأخیرة إنه ضعیف و معارض بما قرأ به ابن عباس نفسه علی خلاف ما روی عنه.

۲- علی فرض صحة هذه الروایات فهی روایات آحادیة لا تعارض القطعی و لا یثبت بها قرآن مع مخالفتها لرسم المصحف.

۳- إنها معارضة بما روی عن ابن عباس من أنه کان یقرأ علی خلاف ما روی عنه کیف و هو رضی اللّه عنه قد أخذ القرآن عن زید بن ثابت و أبی بن کعب و هما کانا ممن جمع المصاحف و زید بن ثابت کان فی جمع أبی بکر و کاتب الوحی فلا یعقل أن تکون قراءة ابن عباس علی خلاف قراءة من أخذ عنهم القرآن.

«رابعا» من الشبه ما ورد عن عائشة رضی اللّه عنها و هو ما روی عن هشام ابن عروة عن أبیه قال سألت عائشة عن لحن القرآن، عن قوله تعالی إِنْ هذانِ لَساحِرانِ «۱» و عن قوله تعالی وَ الْمُقِیمِینَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّکاةَ «۲» و عن قوله تعالی إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ «۳» فقالت یا ابن أخی هذا عمل الکتاب قد أخطئوا فی الکتاب.

---

(۱) سورة طه: الآیة ۶۳.

(۲) سورة النساء: الآیة ۱۶۲.

(۳) سورة المائدة: الآیة ۶۹.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۵۴

«و الجواب عن ذلک»:

۱- أما بالنسبة لآیة «إن هذان» بتشدید النون فإن اسم الإشارة لم یکتب بالألف کما لم یکتب بالیاء، و إذا لم یکن مکتوبا بالألف فکیف یعقل أن عائشة تخطئ الکاتب بما لم یکتبه بل الذی یعقل أنها تخطئ القارئ الذی یقرأ بالألف مع تشدید النون و لم ینقل ذلک عنها و لا عن غیرها.

و أما بالنسبة لقوله تعالی و المقیمین الصلاة من سورة النساء فقد قرأ الجمهور بالیاء منصوبا و قرأ جماعة بالواو، منهم أبو عمرو و قال أبو حیان فی البحر بعد أن ذکر عن عائشة رضی اللّه عنها و عن أبان بن عثمان أن کتبها بالیاء من خطأ کاتب المصحف، و لا یصح عنهما ذلک لأنهما عربیان فصیحان و قطع النعوت أشهر فی لسان العرب و هو باب واسع ذکر علیه شواهد سیبویه و غیره، و علی القطع خرج سیبویه ذلک.

و قال الزمخشری لا- تلتفت إلی ما زعموا من وقوعه لحنا فی خط المصحف و ربما التفت إلیه من لم ینظر فی الکتاب و لم یعرف مذاهب العرب و ما لهم فی النصب علی الاختصاص من الافتتان و خفی علیه أن السابقین الأولین الذین مثلهم فی التوراة و مثلهم فی الإنجیل کانوا أبعد همة فی الغیرة علی الإسلام و ذب المطاعن عنه من أن یترکوا فی کتاب اللّه ثلمة یسدها من بعدهم و خرقا یرفوه من یلحقهم.

و مراده بالکتاب کتاب سیبویه.

و أما بالنسبة لقوله تعالی إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هادُوا وَ الصَّابِئُونَ فی سورة المائدة فلم ینقل عن عائشة أیضا أنها خطأت من کان یقرأ بالواو فلا یعقل إذا أن تخطئ الکاتب لأنه کتب کما أمر.

۲- یجاب عن الآیات الثلاث بجواب یعمهما و هو أن ما ثبت فی رسم المصحف ثبتت القراءة به متواترة فی کل و له وجه فی العربیة

فیکون قرآنا قطعا و لا یرد بروایات آحاد مهما بلغت من الصحة و سیأتی أن نذکر أنه متی صح الإسناد و وافق رسم المصحف و وافق وجه النحو کان قرآنا و إلا فلا.

و بما تقدم جمیعه تعلم أن هذه الشبه و ما ماثلها لا یعول علیه و لا یلتفت إلیه و لنکتف بهذا القدر فی هذا المبحث و اللّه أعلم.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۵۵

شکل القرآن

الشکل هو ما یدل علی عوارض الحرف من حرکة أو سکون سواء کان ذلک فی أول الکلمة أو وسطها أو آخرها.

و فی القاموس فی مادة شکل: و الکتاب أعجمه کأشکله کأنه أزال عنه الإشکال، و قوله و الکتاب أی و شکل الکتاب و لا شک أن ما یمیز الحرف من جهة کونه متحرکا مع بیان نوع حرکته من ضمة أو فتحة أو کسرة أو من جهة کونه ساکنا- یزیل إبهامه و إشکاله.

و لم یکن الخط الذی وصل إلی العرب مضبوطا بالحرکات و السکنات بل کان خالیا مما یدل علی حرکات الحروف و سکونها و کانت ملکتهم و سلیقتهم العربیة تغنیهم عن ذلک إذ کانوا ینطقون بالکلمات طبق أوضاعها و ما یری بها من المعانی من غیر حاجة إلی ما یدل علی بنیة الکلمة و إعرابها لما هو متأصل فی نفوسهم من سلیقة الفصاحة و البلاغة و الإعراب.

و لذا حینما کتبت المصاحف فی عهد عثمان جردوها من الشکل و من النقط اعتمادا علی سلیقتهم و علی أن المدار فی القرآن علی التلقی و الروایة فلم یکن بهم حاجة إلی شکله حتی اتسعت رقعة الإسلام و اختلط العرب بالعجم و دخل فی اللسان بعض هجنة و حدث اللحن فی اللسان و حدثت حوادث نبهت المسلمین إلی القیام بحفظ القرآن الذی به نور الإسلام و علیه مدار الأحکام من أن یتطرق إلی ألفاظه اللحن و الخطأ.

و کان قد ظهر فی المسلمین من تعلم أصول النحو و برع فیه و فی القرآن أمثال أبی الأسود الدؤلی و یحیی بن یعمر العدوی قاضی خراسان و نصر بن عاصم اللیثی و کان أبو الأسود قد سمع قارئا یقرأ «إن اللّه برئ من المشرکین و رسوله» بجر اللام فأفزع ذلک أبا الأسود و قال: عز وجه اللّه أن یبرأ من رسوله، ثم ذهب إلی زیاد و الی البصرة و قال له قد أجبتک إلی ما سألت و کان زیاد قد سأله أن یضع للناس علامات یعربون بها کتاب اللّه.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۵۶

ثم وضع أبو الأسود للقرآن علامات تدل علی الحرکات و السکنات و قد جعل للفتحة نقطة فوق الحرف و للکسرة نقطة أسفله و للضمة نقطة بین الحرف و للتنوین نقطتین و سلک الناس طریقته غیر أنهم زادوا علیها علامة للحرف المشدد کالقوس، و لألف الوصل جرة فوقها أو تحتها أو فی وسطها بحسب ما قبلها من ضمة أو فتحة أو کسرة.

و استمرت طریقة الشکل علی هذا إلی أن کان عهد عبد الملک بن مروان و اضطروا إلی تمییز ذات الحروف من بعضها بعد تمییز عوارضها و وضع النقط الذی هو الإعجام للباء و التاء و الثاء و هکذا کما سیأتی فالتبس الشکل بالنقط فجعل لکل منهما مداد مخالف للون الآخر ثم جعل للشکل علامات أخری و هی العلامات الموجودة الیوم للفتحة و الکسرة و الضمة و التنوین و التشدید و غیرها و بذلک صار القرآن مشکولا منقوطا.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۵۷

إعجام القرآن

الإعجام هو الدال علی ذات الحروف و تمییز الحروف المتماثلة فی الرسم من بعضها و فی القاموس فی مادة عجم:

و الکتاب نقطه کعجّمه و أعجمه و قول الجوهری لا تقل عجمت الکتاب وهمٌ.

فالإعجام إزالة العجمة كالشكل إزالة الإشكال و قد تقدم عن القاموس أن الشكل هو الإعجام فهو يدل على أن كلا منهما يطلق على الآخر غير أن الاصطلاح أخيرا خص الشكل بالحركات و الإعجام بالنقط للتمييز بين ما يدل على ذات الحرف و بين ما يدل على عوارضه.

و قد كانت المصاحف مجردة من النقط كما أنها مجردة من الشكل كما تقدم اعتمادا على التلقي و الرواية و قد اختلف المؤرخون فبعضهم يرى أن الإعجام كان معروفا قبل الإسلام لتمييز الحروف المتشابهة من بعضها غير أنه قد ترك.

و بعضهم يرى أن الإعجام لم يعرف إلا من طريق أبي الأسود الدؤلي ثم اشتهر و وضع في القرآن في عهد عبد الملك بن مروان و الظاهر الأول لأنه يبعد جدا أن لا يكون للحروف علامات تميز المتشابهات منها عن بعض و على كل فإحداث النقط في القرآن بل تعميمه في الكتابة عامة كان في عصر عبد الملك بن مروان.

و قد اشتدت الحاجة إلى ذلك عند ما صارت الحروف تلتبس على القراء في مثل (ننشزها و ننشزها) بالراء أو بالزاي (و لتكون لمن خلفك) بالفاء أو القاف و اشتبهت الحروف ببعضها فاهتم عبد الملك لذلك و أمر الحجاج بالنظر فيه فأحدث الإعجام في عهده».

و كان ذلك على يدي نصر بن عاصم الليثي و يحيى بن يعمر العدواني تلميذي أبي الأسود الدؤلي و كانا من الصلاح و الورع و بلوغ الغاية في العربية و القراء بمكان عظيم فوضعا النقط من واحدة إلى ثلاث للحروف المتشابهة و كان في

منهج الفرقان في علوم القرآن، ج ۱، ص: ۱۵۸

هذا توفيق للامة عظيم إذ كان سببا في حفظ القرآن و منه تعلم أن الشكل و الإعجام كان لحدوثهما صيانة للقرآن و أما التحزيب و التعشير و فواتح السور و غير ذلك فكل هذا مما زيد لغرض التيسير على القارئ و لكن ليس له من الأهمية ما للشكل و النقط.

و قد اختلف العلماء في جواز ذلك و إليك عبارة القرطبي مع اختصار في بعضها: «فصل» و أما شكل المصحف و نقطه فروى أن عبد الملك بن مروان أمر به و عمله فتجرد لذلك الحجاج بواسط وجد فيه و زاد تحزيبه و أمر و هو والي العراق الحسن و يحيى بن يعمر بذلك.

و ألف إثر ذلك بواسط كتابا في القراءات جمع فيه ما روى من اختلاف الناس فيما وافق الخط، و مشى الناس على ذلك زمنا طويلا إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه في القراءات و أسند الزبيدي في كتاب الطبقات إلى المبرد أن أول من نقط المصحف أبو الاسود الدؤلي و ذكر أيضا أن بن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر.

منهج الفرقان في علوم القرآن، ج ۱، ص: ۱۵۹

فصل

و أما وضع الأعشار فقال ابن عطية مربي في بعض التواريخ أن المأمون العباسي أمر بذلك و قيل إن الحجاج أمر بذلك.

ثم نقل عن مجاهد أنه كره التعشير و عن مالك كراهة العشور التي تكون في المصحف بالحمرة و غيرها و كراهته كتابة خواتيم السور في أمهات المصاحف دون مصاحف الغلمان.

و قال قتادة بدءوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا و عن يحيى بن كثير أنه قال:

كان القرآن مجردا في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء و التاء و الثاء و قالوا لا بأس هو نور له، ثم أحدثوا النقط عند منتهى الآي ثم أحدثوا الفواتيح و الخواتيم و قال الداني هذه الأخبار كلها تؤذن بأن التعشير و التخميس و فواتح السور و رءوس الآي من عمل الصحابة رضي اللّه عنهم قادهم إلى عمله الاجتهاد.

و أرى أن من كره ذلك منهم و من غيرهم إنما كره أن يعمل بالألوان كالحمرة و الصفرة و غيرها على أن المسلمين في سائر الآفاق قد أطبقوا على جواز ذلك و استعماله في الأمهات و غيرها و الحرج و الخطأ مرتفعان عنهم فيما أطبقوا عليه إن شاء اللّه.

و أنت خبير بأن نسبة هذا إلى عمل الصحابة مخالف لما هو المشهور من أن ذلك كان من عمل أبى الأسود الدؤلى فى عهد زياد بالبصرة و عمل تلميذيه فى عهد عبد الملك بن مروان و اللّه أعلم

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۶۱

المبحث التاسع القراءات و القراء

اشارة

- الضابط فى قبول القراءات- أنواع القراءات- أنواع الاختلاف فى القراءة- السبب فى اختلاف القراءات- فوائد اختلاف القراءات- القراءات السبع- القراء السبعة- باقى العشرة- القول فى تواتر القرآن و القراءات- شبه القائلين بعدم تواتر القراءات- كيفية تحمل القرآن

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۶۲

الضابط فى قبول القراءات

«القراءات» هى اختلاف ألفاظ القرآن فى الحروف و كيفيتها من تخفيف و تشديد و مد و إمالة و غيرها فحقيقتها تغاير حقيقة القرآن قال الزركشى فى البرهان: القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد صلّى اللّه عليه و سلّم للبيان و الإعجاز و القراءات اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف و كيفيتها من تخفيف و تشديد و غيرهما.

و كل قراءة وافقت العربية و لو بوجه و وافقت أحد المصاحف العثمانية و لو احتمالا، و صح سندها، فهى القراءة الصحيحة، التى لا يجوز ردها، و لا يحل إنكارها. بل هى من القراءات الذى نزل بها القرآن، و وجب على الناس قبولها، سواء نقلت عن الأئمة السبعة الآتى بيانهم، أم عن العشرة كذلك، أم عن غيرهم، و لا تقبل قراءة تعزى إلى أى إمام سواء كان من السبعة أم من غيرهم، و لا يطلق عليها لفظ الصحة و أنها أنزلت هكذا إلا إذا دخلت فى هذا الضابط و انطبقت جميع الأوصاف عليها فإن الاعتماد إنما هو على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه.

«و قولنا» فى الضابط و لو بوجه المراد به أحد وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع و ذاع و تلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح؛ لأنه الأصل الأعظم و الركن الأقوم فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو و لم يعتبر إنكارهم، كإسكان بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا «۱» و خفض وَ الْأَرْحامَ «۲» و نصب لِيَجْزِيَ قَوْماً «۳» و الفصل بين المضافين فى قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ «۴» و غير ذلك، لأن أئمة القراء لا يعتمدون فى شىء من القراءات على الإفشاء فى اللغة و لا على القياس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر و الأصح فى النقل مع بقية الضابط و متى

---

(۱) سورة البقرة: ۴۵.

(۲) النساء: ۱.

(۳) سورة الجاثية: ۱۴.

(۴) سورة الأنعام: ۱۳۷.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۶۳

ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية و لا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها و المصير إليها.

(و قولنا) و وافقت أحد المصاحف العثمانية المراد به و لو كان ثابتا فى بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر «قالوا اتخذ اللّه ولدا» فى البقرة بغير واو «و بالزبور و بالكتاب» بإثباتها فيهما فإن ذلك ثابت فى المصحف الشامى، و كقراءة ابن كثير «تجرى من تحتها الأنهار» فى آخر براءة بزيادة من، فإنه ثابت فى المصحف المكى و سواء كانت موافقة أحد المصاحف تحقيقا كما ذكر أو كانت الموافقة تقديرا و هذا معنى قولنا و لو احتمالا و ذلك «مثل ملك يوم الدين» فإنه كتب فى جميع المصاحف بلا ألف مع أنه قرئ بها و بدونها فقراءة الحذف توافق رسم المصحف تحقيقا و قراءة الإثبات توافقه تقديرا لحذفها فى الخط اختصارا من «ملك الملك».

و قد يوافق رسم المصحف اختلاف القراءات تحقيقا مثل تعلمون بالياء و التاء و (يغفر لكم) بالياء و النون و غير ذلك مما يدل تجرده من النقط و الشكل على فضل عظيم للصحابة رضى اللّه عنهم و فهم ثاقب فى علم الهجاء و غيره! (و قولنا و صح سندها) المراد به أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله؛ و هكذا حتى ينتهى، و مع ذلك تكون مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين، غير معدودة عندهم من الغلط، أو مما شذ بها بعضهم.

و ظاهر هذا الاكتفاء بصحة السند على الوجه المذكور و عدم اشتراط التواتر و ذلك لأن التواتر إذا ثبت لا يحتاج معه إلى الركنين الآخرين و هما موافقة الرسم و موافقة النحو لأن ما ثبت من القراءات متواترا عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم وجب قبوله و قطع بكونه قرآنا سواء وافق الرسم أم لا أما إذا لم يكن تواتر فلا بد من الركنين مع صحة الإسناد و إذا شرطنا التواتر فى كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة .. ا ه ملخصا من ابن الجزرى و الإتقان مع إيضاح.

و سيأتى تحقيق القول فى تواتر القراءات السبع و غيرها. و يجمع هذا الضابط قول ابن الجزرى فى الطيبة:

فكل ما وافق وجه النحوو كان للرسم احتمالا يحوى

و صح إسنادا هو القرآنفهذه الثلاثة الأركان

و حينما يختل ركن أثبتشذوذه لو أنه فى السبعة

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۶۴

أنواع القراءات

جعل ابن السبكى القراءات على ضربين «المتواتر» و هو ما نقله جمع لا- يمكن تواطؤهم على الكذب «و الشاذ» و هو غير المتواتر و جعل القراءات السبع و العشر متواترة. و الشاذ ما وراء ذلك، و الذى حرره ابن الجزرى و نقله عنه السيوطى و غيره أن أنواع القراءات ستة:

(النوع الأول: المتواتر) و هو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، و مثاله ما اتفقت الطرق فى نقله عن السبعة أو عن غيرهم و هذا هو الغالب فى القراءات.

(النوع الثانى: المشهور) و هو ما صح سنده بأن رواه العدل الضابط عن مثله و هكذا و وافق العربية و لو بوجه و وافق أحد المصاحف العثمانية سواء كان عن الأئمة السبعة أو غيرهم من الأئمة المقبولين و اشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط و لا من الشذوذ إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر، و مثاله ما اختلفت الطرق فى نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض و قد ذكر كثيرا من هذا النوع الدانى فى التيسير و الشاطبى فى الشاطبية و غيرهما و هذان النوعان هما اللذان يقرأ بهما مع وجوب اعتقادهما و لا يجوز إنكار شىء منها.

(النوع الثالث: الآحاد) و هو ما صح سنده و خالف الرسم أو العربية أو لم يشهر الاشتهار المذكور و هذا النوع لا يقرأ به و لا يجب اعتقاده. و مثال ذلك «رفارف خضر و عباقرى حسان» و كذا «من قرات أعين».

(النوع الرابع: الشاذ) و هو ما لم يصح سنده و مثاله قراءة ابن السميفع «فاليوم ننحيك ببدنك» بالحاء المهملة «لتكون لمن خلفك»

بفتح اللام، و قراءة «ملك يوم الدين» بصيغة الماضى و نصب يوم، و هذا النوع و الذى بعده لا يجوز القراءة به و لا يجوز اعتقاده.

(النوع الخامس: الموضوع) و هو ما نسب إلى قائله بغير أصل و مثال ذلك

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۶۵

القراءات التى جمعها محمد بن جعفر الخزاعى و نقلها عنه أبو القاسم الهذلى و نسبها إلى أبى حنيفة و لا أصل له فى ذلك مثل «إنما يخشى اللّه من عباده العلماء» برفع لفظ الجلالة و نصب همزة العلماء مع أن هذه القراءة لا أصل لها.

(النوع السادس: ما يشبه المدرج) و هو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير مثاله ما روى عن ابن عباس قراءة «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج» و ما روى عن سعد بن أبى وقاص «و له أخ أو أخت من أم» و ربما كانوا يدخلون التفسير فى القرآن إيضاحا اعتمادا على أنهم محققون لما تلقوه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على أنه قرآن فكان الالتباس عندهم مأمونا، فلما كتبت المصاحف فى عهد عثمان جردت من ذلك لأنها صارت مرجعا عاما.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۶۶

أنواع الاختلاف فى القراءة

تختلف القراءات على ثلاثة أضرب:

الأول: اختلاف فى اللفظ مع الاتفاق فى المعنى مثل خُطُواتِ خُطُواتِ* «۱»، بضم الطاء و إسكانها و مثل كُفُّوا و كفؤا «۲» بالواو الهمزة.

الثانى: اختلاف فى اللفظ و المعنى مثل يَخْدَعُونَ و يخادعون «۳» لامَسْتُمُ و لمستم «۴» يَكْذِبُونَ و يكذبون «۵» بتشديد الذال و تخفيفها يَطْهُرْنَ و يطهرن «۶» بإسكان الطاء و تشديدها.

(الثالث): اختلاف فى صفة النطق باللفظ مع الاتفاق فى اللفظ و المعنى كالمد و الإمالة و نقل الحركات و الإظهار و الإدغام و ترقيق اللامات و الراءات و تغليظها و غير ذلك.

و كل من النوع الأول و الثالث مما لا يترتب على الاختلاف فيه تغاير فى المعنى- أمر القراءة به ظاهر، و أما النوع الثانى و هو ما كانت القراءات فيه متغايرة المعنى فإنه متى ثبت كل منها بالطرق التى تقبل فى ثبوت القراءات على الوجه السابق وجب قبول كل منها مع اعتقاد أن الكل حق و تكون كل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية الأخرى، يجب الإيمان بها كلها و اتباع ما تضمنته من المعنى علما و عملا، و لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى؛ ظنا أن ذلك تعارض؛ بل كما قال عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله.

---

(۱) سورة النور: ۲۱.

(۲) سورة الإخلاص: ۴.

(۳) سورة البقرة: ۹.

(۴) سورة المائدة: ۶.

(۵) سورة البقرة: ۱۰.

(۶) سورة البقرة: ۲۲۲.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۶۷

هذه أنواع الاختلاف فى القراءات.

أما نقل الاختلاف فی القراءات فهو علی ضربین:

الأول: اختلاف اتفقت الطرق علی نقله عن القراء بأن تکون قراءة کل من القراء المخالفة لقراءة الآخر قد اتفقت الطرق علی إسنادها لقارئها و هذا النوع من القراءات السبع الآتی ذکرها متواتر باتفاق.

الثانی: اختلاف اختلفت الطرق فی نقله بأن تکون قراءة القارئ المخالفة لقراء غیره یثبتها بعض الطرق لقارئها و ینفیها بعض الطرق عنه؛ و هذا النوع من القراءات السبع هو الذی قال فیه أبو شامة إنه غیر متواتر کما سیأتی النقل عنه.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۶۸

السبب فی اختلاف القراءات

و السبب فی اختلاف القراءات السبع و غیرها أن عثمان رضی اللّه عنه لما کتب المصاحف و وجه بها إلی الأقالیم کان بکل إقلیم من الصحابة من یحمل عنه أهله القرآن و کانت المصاحف خالیة من النقط و الشکل فثبت أهل کل ناحیة علی ما تلقوه سماعا من الصحابة الذین عندهم بشرط موافقة المصحف و العربیة و ترکوا ما یخالف خط المصحف امتثالا لما أمر به عثمان و أجمع علیه الصحابة لما رأوا فی ذلک الاحتیاط للقرآن، و الصحابة إنما کانوا یقرءونهم بما تلقوه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم.

و من أجل ذلک نشأ الاختلاف بین قراء الأمصار مع کونهم متمسکین بحرف واحد و هو حرف قریش، و قد ظن بعض الناس أن القراءات قد أخذت من المصحف، و لیس کذلک لخلوه فی أول الأمر من النقط و الشکل، نعم المصحف کتب بصورة تحتمل القراءات المختلفة فی الأغلب و لکنه لم یکن إماما و دلیلا فی کیفیة النطق و الأداء و إنما الاعتماد فی ذلک علی الروایة و التلقی و السماع.

و إنما کان المصحف إماما و دلیلا فیما یعینه من ترتیب یمنع التقدیم و التأخیر، و من حصر یمنع الزیادة و النقصان، و إبدال لفظ بلفظ آخر و إن کان بمعناه، و بهذا قد تلخص أن سبب الاختلاف أن الصحابة فی الأقالیم المختلفة الذین عنوا بإقراء القرآن کله لم یقرئه کل منهم أهل إقلیمه بجمیع القراءات المنزلة بل أقرأهم ببعضها و ثبتوا علی ذلک البعض و هکذا فی الجهات المختلفة کما تقدم.

و یدل علی أن الاعتماد إنما هو علی الحفظ و التلقی أمران:

«أولهما» ما ورد فی الحدیث الصحیح الذی رواه مسلم أنه صلّی اللّه علیه و سلّم قال «إن ربی قال لی قم فی قریش فأنذرهم فقلت أی رب إذا یبلغوا «أی یشدخوا» رأسی فقال:

إنی مبتلیک و مبتل بک، و منزل علیک کتابا لا یغسله الماء تقرأه نائما و یقظانا؛ فابعث جندا أبعث مثلیهم و قاتل بمن أطاعک من عصاک، و أنفق أنفق علیک».

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۶۹

فقد أخبر أن کتابه لا یحتاج إلی صحیفة تغسل بالماء، بل یقرأه فی کل حال، و قد ورد أیضا فی وصف أمته «أناجیلهم صدورهم» فقد وصف الأمة بأنهم یحفظون القرآن عن ظهر قلب و لا یحتاجون إلی صحیفة بخلاف أهل الکتاب، فإنهم کانوا لا یحفظون کتابهم و لا یقرءونه کله إلا فی الصحف.

«ثانیهما» ما روی أن عثمان رضی اللّه عنه لما کتب المصاحف أنفذها إلی الأقطار و أرسل الحفاظ معها لتعلیم المسلمین فقد أمر زید بن ثابت أن یقرئ بالمصحف المدنی، و بعث عبد اللّه بن السائب مع المکی. و بعث المغیرة بن شهاب مع الشامی، و بعث أبا عبد الرحمن السلمی مع الکوفی، و بعث عامر بن عبد قیس مع البصری، و کان فی تلک الأمصار فی ذلک الوقت الجم الغفیر من حفاظ القرآن التابعین.

(فکان بالمدینة) ابن المسیب و عروة، و سالم و عمر بن عبد العزیز، و سلیمان و عطاء ابنا یسار، و معاذ بن الحارث المعروف بمعاذ

القارئ و عبد الرحمن ابن هرمز، و ابن شهاب الزهری. و مسلم بن جندب و زید بن أسلم و غیرهم.

(و کان بمکة عبید اللّه بن عمیر. و طاوس .. و عطاء و مجاهد. و عکرمة. و ابن أبی ملیکة و غیرهم.

(و کان بالکوفة) علقمة، و الأسود و مسروق و عبیدة، و عمر بن شرحبیل، و الحارث بن قیس، و الربیع بن خیثم. و عمرو بن میمون و غیرهم.

(و کان بالبصرة) عامر بن قیس، و أبو العالیة، و أبو رجاء، و نصر بن عاصم و یحیی بن یعمر. و جابر بن زید، و الحسن، و ابن سیرین، و قتادة، و غیرهم.

«و کان بالشام» المغیرة بن شهاب المخزومی صاحب عثمان بن عفان فی القراءة و خلید بن سعد صاحب أبی الدرداء و غیرهما.

و قد قرأ أهل کل مصر بما نقلوه عن الصحابة الذین تلقوا عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و وافق مصحفهم؛ فقاموا فی ذلک مقام الصحابة ثم تجرد قوم للقراءة و الأخذ و اعتنوا بضبط القراءة أتم عنایة حتی صاروا فی ذلک أئمة للاقتداء، یرحل إلیهم و یؤخذ عنهم، و أجمع أهل بلدهم علی تلقی قراءاتهم و لم یختلف علیهم اثنان فی صحة روایتهم و لتصدیهم للقراءة نسبت إلیهم و کان المعول فیها علیهم، و قد أجمعت الأمة المعصومة من الخطأ علی قراءاتهم الموافقة للمصاحف و ترک ما خالفها.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۷۰

فوائد اختلاف القراءات

لاختلاف القراءات و تنوعها مع السلامة من التضاد و التناقض فوائد کثیرة:

۱- الجمع بین حکمین مختلفین کقراءة یَطْهُرْنَ و یَطْهُرْنَ «۱» بالتخفیف و التشدید فیجمع بینهما بأن الحائض لا یقربها زوجها حتی تطهر بانقطاع حیضها و تتطهر بالاغتسال (و منها) الدلالة علی حکمین شرعیین مختلفین کقراءة وَ أَرْجُلَکُمْ «۲» بالخفض و النصب فإن الخفض یقتضی فرض المسح و النصب یقتضی فرض الغسل و الظاهر بینهما التنافی فجمع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بینهما و بین أن کلا منهما فی حالة فجعل المسح للابس الخف و الغسل لغیر لابسه فیکون کل من القراءتین دل علی حکم فی حالة غیر ما دلت علیه الأخری.

۲- بیان المراد من حکم القراءة الأخری کقراءة فَاسْعَوْا «۳» فإنها تفید بظاهرها المشی السریع و قراءة «فامضوا» بینت أن المراد مجرد الذهاب، و کقراءة لمستم مع لامَسْتُمُ «۴» فإنها بینت أن المراد من المس المباشرة.

۳- الإعجاز مع الإیجاز فإن کل قراءة مع الأخری بمنزلة الآیة مع الآیة لأن تنوع اللفظ و اختلاف دلالاته بذلک یقوم مقام الآیات و لو جعلت دلالة کل لفظ من دلالاته المختلفة آیة علی حدتها کان فی ذلک تطویل.

۴- سهولة حفظه و تیسیر نقله علی هذه الأمة فإن حفظ کلمة ذات أوجه أسهل و أقرب إلی الفهم من حفظ جمل تؤدی معانی تلک القراءات المختلفة لا سیما إذا کان الخط واحدا.

۵- الاحتجاج علی القول الحق کقراءة وَ مُلْکاً کَبِیراً «۵» بکسر اللام

---

(۱) سورة البقرة: ۲۲۲.

(۲) سورة المائدة: ۶.

(۳) سورة الجمعة: ۹.

(۴) سورة المائدة: ۶.

(۵) سورة الإنسان: الآیة ۲۰.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۷۱

وردت عن ابن کثیر و غیره و یحتج بها علی رؤیة اللّه تعالی فی الآخرة و کذا الاحتجاج، لقول بعض أهل العربیة کقراءة وَ الْأَرْحامَ «۱» بالخفض و «لیجزی قوما» بالبناء للمفعول مع النصب.

۶- إعظام أجور هذه الأمة لبذلهم الجهد و استفراغهم الوسع فی تتبع معانی القراءات المختلفة و استنباط الحکم و الأحکام من دلالة کل لفظ و استخراج أسراره و خفی إشاراته و إمعانهم النظر و الکشف عن التوجیه و التعلیل و الترجیح و التفصیل بقدر ما یبلغ غایة علمهم و یصل إلیه نهایة فهمهم فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّی لا أُضِیعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْکُمْ مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثی «۲» و الأجر علی قدر المشقة و هذا لا ینافی تیسیر الحفظ السابق لأن هذا فی استخراج المعانی و الأحکام و ذلک فی الحفظ.

۷- اتصال سند هذه الأمة فی القرآن فإن قراءة اللفظ الواحد بقراءات مختلفة مع اتحاد خطه و خلوه من الشکل و النقط متوقف علی السماع و التلقی و الروایة بل بعد نقط المصحف و شکله لأن الألفاظ التی اختلفت قراءتها إنما نقطت و شکلت علی وجه واحد فلم تزل باقی الأوجه متوقفة علی السند و الروایة إلی یومنا هذا، و فی ذلک منقبة عظیمة و نعمة جسیمة لهذه الأمة المحمدیة بسبب إسنادها کتاب ربها و اتصال هذا السند الإلهی بسنده فکان ذلک تخصیصا بالفضل لهذه الأمة و إعظاما لقدر هذه الملة.

و لنکتف فی الذکر بهذا القدر من الفوائد و اللّه أعلم.

---

(۱) سورة النساء: ۱.

(۲) سورة آل عمران: ۱۹۵.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۷۲

القراءات السبع

و القراءات السبع، هی القراءات المنسوبة للأئمة السبعة المعروفین عند القراء و هم نافع، و عبد اللّه بن کثیر، و أبو عمرو بن العلاء، و عبد اللّه بن عامر، و عاصم، و حمزة؛ و علی الکسائی، و سیأتی الکلام علیهم و لم تکن القراءات السبع متمیزة فی التألیف من غیرها فإن الذین صنفوا فی القراءات من الأئمة المتقدمین کأبی عبید القاسم بن سلام و أبی حاتم السجستانی و أبی جعفر الطبری و إسماعیل القاضی قد ذکروا أضعاف هؤلاء و کان الناس علی رأس المائتین «بالبصرة» علی قراءة أبی عمرو و یعقوب «و بالکوفة» علی قراءة حمزة و عاصم «و بالشام» علی قراءة ابن عامر «و بمکة» علی قراءة ابن کثیر «و بالمدینة» علی قراءة نافع و استمروا علی ذلک.

فلما کان علی رأس الثلاثمائة قام الإمام أبو بکر أحمد بن موسی بن العباس بن مجاهد، ببغداد و جمع قراءات سبعة من مشهوری أئمة الحرمین و العراقین و الشام و هم الذین تقدمت أسماؤهم غیر أنه أثبت اسم الکسائی و حذف یعقوب؛ و السبب فی الاقتصار علی السبعة مع أن فی أئمة القراء من هو أجل منهم قدرا أو مثلهم أکثر من عددهم- أن الرواة عن الأئمة کانوا کثیرین جدا فنظر إلی من اشتهر بالثقة و الأمانة و طول العمر فی ملازمة القراءة و الاتفاق علی الأخذ عنه و مع ذلک لم یترک الناس نقل ما کان علیه غیر هؤلاء من أئمة القراءات و لا القراءة به کقراءة یعقوب و أبی جعفر و خلف و هم الثلاثة المکملون للعشرة کما سیأتی.

و قد اقتصر ابن جبر المکی علی خمسة، اختار من کل مصر من الأمصار التی بعث إلیها عثمان بالمصاحف إماما و بهذا تعلم أن العدد فی سبعة کان اتفاقیا، لابن مجاهد.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۷۳

و قد توهم بعض الناس أن قراءات السبعة هی الأحرف السبعة و لیس الأمر کذلک، و الذی أوقع هؤلاء فی هذه الشبهة أنهم سمعوا أن القرآن أنزل علی سبعة أحرف و سمعوا قراءات السبعة؛ فظنوا أن هذه السبعة هی تلک المشار إلیها.

و لهذا لام كثير من العلماء المتقدمين ابن مجاهد على اختياره عدد السبعة لما فيه من الإيهام و قالوا هلا اقتصر على ما دون هذا العدد أو زاد عليه أو بين مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة، قال أبو شامة: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث و هو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة و إنما يظن ذلك بعض أهل الجهل.

و قال أبو العباس بن عمار: لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغى له، و أشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هى المذكورة فى الخبر وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة، و وقع له أيضا فى اقتصاره لكل إمام على راويين أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما أبطلها، و قد تكون هى أشهر و أصح و أظهر، و ربما بالغ من لا يفهم فخطأ أو كفر.

و لغير من ذكرنا عبارات فى هذا المعنى و أنت خبير بأن ابن مجاهد لم يكن رائده فى ذلك إلا التحرى و الضبط و مع ذلك فالقراء لم يتركوا مما تركه شيئا بل كل قراءة أخذت حظها من العناية بالنقل و التمحيص و التدقيق فما استجمع منها ضابط القراءات قبل و إلا فلا، و لنتكلم على القراء السبعة.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۷۴

القراء السبعة

اشارة

و لنذكر طرقهم فى الرواية و نقتصر فى الرواة عن كل منهم على اثنين ممن اشتهرا فى الرواية عنه و هما اللذان اقتصر عليهما ابن مجاهد و إن كان الرواة عن كل منهم أكثر من اثنين و ها هم القراء السبعة و راويا كل منهم:

الأول، أبو عمرو زبان بن العلاء البصرى

روى عن مجاهد بن جبر و سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و قرأ على جماعة منهم أبو جعفر زيد بن القعقاع و الحسن البصرى و قرأ الحسن على حطان و أبى العالية و قرأ أبو العالية على عمر بن الخطاب و كان أبو عمرو من أعلم الناس بالقراءة مع الصدق و الأمانة و الثقة فى الدين و توفى سنة أربع و خمسين و مائة و كان مولده سنة ثمان و ستين.

و رواه الدورى و السوسى عن اليزيدى عنه:

۱- الدورى هو أبو عمر حفص بن عمر المقرى الضرير روى عن اليزيدى عن أبى عمرو و كان الدورى شيخ القراء فى وقته و هو منسوب إلى الدور موضع بالجانب الشرقى من بغداد و كان ثقة ضابطا و هو أول من جمع القراءات و توفى فى شوال سنة ست و أربعين و مائتين.

۲- و السوسى: هو أبو شعيب صالح بن زياد روى عن اليزيدى عن أبى عمر و كان ثقة ضابطا من أجل أصحاب اليزيدى توفى سنة إحدى و ستين و مائتين و عاش نحو التسعين سنة.

الثانى ابن كثير:

هو أبو محمد عبد اللّه بن كثير المكى و قيل «أبو معبد» روى عن مجاهد بن جبر عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و قرأ على أبى السائب عبد اللّه بن السائب بن أبى السائب المخزومى و قرأ عبد اللّه بن السائب على أبى بن كعب و عمر بن الخطاب و كلاهما قرأ على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۷۵

و کان ابن کثیر إمام الناس فی القراءة بمکة من غیر منازع و کان ذا سکینة و وقار لقی من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم عبد اللّه بن الزبیر و أبا أیوب الأنصاری و أنس بن مالک. ولد ابن کثیر سنة خمس و أربعین و توفی سنة عشرین و مائة، و راویاه عن أصحابه هما البزی و قنبل:

۱- أما البزی فهو أبو الحسن أحمد بن عبد اللّه بن القاسم بن نافع بن أبی بزة البزی و بینه و بین ابن کثیر رجال، لأنه یروی عن عکرمة بن سلیمان بن کثیر عن شبل بن عباد و إسماعیل بن عبد اللّه بن قسطنطین عن ابن کثیر و کان إمام المسجد الحرام و مقرئه و مؤذنه و کان إماما ضابطا ثقة انتهت إلیه مشیخة الإقراء بمکة، ولد البزی سنة سبعین و مائة و توفی سنة خمسین و مائتین.

۲- و أما قنبل فهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومی المکی کنیته أبو عمرو و قنبل لقب له، قرأ علی أبی الحسن أحمد القواس، و قرأ القواس علی أبی الإخریط و قرأ أبو الإخریط علی القسط و أخبر أنه قرأ علی شبل و قرأ شبل علی ابن کثیر، و کان قنبل إماما فی القراءة متقنا ضابطا رحل إلیه الناس من جمیع الأقطار. ولد سنة خمس و تسعین و مائة و توفی سنة إحدی و تسعین و مائتین.

«الثالث» نافع بن عبد الرحمن

بن أبی نعیم المدنی قرأ علی أبی جعفر القارئ و علی سبعین من التابعین، علی عبد اللّه بن عباس و أبی هریرة، علی أبی ابن کعب علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم.

و کان إمام الناس فی القراءة بالمدینة انتهت إلیه رئاسة الإقراء بها ولد نافع فی نهایة سنة سبعین و توفی سنة تسع و ستین و مائة، «و راویاه قالون و ورش:

۱- أما قالون: فهو أبو موسی عیسی بن مینا النحوی قرأ علی نافع و اختص به کثیرا و قال: قرأت علی نافع غیر مرة و کتبتها عنه، ولد سنة عشرین و مائة و توفی سنة عشرین و مائتین و قالون فی الأصل معناه الجید.

۲- و أما ورش: فهو عثمان بن سعید المصری و کنیته أبو سعید و ورش لقب له رحل إلی المدینة لیقرأ علی نافع فقرأ علیه ختمات فی سنة خمس و خمسین و مائة و رجع إلی مصر فانتهت إلیه رئاسة الإقراء بها، ولد سنة عشر و مائة و توفی سنة سبع و تسعین و مائة و کان حسن الصوت جید القراءة لا یمله سامع.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۷۶

«الرابع ابن عامر» و هو عبد اللّه بن عامر الیحصبی

، و یحصب فخذ من حمیر، و کنیته أبو نعیم و قیل أبو عمران، کان إمام دمشق و قاضیها و هو تابعی لقی واثلة ابن الأسقع و النعمان بن بشیر و قرأ علی المغیرة بن أبی شهاب المخزومی، علی عثمان بن عفان رضی اللّه عنه، علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و قال یحیی ابن الحارث الذماری إنه قرأ علی عثمان، ولد سنة إحدی و عشرین و توفی سنة ثمان عشرة و مائة و راویاه عن أصحابه: هشام و ابن ذکوان:

۱- أما هشام فهو أبو عمار بن نصیر السلمی القاضی الدمشقی و کنیته أبو الولید أخذ القراءة عن عراک بن خالد المزی عن یحیی بن الحارث الزماری عن ابن عامر و کان عالم دمشق و مقرئها و محدثها مع الثقة و الضبط، ولد سنة ثلاث و خمسین و مائة و توفی سنة خمس و أربعین و مائتین.

۲- و أما ابن ذکوان فهو أبو محمد عبد اللّه أحمد بن بشیر بن ذکوان القرشی الدمشقی و قیل کنیته أبو عمر أخذ قراءة ابن عامر عن أیوب بن تمیم التمیمی عن یحیی بن الحارث الذماری عن ابن عامر، قال أبو زرعة الحافظ الدمشقی لم یکن بالعراق و لا بالحجاز و لا بالشام و لا بمصر و لا بخراسان فی زمن ابن ذکوان عندی أقرأ منه توفی فی شوال سنة ثنتین و مائتین.

«الخامس عاصم» و هو أبو بکر عاصم بن أبی النجود

بن بهدلة مولی بنی خزیمة بن مالک بن النضر، و النجود بفتح النون و ضم الجیم من من نجدت الثیاب سویت بعضها فوق، بعض قرأ عاصم علی زر بن حبیش علی عبد اللّه بن مسعود علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و علی أبی عبد الرحمن عبد اللّه بن حبیب السلمی معلم الحسن و الحسین، علی علیّ رضی اللّه عنه، علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم. کان جامعا بین الفصاحة و الإتقان و التحریر و التجوید و من أحسن الناس صوتا بالقرآن توفی آخر سنة سبع و عشرین و مائة.

و راویاه أبو بکر شعبة و حفص:

۱- أما شعبة فهو أبو بکر عیاش بن سالم الأسدی و اسمه شعبة و قیل محمد و قیل مطرق کان إماما عالما کبیرا ولد سنة خمس و تسعین و توفی سنة ثلاث و تسعین و مائة.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۷۷

۲- و أما حفص فهو أبو عمر حفص بن سلیمان بن المغیرة البزاز تعلم القراءة من عاصم کما یتعلم الصبی من المعلم و کان ربیب عاصم ابن زوجته، ولد سنة تسعین و توفی سنة ثمانین و مائة.

«السادس حمزة» و هو أبو عمارة حمزة بن حبیب الزیات التیمی

مولی عکرمة بن ربعی التیمی و کنیته أبو عمارة، قرأ علی أبی محمد سلیمان بن مهران الأعمش، علی یحیی بن وثاب، علی زر بن حبیش علی علی بن أبی طالب و عثمان و ابن مسعود، علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم کان ورعا عالما بکتاب اللّه مجودا له عارفا بالفرائض و العربیة حافظا للحدیث ولد حمزة سنة ثمانین و توفی سنة ست و خمسین و مائة.

و راویاه خلف و خلاد:

۱- أما خلف فهو أبو محمد خلف بن هشام بن طالب البزاز، روی عن سلیم بن عیسی الحنفی عن حمزة، ولد خلف سنة خمسین و مائة و توفی فی جمادی الآخرة سنة تسع و عشرین و مائتین و کان ثقة زاهدا عابدا.

۲- و أما خلاد فهو أبو عیسی خلاد بن خالد الصیرفی روی أیضا عن سلیم ابن عیسی الحنفی عن حمزة کان أضبط أصحاب سلیم و أجلهم، عارفا محققا و توفی سنة عشرین و مائتین.

«السابع الکسائی» و هو أبو الحسن علی بن حمزة الکسائی

النحوی من أولاد الفرس من سواد العراق، قرأ علی حمزة بن حبیب، علی یحیی بن وثاب، علی زر بن حبیش علی عثمان و علی و ابن مسعود علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قال أبو بکر بن الأنباری.

اجتمعت فی الکسائی أمور کان أعلم الناس بالنحو و أوحدهم بالغریب و کان أوحد الناس بالقرآن فکانوا یکثرون علیه حتی لا یضبط الأخذ علیهم فیجتمع فی مجلس و یجلس علی الکرسی و یتلو القرآن من أوله لآخره یسمعون و یضبطون عنه حتی المقاطع و المبادئ توفی سنة تسع و ثمانین و مائتین.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۷۸

و راویاه أبو الحارث و الدوری:

۱- أما أبو الحارث: فهو أبو الحارث اللیث بن خالد المروزی المقری، قرأ علی الکسائی و کان من أجلة أصحابه و کان ثقة ضابطا توفی سنة أربعین و مائتین.

۲- و أما الدوری فقد تقدم الکلام علیه مع أبی عمرو بن العلاء.

الکلام علی القراء الثلاثة الذین بهم تکمل العشرة

و هم: أبو جعفر. و یعقوب. و خلف:

«أما أبو جعفر» فهو أبو جعفر یزید بن القعقاع القاری نسبة لموضع بالمدینة یسمی قار «و رواته» اثنان: أبو موسی عیسی بن وردان الحذاء طریق قالون عیسی ابن مینا النحوی «و أبو مسلم» سلیمان بن مسلم الجماز الزهری طریق أبی عبد الرحمن قتیبة بن مهران.

و أما یعقوب: فهو أبو محمد یعقوب بن إسحاق الحضرمی، قرأ علی أبی المنذر سلام بن سلیمان الطویل علی عاصم و أبی عمر و توفی سنة خمس و مائتین. و رواته ثلاثة «روح بن عبد الملک» طریق أحمد بن یحیی المعدل «و أبو بکر محمد بن المتوکل اللؤلؤی الملقب برویس» طریق أبی محمد بن هارون و طریق أبی الحسن أحمد بن محمد یعقوب بن مقسم الفقیه و أبو أحمد زید بن أحمد بن إسحاق؛ طریق العدل أیضا و طریق محمد بن هارون.

«و أما خلف» فهو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار، قرأ خلف علی سلیم علی حمزة .. ا ه بحث القراء ملخصا من مقدمة تفسیر النیسابوری و من تاریخ القرآن لأبی بن عبد اللّه الزنجانی نقلا عن کتاب المکرر فیما تواتر من القراءات السبع و تحرر لمصنفه سراج الدین أبی حفص عمر بن زین الدین قاسم بن شمس الدین محمد الأنصاری الشهیر بالنشار.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۷۹

القول فی تواتر القرآن و القراءات

اشارة

(أما القرآن) فلا خلاف أن کل ما هو من القرآن، متواتر فی أصله و أجزائه، و أما فی محله و وضعه و ترتیبه فکذلک عند محققی أهل السنة للقطع بأن العادة تقضی بالتواتر فی تفاصیل مثله؛ لأن هذا المعجز العظیم الذی هو أصل الدین القویم، و الصراط المستقیم، مما تتوفر الدواعی علی نقل جمله و تفاصیله، فما نقل آحادا و لم یتواتر یقطع بأنه لیس من القرآن.

و ذهب کثیر من الأصولیین إلی أن التواتر شرط فی ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله، و لیس بشرط فی محله و وضعه و ترتیبه.

«ورد هذا الرأی»:

(۱) بأن الدلیل السابق یقتضی التواتر فی الجمیع.

(۲) لو لم یشترط التواتر فی المحل و الوضع لجاز سقوط کثیر من القرآن المکرر و ثبوت کثیر مما لیس بقرآن، و لجاز أن لا یتواتر کثیر من المکررات الواقعة فی القرآن مثل «فبأی آلاء ربکما تکذبان».

(۳) لو لم یتواتر بعض القرآن بحسب المحل جاز إثبات ذلک البعض فی الموضع بنقل الآحاد.

و قد بنی المالکیة و غیرهم ممن قال بإنکار البسملة قولهم علی هذا الأصل و هو وجوب التواتر جملة و تفصیلا بحجة أنها لم تتواتر فی أوائل السور و ما لم یتواتر فلیس بقرآن.

«و قد أجیب» بمنع کونها لم تتواتر فرب متواتر عند قوم دون آخرین و فی وقت دون وقت و یکفی فی تواترها کتابتها فی المصاحف العثمانیة مع اتفاقهم علی تجریدها مما لیس قرآنا و یدل لذلک روایات کثیرة .. ا ه ملخصا من الإتقان مع إیضاح و یمکن للمالکیة و غیرهم أن یعترفوا بتواترها بین السور و عدم ثبوت تواتر أنها جزء من کل سورة و یحمل ذلک علی تکرر نزولها مع کل سورة.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۸۰

(أما القراءات السبع)

: الجمهور على أن القراءات السبع متواترة جميعها سواء ما كان منها من قبيل الأداء كالمد و الإمالة أو تخفيف الهمزة أولا، و سواء كان مختلفا فی نقله عن القراء أو متفقا على نقله عنهم.

و ذهب ابن الحاجب إلى أن ما كان من قبيل الأداء كالمد أو الإمالة و تخفيف الهمزة لا يشترط فيه التواتر و عبارته فی مختصره: مسألة القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الأداء كالمد و اللين و الإمالة و تخفيف الهمزة و نحوه، لنا لو لم تكن متواترة لكان بعض القرآن غير متواتر كملك و مالك و نحوهما و تخصيص أحدهما تحكم باطل لاستوائهما.

و وجه ما قاله ابن الحاجب من استثناء ما ذكر من التواتر أن ما كان من قبيل الأداء بأن كان هيئة للفظ يتحقق اللفظ بدونها كزيادة على أصل المد و الإمالة و ما بعدها من الأمثلة مقادير الزيادة فيه و لا يضبطه السماع عادة لأنه يقبل الزيادة و النقصان و ذلك يكون بالاجتهاد و قد شرطوا فی التواتر أن لا يكون فی الأصل عن الاجتهاد.

و تحقيق كلام ابن الحاجب أنه إن أريد بتواتر ما كان من قبيل الأداء تواتر أصله كأصل المد و أصل الإمالة و غيرهما كأن يراد تواتر المد مثلا من غير نظر لمقداره فالحق خلاف ما قاله ابن الحاجب للعلم بتواتر ذلك و إن أريد تواتر الزائد على الأصل فالوجه ما قاله ابن الحاجب و هو الذی يوافق توجيهه.

و قال أبو شامة الألفاظ التی اختلفت الطرق فی نقلها عن القراء من القراءات السبع ليست متواترة و أما الألفاظ التی اتفقت الطرق على نقلها عنهم من القراءات السبع فمتواترة.

و عبارته فی المرشد الوجيز نقلا عن شرح جمع الجوامع: و ما شاع على ألسنة جماعة من متأخری المقرئين و غيرهم أن القراءات السبع متواترة نقول به فيما اتفقت الطرق على نقله عن القراء السبعة دون ما اختلفت فيه بمعنى أن نفيت نسبته إليهم فی بعض الطرق و ذلك موجود فی كتب القراءات لا سيما كتب المغاربة و المشارقة فبينهما تباين فی مواضع كثيرة.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۸۱

و الحاصل أنا لا نلتزم التواتر فی جميع الألفاظ المختلف فيها بين القراء أی بل منها المتواتر و هو ما اتفقت الطرق على نقله عنهم، و غير المتواتر و هو ما اختلفت فيه بالمعنى السابق و على ذلك فيكون كل من ابن الحاجب و أبی شامة قد وافقا الجمهور فی تواتر القراءات السبع و خلافهما لا يضر لأنك قد علمت أن ما كان من قبيل الأداء يكون بالاجتهاد و إنما الخلاف عند ابن الحاجب فی الزائد على أصل المد و الإمالة و التخفيف و غيرها و عند أبی شامة فی الألفاظ التی اختلفت الطرق فی نقلها عن القراء و هذا خلاف قليل الأثر لأنه لا يقدح فی تواتر القراءات السبع فی الجملة فلا ينافی أن فيها غير المتواتر و هو قليل و هو الذی ذكره أبو شامة مما اختلفت الطرق فی نقله عن القراء، أثبته أحد الرواة و نفاه الآخر كما تقدم.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۸۲

شبه القائلين بعدم تواتر القراءات السبع

اشارة

ذهب بعضهم إلى أن القراءات السبع ليست متواترة و استند إلى الشبه الآتية:

أولا قالوا- إن المعلوم بالتواتر هو كون إحدى القراءتين من القرآن و أما هما معا أو إحداهما بعينها فلا، كيف و الذين تستند إليهم و هم سبعة لا يحصل العلم بقولهم فيما اتفقوا عليه فضلا عما اختلفوا فيه.

و الجواب عن ذلک

بأن قراءة کل واحد من هؤلاء السبعة قد علمت من جهته و من جهة غیره ممن یبلغ عددهم التواتر و إنما نسب العلماء القراءات المتواترة إلی السبعة، لئلا تلتبس علی الجاهل بغیرها من الشواذ فإذا قیل إن هذه القراءة فی السبع؛ کان معناه أنها مرویة بطریق التواتر لا- بطریق الآحاد، و أما إضافة القراءة إلی من أضیفت له من أئمة القراءة فالمراد بها أن ذلک الإمام اختار القراءة بهذا الوجه علی حسب ما قرأ به فآثره علی غیره و لزمه حتی اشتهر به و أخذ عنه فأضیف إلیه دون غیره من القراء و هو مع ذلک متواتر.

(ثانیا) قالوا: إن القول بتواتر القراءات السبع یؤدی إلی تکفیر من طعن فی شیء منها مع أنه قد وقع الطعن من بعض العلماء فی بعض قراءات، فقد طعن بعضهم فی قراءة حمزة وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی تَسائَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ بخفض الأرحام لأن فی ذلک عطفا علی الضمیر المجرور من غیر إعادة الجار، و طعن بعضهم فی قراءة أبی عمرو فَتُوبُوا إِلی بارِئِکُمْ بإسکان الراء لأن فی ذلک حذفا لحرکة الأعراب و هو غیر جائز و غیر ذلک أمثلة أخری، فکیف یقال بتواترها مع وجود مثل هذه الطعون من بعض العلماء.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۸۳

«و الجواب عن ذلک» بأن إنکار

شیء من القراءات لا- یقتضی التکفیر علی الإطلاق لأن التواتر منه ما علم بالضرورة و منه ما لم یعلم بالضرورة فالذی یقتضی الکفر إنما هو إنکار المتواتر الذی علم من الدین بالضرورة و أما المتواتر الذی لم یعلم بالضرورة فإنکاره لا یقتضی الکفر و لا شک أن بعض القراءات قد تواتر إلا- أنه لم یصر تواتره معلوما من الدین بالضرورة لأنها إنما تواترت عند القراء الذین عنوا بأمر القراءات و ضبط وجوهها فتواترها لیس کتواتر القرآن من کل وجه.

و أما ما وجه من المطاعن إلی بعض القراء فی بعض قراءاتهم فقد أجابوا بأن المدار علی دخول القراءة تحت ضابط القراءات السابق و لا یشترط الفشو فی اللغة العربیة و بهذا تبین أن هذه الشبهة لا تقدح فی تواتر القراءات السبع.

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۸۴

القول فی القراءات الثلاث المکملة للعشرة (و هی قراءات یعقوب و أبی جعفر و خلف)

ذهب ابن السبکی فی منع الموانع إلی أن القراءة قسمان فقط متواتر و شاذ و جعل الشاذ هو ما لیس بمتواتر و عد الثلاثة التی تکمل العشرة من المتواتر کالسبعة، و عبارته فی منع الموانع ما نصه:

و إنما قلنا فی جمع الجوامع و السبع متواترة ثم قلنا فی الشاذ و الصحیح أنه ما وراء العشرة؛ و لم ینقل و العشرة متواترة، لأن السبع لم یختلف فی تواترها فذکرنا أولا موضع الإجماع ثم عطفنا علیه موضع الخلاف.

قال: علی أن القول بأن القراءات الثلاث غیر متواترة فی غایة السقوط و لا یصح القول به عمن یعتبر قوله فی الدین و هی لا تخالف رسم المصحف، قال و قد سمعت أبی یشدد النکیر علی بعض القضاة و قد بلغه أنه منع من القراءة بها و استأذنه بعض أصحابنا مرة فی إقراء السبع فقال أذنت لک أن تقرأ العشرة .. انتهی.

و قد علل عد العشرة من الصحیح الجلال المحلی بقوله: لأنها لا تخالف رسم السبع من صحة السند و استقامة الوجه و العربیة و موافقة خط المصحف الإمام.

و هذا مذهب الأصولیین و أما مذهب الفقهاء فالشاذ ما وراء السبعة فالثلاثة المذکورة عندهم من الشواذ و مذهب الفقهاء ضعیف بما سبق بیانه من أن ضابط القراءات منطبق علیها.

و هذا الضابط هو الميزان فی قبول القراءة أو ردها سواء كانت من السبعة أو غيرهم فإن قولنا القراءات السبع متواترة معناها فی الجملة فلا ينافی أنه يوجد فيها المشهور و المروی بطريق الآحاد المحفوفة بالقرائن المفيدة للعلم.

و أما المروی من طريق الآحاد المحضة فهو نذر لا يكاد يوجد و لذلك قال أبو

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۸۵

شامة فی المرشد الوجيز بعد أن ذكر ضابط القراءة ما نصه «فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه فإن القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة و غيرهم منقسمة إلى المجمع عليه و الشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم و كثرة الصحيح المجمع عليه فی قراءاتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم، فوق ما ينقل عن غيرهم.

أقول و هذا الذی تميل إليه النفس و يطمئن إليه القلب

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۸۶

(خاتمة) فی كيفية تحمل القرآن

قد ورد فی الأحاديث الصحيحة أن النبی صلّى اللّه عليه و سلّم كان يسمع القرآن من جبريل و أن جبريل كان يسمع القرآن من النبی صلّى اللّه عليه و سلّم فقد أخرج البخاری عن فاطمة رضی اللّه عنها أنها قالت أسر إلیّ النبی صلّى اللّه عليه و سلّم أن جبريل كان يعارضنی القرآن كل سنة و أنه عارضنی العام مرتين ..» فهذا الحديث يدل على المعارضة و هی من الجانبين و ذلك بأن يقرأ أحدهما تارة و يسمع الآخر و بالعكس تارة أخرى.

و أخرج البخاری فی حديث عن ابن عباس أنه قال «كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أجود الناس بالخير و أجود ما يكون فی شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه فی كل ليلة فی شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة» و أخرج عن أبی هريرة أنه كان يعرض على النبی صلّى اللّه عليه و سلّم القرآن كل عام مرة».

فمدارسة القرآن مع جبريل كانت تارة بالسماع و تارة بالقراءة من كل منهما و إن الصحابة قد أخذوا عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم القرآن سماعا لأن فصاحتهم تقتضی قدرتهم على الأداء كما سمعوا.

و قد ثبت أيضا أن كثيرا من الصحابة قرأ بين يدی رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يدل لذلك أحاديث عمر و هشام بن حكيم و أبی بن كعب و عبد اللّه بن مسعود و غيرهم حين اختلفوا فی القراءة و على ذلك فتحمل القرآن عن الشيخ يكون بأحد طريقين أو بكليهما إما بالسماع منه أو القراءة عليه أو كليهما و لا تجوز رواية القرآن و لا قراءته بالمعنى و لا يشترط فی قراءته الحفظ بل هی تكفی و لو من المصحف.

«و ينبغی» لقارئ القرآن أن يفيه حقه من إعطاء الحروف حقها من المخارج و المد و الوقف و الوصل مع الخشوع و الخشية للّه فقد أخرج البخاری «عن قتادة،

منهج الفرقان فی علوم القرآن، ج۱، ص: ۱۸۷

قال: سألت أنسا عن قراءة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: كان يمد مدا إذا قرأ بسم اللّه الرحمن الرحيم يمد بسم اللّه و يمد بالرحمن و يمد بالرحيم» و روی عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال «أحسن الناس صوتا من إذا قرأ القرآن رأيته يخشى اللّه».

نسأل اللّه أن ينفعنا بالقرآن و أن يعاملنا بالعفو و الإحسان إنه كريم منان و الحمد للّه على حسن معونته و جميل نعمته و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله و صحبه و ذوی محبته.

و كان تمام هذا المؤلف فی يوم الخميس الثانی عشر من شهر ربيع الأول من شهور سنة سبع و خمسين و ثلاثمائة و ألف على يد

مؤلفه و جامعه الذى يرجو من اللّه تحقيق حميد الآمال و عظيم الأمانى محمد على سلامة الزرقانى جعله موفقا لخير العلم و أفضل العمل و صلى اللّه على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلّم.

كافة إصدارات شركة نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع تجدونها على موقع الشركة بالعنوان التالى WWW nahdetmisr com. الرقم المجانى ۰۷۷۷۵۶۶۶-

منهج الفرقان فى علوم القرآن، ج۲، ص: ۵

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخريّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹